ديوان
أمير المؤمنين
الإمام علي رضي الله عنه
وما نسب إليه من أشعار

أعده وضبطه وعلّق عليه
محمد عبد العزيز الهلاوي

مكتبة ابن سينا

علي بن أبي طالب/ علي بن أبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي ٦٠٠- ٦٦١
ديوان الإمام علي وما نسب إليه من أشعار/ أعده وضبطه وعلق عليه/ محمد عبد العزيز الهلاوي.
ط١- القاهرة: مكتبة ابن سينا، ٢٠١٤.
٢٠٨ ص، ٢٤ سم
تدمك ٣ ٠٩٤ ٤٤٧ ٩٧٧ ٩٧٨
١- الشعر العربي- تاريخ- صدر الإسلام.
٢- الشعر العربي دواوين وقصائد
أ- الهلاوي، محمد عبد العزيز (معلق، معد)
ب- العنوان. ٨١١.٢
رقم الإيداع: ٢٠١٤/٢٠٨٣٦
الترقيم الدولي: 978-977-447-094-3

تصميم الغلاف: إبراهيم محمد إبراهيم
الإخراج الفني: وليد مهني علي

تطلب جميع مطبوعاتنا بالمملكة العربية السعودية من
مكتبة الساعي للنشر والتوزيع
ص.ب ٥٠٦٤٩ الرياض ١١٥٣٣ ـ هاتف: ٤٣٥٣٧٦٨ ـ ٤٣٥١٩٦٦ ـ ٤٣٥٩٠٦٦
فاكس: ٤٣٥٥٩٤٥ جوال: ٠٥٥٠٦٧١٩٦٧
E-mail: alsaay99@hotmail.com

مطابع العبور الحديثة – القاهرة
تليفون: ٤٦٦٥١٠١٣ فاكس: ٤٦٦٥١٥٩٩

مكتبة ابن سينا
للنشر والتوزيع والتصدير

نافذتك على الفكر العربي والعالمي من خلال ما تقدمه لك من روائع الفكر العالمي والكتب العلمية والأدبية والطبية ونوادر التراث واللغات الحية. شعارنا: قدم الجديد..
وبسعر رخيص

يشرف عليها ويديرها
مهندس
مصطفى عاشور

٧٦ شارع محمد فريد ـ النزهة ـ مصر الجديدة ـ القاهرة
تليفون: ٢٦٣٧٩٨٦٢ - ٢٦٣٥٢٢٨٢ فاكس: ٢٦٢٨٠٤٨٣
Web site: www.ibnsina-eg.com
E-mail : info@ibnsina-eg.com

جميع الحقوق محفوظة للناشر

لا يجوز طبع أو نسخ أو تصوير أو تسجيل أو اقتباس أي جزء من الكتاب أو تخزينه بأية وسيلة ميكانيكية أو إليكترونية بدون إذن كتابي سابق من الناشر.

الحمد لله رب العالمين.. والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين، وعلى آل بيته الطاهرين، وصحابته الكرام ومن تبعهم واهتدي بهديهم إلي يوم الدين..

أما بعد..

فقد حفلت كتب الأدب بالعديد من القصائد والأبيات المنسوبة للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، وانتشر بين الناس طبعات مختلفة لما عُرف باسم «ديوان الإمام علي»..

• فهل كان الإمام علي، حقًا، شاعرًا؟

هذا ما قصدنا أن نصدر به هذا الكتاب الذي جمع العديد مما نسب للإمام من أشعار؛ ومحاولة تأصيلها وعزوها لقائلها ما أمكن ذلك.

• الإمام على الشاعر:

يقول الأستاذ والشاعر الكبير على الجندي: مع أن حظ قريش من الشعر كان قليلًا، إلا أن بني هاشم استأثروا بالنصيب الأوْفي منه، فقد أورد الرواة شعرًا لأبي طالب، وعبد الله ، وحمزة، والعباس أبناء عبد المطلب.. كما أوردوا شعرًا لسفيان بن الحارث ابن عبد المطلب، وعبد الله بن عباس، وجعفر بن أبي طالب، والحسن والحسين، وفاطمة الزهراء.. بل إن ابن رشيق القيرواني

يقول: ليس من بني عبد المطلب رجالاً ونساءً من لم يقل الشعر، حاشا النبي ﷺ.

• سمات شخصية:

وكما يقول الأستاذ على الجندي: كان الإمام عليٌّ قوي الطبع، رقيق المشاعر، رهيف العاطفة، متوهج النفس، محتدم الوجدان، عميق التأثر ، شديد الانفعال، حاد المزاج.

وكان واسع الخيال، بديع التصوير، رائع التمثيل، ساحر البيان، يغلب على نثره الإيقاع والرنين والتنغيم، والموسيقية الشاجية ، والسجع الأنين حتى يبدو أحيانًا كأنه شعر منثور.

هذه الصفات تجعل الإمام شاعرًا مرموقًا بالقوة، إن لَم يكن شاعرًا بالفعل.. وقد كان شاعرًا فعلًا..

لم يشك أحد في ذلك، وإنما الخلاف في القدر المنسوب إلى الإمام من الشعر، فمن الرواة من عزا إليه ديوانًا كاملًا يبلغ نحو ألف وأربعمائة بيت، ومنهم من يقطع بأنه لم يقل غير بيتين، وهذا ما جزم به أبو عثمان المازني، والبيتان هما:

تلكُم قريش تمناني لتقتلني فلا وربـك ما بـرُّوا ولا ظَفروا
فـإن هلكتُ فـرهـنٌ ذمتي لهم بـذات وَدْقـيـن لا يعفو لها أثر

والبيتان ذكرهما صاحب القاموس في مادة «ودق» وأعقبهما بقوله: قال المازني: لم يصح أن تكلم ، يعني الإمام، بشيء من الشعر غير هذين البيتين، وصوَّبه الزمخشري، رحمه الله تعالي.

ومنهم من غالي، وذهب إلي أن الإمام لم يكن له حظ وافر من الشعر، ولم يقل غير بيت واحد، وهذا ما ذهب إليه العلامة الشيخ حسن العطار.. والبيت هو:

سبقتكم إلـي الإسـلام طُـرًّا صغيرًا ما بلغت أوان حُلْمي

والآراء في هذا الأمر متشعبة بين إفراط وتفريط، تتبع بعضها العلامة أحمد تيمور باشا في كتابه (علي بن أبي طالب، شعره وحكمه)، والدكتور حامد جامع في كتابه «على بن أبي طالب.. حاكمًا وفقيهًا».

• الخلاصة:

يقول الدكتور حامد جامع: وفي تقديري أن الأمر السديد في هذا الموضوع هو ما ذهب إليه الأستاذ عباس محمود العقاد، في كتابه «عبقرية الإمام» حيث قال: نحلوه، أي الإمام، ديوانًا من الشعر فيه عشرات من القصائد، وليس بينها إلا عشرات من الأبيات تصح نسبتها إليه.

وعندنا أنه رضي الله عنه، كان ينظم الشعر ويحسن النظر فيه، وكان نقده للشعراء نقد عليم بصير، يعرف اختلاف مذاهب القول، واختلاف وجوه المقابلة والتفضيل على حسب المذاهب، ومن بصره بوجوه المقابلة بينهم أنه سُئل: من أشعر الشعراء؟

قال: إن القوم لم يجرو في حلقة تعرف الغاية عند قصبتها ، فإن كان ولابد، فالملك الضليل.

وهذا فيما نعتقد أول تقسيم لمقاييس الشعر على حسب المدارس والأغراض الشعرية بين العرب، فلا تكون المقابلة إلا بين أشباه وأمثال، ولا يكون التعميم بالتفضيل إلا على التغليب.

لكنه رضي الله عنه لم يرزق ملكة الإجادة في شعره، والنبي ﷺ يري ذلك حين سألوه أن يأذن لعليٍّ في هجاء المشركين ، قال:

«ليس بذلك» وأحالهم إلي حسان بن ثابت ، وندب له من يبصره بمثالب القوم ا.هـ.

ويعود الأستاذ الشاعر علي الجندي ليقول: وليس المهم عندنا كثرة ما قاله الإمام أو قلّته، فكثير من الشعراء خُلِّدوا بقصيدة واحدة، أو مقطوعة .. ولكن المهم ثبوت صفة الشاعرية له..

هذا ، وقد حاولت جهدي، في هذا الكتاب، أن أقدم لكل قصيدة أو مقطوعة بما يناسبها من شرح وبيان، مع ذكر مصدرها ومناسبتها ما أمكن، وسيجد القارئ أن كثيرًا من هذه القصائد والأبيات لم يثبت صحة عزوها للإمام، بل ثبت صحة عزوها لغيره.

وقد جاء الكتاب بهذه الصورة علي غير مثال سابق.. فإن كنت قد وفقت فلله الفضل والمنة، وإن كانت الأخرى فأسأل الله العفو والعافية.. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قافية الألف والهمزة

فضل العلم (البسيط)

للعلم فضل كبير، ولأهله منزلة عظيمة عند ربهم، وشتان ثم شتان بين عالم وجاهل!!
يقول الله تعالي: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩] ويقول تعالي: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة :١١] وعن سهل بن سعد، رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال لعليٍّ رضي الله عنه: "فوالله لأنْ يهدي الله بكَ رجلا واحدًا خيرٌ لك من حُمْر النعم"[متفق عليه].
ولا ينبغي أن يكون العلم سببًا للتفاخر والتعالى على الناس، بل العلم يهذّب صاحبه، ويجعله أقرب الناس من الله وأخشاهم له، يقول سبحانه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨].. ولم لا والعلماء هم ورثة الأنبياء.. وفي فضل العلم وأهله يقول الإمام علي رضي الله عنه:

النَّاسُ مِنْ جِهَةِ التمثالِ أَكْفاءُ ... أَبُوهُمْ آدَمُ، وَالأُمُّ حَوَّاءُ[1]
نَفسٌ كَنَفسٍ، وَأَرواحٌ مُشاكَلَةٌ ... وَأَعظُمٌ خُلقَت فيها وَأَعضاءُ[2]
وَإِنَّما أُمَّهاتُ الناسِ أَوعِيَةٌ ... مُستَودَعاتٌ وَلِلأَحسابِ آباءُ
فَإِن يَكُن لَهُمُ مِن أَصلِهِم شَرَفٌ ... يُفاخِرونَ بِهِ، فَالطينُ، وَالماءُ[3]
وإن أتيتَ بفخرٍ من ذوي نَسَبٍ ... فإنَّ نسبَنا: جودٌ، وعَلْياءُ
ما الفَضلُ إلا لأَهلِ العِلمِ إِنَّهُمُ ... عَلى الهُدى لمن استَهدى أَدِلَّاءُ[4]
وَقيمَةُ المَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحسِنُهُ ... وَالْجَاهِلونَ لأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ[5]
فَفُز بِعِلْمٍ وَلا تَطلُبْ بِهِ بَدَلاً ... فَالنَّاسُ مَوْتى وَأَهْلُ العِلمِ أَحياءُ

ومما ينسب للإمام، رضي الله عنه ، في ذلك، قوله:

الناسُ مَوتي وأهلُ العِلمِ أحياءُ ... والناسُ مَرْضَى وهُم فيهم أطباءُ

---

(١) أكفاء: جمع كفء، وهو المماثل والشبيه.. ويروي البيت في بعض نسخ الديوان الأخري : الناس من جهة الآباء أكفاء.. والتمثال : التمثيل.
(٢) مشاكلة : مماثلة.
(٣) نهي الإسلام عن التفاخر بالأحساب والأنساب، إذ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوي، قال ﷺ: «إنَّ الله تعالي أوْحَى إليَّ أن تواضعوا حتى لا يبْغى أحدٌ على أحدٍ، ولا يفْخرَ أحدٌ على أحدٍ» [رواه مسلم].
(٤) أدلاء : جمع دليل.
(٥) وهو مطابق لما ورد عن الإمام «قيمة كل امرئ ما يُحسنه». وقوله : «المرء عدوُّ ما يجهل» فأخذ الخليل هذا القول فنظمه شعرًا، وقال:

لا يكون العليُّ مثل الدنيِّ ... لا، ولا ذو الذكاء مثل الغبيِّ
قيمةُ المرْءِ قَدْرُ ما يحسنُ المرءُ ... قضاءٌ من الإمام عليِّ

والناسُ أرضٌ وأهـلُ العلمِ فَوقَهمُ مثلُ السماءِ ومـا في النور ظلماءُ
وزمـرةُ العلمِ رأسُ الخَلقِ كلهمُ وسائر النـاسِ في التمثالِ أعضاءُ

ما كان لله دام واتصل (الوافر)

النفاق آفة كل العصور.. ابتلي به كثير من الناس ممن كانت الدنيا أكبر همهم، ومبلغ علمهم.. ولم يسلم منه إلا المخلصون الذين سمت نفوسهم، وخلصت نياتهم، وتجاوزت طموحاتهم الدنيا الفانية إلي الآخرة الباقية.. وقد اتخذ النفاق ألوانًا شتى، لعل أكثرها انتشارًا بين الناس تلك الصحبة التي لا تكون لله عز وجل، فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة .. أما ما كان لله فإنه يدوم بدوامه سبحانه، كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥]. وقال سبحانه ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧]. يقول الإمام رضي الله عنه:

تَـغَـيَّـرتِ الـمَـوَدَّةُ والإخَـاءُ وَقَـلَّ الـصِّـدْقُ وَانقَطَعَ الـرَّجَـاءُ[1]
وَأَسْـلَـمَـنـي الـزَّمـانُ إلـي صَـديـق كَـثِـيـرِ الـغَـدْرِ لَـيْـسَ لَـهُ رعـاءُ
وَرُبَّ أَخٍ وَفَـيْـتُ لَـهُ بِـحَـقٍّ وَلَـكِـنْ لا يَـدُومُ لـه وَفَـاءُ
أَخِـلَّاءٌ إذا اسـتَـغْـنَـيْـتُ عَـنْـهُـمْ وأَعـداءٌ إذا نَـزَلَ الـبَـلَاءُ[2]
يُـديـمُـونَ الـمَـوَدَّةَ مـا رَأَوْنـي وَيَـبْـقَـى الـوُدُّ مـا بَـقِـيَ الـلِّـقَـاءُ
وإنّ غُـيِّـبْـتُ عَـنْ أَحـدٍ قَـلَانـي وعَـقـبـنـي، بـمـا فـيـه اكـتِـفَـاءُ[3]
سَـيُـغْـنِـيـنِـي الَّـذي أَغْـنَـاهُ عَنِّي فَـلَا فَـقْـرٌ يَـدُومُ وَلَا ثَـرَاءُ[4]
وَكُـلُّ مَـوَدَّةٍ لِـلـه تَـصْـفُـو وَلَا يَـصْـفُـو مَـعَ الـفِـسْـقِ الإخَـاءُ
وكُـلُّ جِـرَاحَـةٍ فَـلَـهَـا دَوَاءُ وَسُـوءُ الـخُـلُـقِ لَـيْـسَ لَـهُ دَوَاءُ
ولَـيْـسَ بِـدَائِـمٍ أَبَـدًا نَـعِـيـمٌ كَـذَاكَ الـبُـؤْسُ لَـيْـسَ لـهُ بَـقَـاءُ
إذا أَنْـكَـرْتُ عِـهْـدًا مِـن حَـمِـيـمٍ فَـفِـي نَـفْـسِـي الـتَّـكَـرُّمُ والـحَـيَـاءُ

(١) الرجاء: المؤدَّة.

(٢) وقريب منه قوله الإمام الشافعي رحمه الله تعالي:
ولا خيرَ في وُدِّ امرئٍ متلوِّنٍ إذا الريحُ مالت مالَ حيثُ تميلُ
وما أكثرَ الإخوان حين تعدُّهم ولكنهم في النائبات قليل

(٣) قلاني: أبغضني وهجرني.

(٤) أغناه عني: أبعده.

إِذَا مَا رَأْسُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَلَّى ... بَدَا لَهُمُ مِنَ النَّاسِ الْجَفَاءُ [1]

من أمر النساء (الكامل)

للنساء طبائع خاصة بحكم ما فطرهن الله سبحانه وتعالي عليه، لذلك جاءت الوصية بهن.. ففي القرآن الكريم يقول الله سبحانه ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:١٩] ويقول الرسول ﷺ: «اسْتَوْصُوا بالنِّساء خَيْرًا؛ فَإِنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضلع، وَإِنَّ أَعْوَجَ مَا في الضِّلَعِ أَعْلاهُ، فَإِن ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بالنِّساء» [متفق عليه]، وفي ذلك حث على ملاطفة النساء، والإحسان إليهن، والصبر على عَوَج أخلاقهن، واحتمال ضعف عقولهن، وأنه لا يطمع باستقامتها. ومما لا يصح نسبته للإمام، رضي الله عنه، هذان البيتان:

دعْ ذِكْرَهُنَّ فَما لهنّ وفَاءُ ... ريحُ الصَّبَا وعهودُهن سَواء [2]
يكْسِرْنَ قلبَك ثمّ لا يجْبُرْنَهُ ... وَقلوبُهنَّ من الوَفَاءِ خَلاءُ!

هذا، إلا أن التاريخ العربي حافل بمواقف مشرفة للمرأة، كلها حب ووفاء، وتضحية وفداء.. منها تلك المرأة التى مات عنها زوجها، وكانت ذات جمال، فتقدم إليها من يطلب الزواج منها فردَّته وقالت واصفة حياتها مع زوجها:

كُنَّا كغُصنَيْن في أصلٍ غذاؤهما ... ماءُ الجداولِ في روْضاتِ جَنّات
فاجْتَثَّ خيْرَهما من جَنْب صاحبِهِ ... دَهْرٌ يَكرُّ بترْحاتٍ وفرحات [3]
وكان عاهدني إن خانني زمنٌ ... ألَّا يُضاجعَ أنثي بعد مَثْواتي
وكنتُ عاهدته إن خانه زمَنٌ ... ألَّا أبوءَ ببعلٍ طول مَحْياتي
فلم نَزَلْ هكذا والوصلُ شِيمتُنا ... حتَّى توفّي قريبًا مُذْ سِنيات
فاقبضْ عِنانَك عمن ليس يردَعُه ... عن الوفاءِ خلاف بالتحيات

السعي لجمع المال (الوافر)

المال نعمة من الله سبحانه، لاشك في ذلك، شريطة أن تكون مصادر اكتسابه من حلال، ووجوه إنفاقه في الحلال.. وهو أيضًا من زينة الدنيا، قال الله تعالي: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف:٤٦]، وهو في ذات الوقت فتنة، قال الله

(١) رأس أهل البيت: سيِّد البيت المطاع.. والجفاء: الجحود والنكران.
(٢) الصَّبا: ريح مهبُّها من مشرق الشمس إذا استوي الليل والنهار.
(٣) الترحات: الأحزان، ومقابلها الفرحات

تعالي ﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التغابن:١٥]. وعجيب أمر الإنسان الذي يسعي لجمع المال من حلاله وحرامه دون ورع، ويكتنزه، ثم يتركه لورثته لينعموا به من بعده، ويُحاسب عليه أمام الله وحده.. يقول الإمام رضي الله عنه:

وكَمْ ساعٍ لِيَثْرَى لَمْ يَنَلْهُ ... وآخرُ ما سَعَى لَحِقَ الثَّراء[1]
وساعٍ يَجْمَعُ الأموالَ جَمْعًا ... ليورثَها أعاديه شَقَاءَ
وما سِيَّانَ ذو خُبْرٍ بصيرٌ ... وآخرُ جَاهِلٌ ليسا سَواءَ
ومَنْ يستَعْتب الحِدْثانَ يومًا ... يكنْ ذاكَ العتابُ له عَنَاء
ويُزْري بالفتى الإعدامُ حتى ... متى يُصَبِ المقَالَ يُقَل: أساءَ[2]

لا تركن إلي الدنيا (الطويل)

المؤمن يعلم يقينا أن الدنيا زائلة، زائل ما فيها، فلا يغتر بزخرفها ولا يركن إلي نعيمها، وهي كما صورها القرآن الكريم: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف: ٤٥].. وقال سبحانه: ﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [العنكبوت:٦٤]، وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: نَامَ رسول الله، ﷺ، على حَصير، فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِه. قُلْنَا: يا رَسُولَ الله لو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً[3]! فقال: «ما لي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا» [رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح]. يقول الإمام، رضي الله عنه:

تَحَرَّزْ مِنَ الدُّنيا فإنَّ فَنَاءَها ... مَحَلُّ فَنَاء لَا مَحَلُّ بَقَاء[4]
فَصَفْوَتُها مَمْزُوجَةٌ بِكَدُورَةٍ ... وَرَاحَتُها مَقْرُونَةٌ بِعَنَاء

ولو قيل للدنيا: صفي نفسك.. ما عدت ما وصفها به أبو نواس في قوله[5]:

وما النَّاسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ ... وذو نسبٍ في الهالكين عريق
إذا امْتَحَنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفت ... له عن عَدُوٍّ في ثياب صديق

حال الإنسان بين الرخاء والبلاء (الخفيف)

الدنيا لا أمان لها، ولا استقرار فيها.. أمورها متقلبة بين عسر ويسر، غني وفقر، شدة ورخاء.. والمؤمن يعلم ذلك منها، ويعلم أن الأمر كله لله، وأن مع العسر يسرًا، وأن لا

(١) ليثري: ليصبح ثريا غنيا.
(٢) يزري: يعيب وينقص من قدره.. والإعدام: الفقر.
(٣) الوطاء: بخلاف الغطاء، وهو المهاد الوطئ.
(٤) تحرّز: احذر والفناء، بكسر الفاء: الساحة الواسعة في الدار.
(٥) المستطرف في كل فن مستظرف ص٥٧٨، بتحقيق محمد إبراهيم سليم، إصدار مكتبة ابن سينا.

مخرج من الضيق إلا بتقوى الله سبحانه، تحقيقًا لقوله تعالي: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]. ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق:٤] والعاقل من يستعين على الشدائد بالصبر، إيمانًا بقوله سبحانه ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]. يقول الإمام ،رضي الله عنه:

هِيَ حَالان : شِدَّةٌ ، وَرَخَاءُ ... وَسِجَالَان: نِعْمَةٌ وَبَلاءُ (١)
وَالفَتَى الحَاذِقُ الأَرِيبُ إِذَا ما ... خَانَةُ الدَّهْرُ لَمْ يَخُنْهُ عَزَاءُ
إِنْ أَلَمَّتْ مُلِمَّةٌ بِي فَإِنِّي ... فِي المُلِمَّاتِ صَخْرَةٌ صَمَّاءُ
عَالِمٌ بِالبَلاءِ عِلْمًا بِأَنْ لَيْـ ... ـسَ يَدُومُ النَّعِيمُ ولا الرخَاءُ

وقريب من ذلك قول الإمام الشافعي، رحمه الله:

الدهْرُ يومان : ذا أمنٌ وذا خطرٌ ... والعيشُ عيشان: ذا صفْوٌ وذا كَدَرُ

لا ترض بالذل.. فأرض الله واسعة (الوافر)

إذا قضي الله أمرًا فلا رادّ لقضائه.. فكن لقضاء الله مُذعنًا، واستعن على ذلك بالصبر والثقة به سبحانه، ولا تقم بدار ذل أبدًا، فأرض الله واسعة، والرزق مقسوم.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

إِذَا عَقَدَ القَضَاءُ عَلَيْكَ أَمْرًا ... فَلَيْسَ يَحُلُّهُ إِلَّا القَضَاءُ (٢)
فَمَا لَكَ قَدْ أَقَمْتَ بِدَارِ ذُلٍّ ... وَأَرْضُ اللهِ وَاسِعَةٌ فَضَاءُ
تَبَلَّغْ بِاليَسِيرِ فَكُلُّ شَيْءٍ ... مِنَ الدُّنْيَا يَكُونُ لَهُ انْقِضَاءُ

في رثاء النبي ﷺ (الطويل)

كانت وفاة رسول الله ﷺ، مصيبة كبري أصابت المسلمين، أذهلت عقولهم وأحزنت نفوسهم، على الرغم من إيمانهم بأن الموت قد كتبه الله على جميع من خلق بما فيهم رسول الله ﷺ، ففي القرآن الكريم يقول الحق سبحانه مخاطبًا نبيه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

(١) يقال: ساجله أي باراه وفاخره.

(٢) وردت هذه الأبيات في كتاب «تذكرة الخواص» لسبط ابن الجوزي. وكأن الإمام يتمثل قول الله تعالي: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ [النساء:٩٧].

وفي الأبيات التالية يرثي الإمام، رضي الله عنه، رسول الله ﷺ، ويعدد بعضًا من مآثره، فيقول:

أمِنْ بَعْدِ تَكْفِينِ النَّبيِّ وَدَفْنِهِ ... نَعيشُ بآلاءٍ وَنَجْنَحُ للسَّلْوَى (١)
رُزِئْنَا رَسولَ الله حَقًّا فَلَن نَرَى ... بِذَاكَ عَدِيلًا مَا حَيِينا مِنَ الرَّدى (٢)
وَكُنْتَ لَنَا كَالْحِصْنِ مِنْ دُونِ أَهْلِهِ ... لَهُ مَعْقِلٌ حِرْزٌ حَرِيزٌ مِنَ العِدَى (٣)
وَكُنَّا بِمَرْآهُ نُرى النُّورَ وَالهُدَى ... صَباحًا مَسَاءً رَاحَ فِينَا أَو اغْتَدَى (٤)
لَقَدْ غَشِيَتْنَا ظُلْمَةٌ بَعْدَ فَقْدِهِ ... نهارًا، وَقَدْ زَادَتْ عَلى ظُلْمَةِ الدُّجَى (٥)
فَيَا خَيرَ مَنْ ضَمَّ الجَوَانِحَ وَالحَشَا ... وَيَا خَيْرَ مَيْتٍ ضَمَّهُ التُّرْبُ وَالثَّرى (٦)
كَأَنَّ أُمُورَ النَّاسِ بَعْدَكَ ضُمِّنَتْ ... سَفينةُ مَوْجٍ ، حينَ في البَحْرِ قَدْ سَمَا
وَضَاقَ فَضَاءُ الأَرْضِ عَنَّا بِرُحْبِهِ ... لِفَقْدِ رسولِ الله إِذْ قيلَ: قَدْ مَضَى
فَقَدْ نَزَلَتْ بِالمُسْلِمينَ مُصِيبَةٌ ... كَصَدْعِ الصَّفَا لا شَعْبَ لِلصَّدعِ في الصَّفا
فَلَنْ يَسْتَقِلَّ النَّاسُ ما حَلَّ فيهُمُ ... وَلَنْ يُجْبَرَ العَظْمُ الَّذي مِنْهُمُ وَهَى (٧)
و في كل وقتٍ للصَّلاةِ يَهيجُهَا ... بِلالٌ وَيَدْعُو بِاسْمِهِ كُلَّما دَعَا
وَيَطْلُبُ أَقْوامٌ مَوارِيثَ هَالِكٍ ... وَفِينَا مَوارِيثُ النُّبُوَةِ والهُدَى

نصرة رسول الله ﷺ (الطويل)

مما ينسب إلي الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، يوم بدر، وقد كتب الله سبحانه وتعالى النصر للمسلمين، قوله:

نَصَرْنَا رَسُولَ الله لَمَّا تَدَابَرُوا ... وَثَابَ إِلَيْهِ المُسْلِمُونَ ذوو الحِجَى (٨)
ضَرَبْنَا غُوَاةَ النَّاسِ عَنْهُ تَكَرُّمًا ... وَلَمَّا يَرَوا قَصْدَ السَّبِيلِ ، وَلا الهُدَى (٩)
فَلَمَّا تبيَّنَّا بِالهُدَى كَانَ كُلُّنَا ... عَلى طَاعةِ الرَّحمنِ وَالحَقِّ والتُّقَى

(١) الآلاء: جمع (الإلَى ـ الأَلي) ، وهي النعمة .. وجنح : مال.. والسلوى: كل ما سلَّاك، يقال : سلاه ، أي نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.
(٢) رزئنا : أصبنا، والرُّزء : المصيبة، والجمع ارْزاء.
(٣) المعقل : الملجأ والحصن.. الحرز: المكان المنيع الذي يُلْجأ إليه.. الحريز: الحصين .. العِدى : الأعداء.
(٤) راح : سار في العشي، ويستعمل الرواح للمسير في أي وقت كان من ليل أو نهار، وكذلك الغُدُوّ.
(٥) الدجي : سواد الليل وظلمته.
(٦) الجوانح : جمع جانحة، وهي الضلع القصيرة مما يلي الصدر.. والحشا: ما دون الحجاب الحاجز مما يلي البطن.
(٧) جبر العظم: إصلاحه بعد كسره .. وَهى : ضعُف.
(٨) تدابروا : رجعوا على أعقابهم.. ثاب إليه المسلمون : أتوا متواترين.. ذوو الحجى: أصحاب العقول.
(٩) غواة : جمع غاوٍ وهو الممعن في الضلال..

الحياة أنفاس معدودة[1] (الطويل)

الحياة أنفاس معدودة، فكلما انقضى منها واحد انتُقص من العمر جزءًا.. هذا ما يذكرنا به الإمام في الأبيات التالية.. فيقول، رضي الله عنه:

حَياتُكَ أَنفاسٌ تُعَدُّ فَكُلَّما ... مَضى نَفَسٌ انتَقَصتَ بِهِ جُزءَا
وَيُحييكَ ما يُفنيكَ في كُلِّ حالَة ... وَيَحدُوكَ حادٍ ما يُريدُ بِكَ الهُزءَا [2]
فَتُصبِحُ في نَفسٍ وَتُمسي بِغَيرِها ... وَمالَكَ مِن عَقلٍ تُحِسُّ بِهِ رُزءَا [3]

السعي في طلب العيش والأخذ بالأسباب[4] (الوافر)

أمرنا الله عز وجل بالضرب في الأرض طلبا للرزق.. قال سبحانه: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك:١٥]. ولله در القائل:

توكَّلْ على الرحمن في الأمْـرِ كلِّه ... ولا ترغبنَّ في العجز يومًا عن الطلَبْ
ألَـمْ تَـرَ أن اللـه قـال لمريم ... وهـزِّي إليك الجذعِ يسّاقط الرطبْ
ولـو شـاء أن تجنيَه مـن غير هَـزّه ... جَـنَتْـه ولـكـنْ كـل رزقٍ لـه سببْ

وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

وَمَـا طَـلَـبُ الـمَـعيـشَـة بالتَّمَنّي ... ولَـكـنْ أَلْـقِ دَلْـوَكَ فـي الـدِّلَاء
تَـجِئْـكَ بِـمِـلْـئِـهَـا يَـومًـا وَيَـومًـا ... تَـجِئْـكَ بِـحَـمْـأَةٍ وَقَـلِـيـلِ مَـاء [5]

تفضل سيدي بالعفو عني[6] (الوافر)

في هذه الأبيات يناجي الإمام، رضي الله عنه، ربه، معترفًا بضعفه وكثرة ذنوبه، راجيًا من الله العفو والصفح.. يقول رضي الله عنه:

أَلَـم تَـسـمَـعْ بِـفَـضلِكَ يـا مُنائي ... دُعَـاءً مِـن ضَـعـيـفٍ مُـبـتَـلائي
غَـريـقًـا فـي بـحـور الـغـمِّ حُـزنًـا ... أَسـيـرًا بـالـذنـوب وبـالـخـطـاء
أُنـادي بـالـتـضـرُّع كُـلَّ يـومٍ ... مُـجِـدًّا بـالـتـبـتُّلِ والـدُّعـاء

(١) عزى كثير من كتب الأدب هذه الأبيات لأبي العتاهية
(٢) الحادي: الذي يسوق الإبل ويحثها على السير بالغناء.. الهزء: السخرية.
(٣) الرزء: المصيبة
(٤) ينسب كثير من كتب الأدب هذه الأبيات لأبي الأسود الدؤلي.
(٥) الحمأة: القطعة من الطين الأسود المنتن.
(٦) ذكر هذه الأبيات الكيدري في «أنوار العقول» ولم ترد في معظم المصادر الخاصة بأشعار الإمام.

لقدْ ضاقتْ عليَّ الأرضُ طُرًّا ... وأهـلُ الأرضِ ما عـرفـوا دوائـي
فـخـذْ بـيـدي فـإنِّـي مُـستـجيرٌ ... بـعـفـوكَ يـا عـظـيـمُ ويـا رجـائـي
أتـيـتُـك بَـاكـيًـا فـارحـمْ شَبابي ... حَيائي مِـنْـكَ أكـثـرُ مِـنْ خَطائي
جَـزائِـي إنْ تُـعـذبْـني ولـكـنْ ... أعـوذُ بحسن عَـفْـوكَ مِـنْ جَزائي
ولـي هـمٌّ وأنـتَ الـيـومَ هَـمِّـي ... ولـي داءٌ وأنـت دواءُ دائـي
وأيـقـظـنـي رَجـائـي فـقـلـتُ رَبِّـي ... رَجـائـي إنْ تُـحـقـقـني رَجـائـي
تَـفَـضَّـل سَـيـدي بـالـعـفـوِ عَـنِّـي ... فـإنِّـي مِـنْ بَـلائـي مُـبـتـلائي

قافية الباء:

في وصف قومه (الطويل)

إذا ذُكِرت الشجاعة، ذُكر الإمام عليٌّ، رضي الله عنه.. إذ هو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف.. وكذا كان قومه .. يشهد لذلك ما خاضوه من معارك وجهاد في سبيل الله.. يقول الإمام، رضي الله عنه، عن قومه وشجاعتهم:

أَلَـمْ تَـرَ قومي إذْ دَعَـاهُـمْ أَخُـوهُـمُ ... أَجَابُوا، وإنْ أَغْضَبْ عَلى القَوم يَغْضَبُوا
هُـمُ حَفظوا غَيبي كَمَا كُنتُ حَافظًا ... لِـقَـوْمـي أُخـرى مِثْلَهَا إذْ تَغَيَّبُوا
بَنُو الحَرْبِ لَـمْ تَقْعُدْ بِهِم أُمَّهَاتُهُمْ ... وَآبَـاؤُهُـمْ آبـاءُ صِـدْقٍ فَأَنْجَبُوا (١)

أنا عليٌّ، ومنا النبيُّ ﷺ (الرجز)

مما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، هذه الأبيات التي أنشدها في مبارزة أحد أعدائه.. يقول، رضي الله عنه:

أَنـا عَـلـيٌّ وابـنُ عَـبْـدِ المُطَّلِب ... نَحْنُ ـ لعمرُ الله ـ أَوْلَـى بالكُتُبْ (٢)
منا الـنَّـبـيُّ المُـصْـطَفي غير كَـذِبْ ... أَهْـل الـلِّـوَاء والمَقَام والحُجُبْ (٣)
نحن نَـصَـرْنَـاه على جُـلِّ العربْ ... يا أيُّها العبدُ الغريرُ المنتدبْ (٤)
أثبتْ لنا يا أيُّها الكَلْبُ الكَلِبْ (٥)

(١) قعد عن الأمر: تركه وأهمله.
(٢) أولى بالكتب: أحق بالنبوة والرسالة..لعمر الله : قسم.
(٣) أهل المقام: المراد مقام إبراهيم عليه السلام.. والحجب: المراد حجابة البيت الحرام.
(٤) الغرير: الغافل الجاهل.
(٥) الكلبُ الكلب: المصاب بداء السعار والجنون.

عراقة النسب (الرجز)

في مبارزة للإمام، يوم حنين، لأحد أعدائه، ويدعي الربيع بن أبي الحقيق، قال رضي الله عنه مفتخرًا بنسبه:

أَنَـا الـغُـلَامُ الـعَـرَبِـيُّ الْمُنْتَسِبْ ... مِنْ خَيرِ عُودٍ فِي مُصَاصِ الْمُطَّلِبْ [1]
يـا أَيُّـهـا الـعَـبْـدُ اللَّئِيمُ الْمُنْتَدِبْ ... إِنْ كُنتَ لِلْمَوْتِ مُحِبًّا فَاقْتَرِبْ [2]
وَاثْبُتْ رُوَيْـدًا أَيُّها الْكَلْبُ الْكَلِبْ ... أَوْ لَا، فَـوَلِّ هَـارِبًـا ثُـمَّ انْـقَـلِـبْ

الإسلام أشرف نسب (الطويل)

عندما أسلم الصحابي الجليل «سلمان الفارسي»، اختلف المهاجرون والأنصار، كلهم يريد أن ينتسب سلمان إليهم.. وكان الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، يقول: «سلمان منَّا أهل البيت». لقد رفع الإسلام شأن سلمان، الذي جاء من بلاد فارس بحثًا عن الحقيقة، فهداه الله إلي الإسلام. بينما حط الكفر من شأن أبي لهب وهو الشريف في قومه.. وكفي بالإسلام شرفًا.. يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

لَـعَـمْـرُكَ مـا الإِنْـسَـانُ إِلَّا بِـديـنِـه ... فَلا تَتْرُكِ التَّقْوَى اتِّكَالًا عَلى النَّسَبْ
فَـقَـدْ رَفَـعَ الإِسْـلامُ سَـلْـمَـانَ فَـارِسٍ ... وَقَدْ وَضَعَ الشِّركُ الشَّرِيفَ أَبا لَهَبْ [3]

لا تقنط.. ففرج الله قريب[4] (الوافر)

عن الحسن قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا مسرورًا فرحًا وهو يضحك ويقول: «لن يغْلبَ عُسْرٌ يُسرين، فإن مع العُسر يُسْرًا، إنَّ مع العسر يُسْرًا»[5]. ولله در القائل:

تَـصَـبَّـرْ أَيُّـهـا الـعَـبْـدُ اللبيب ... لَـعَـلَّـك بـعـد صَـبْـرِك مـا تخيب
وكُـل الـحـادثـات إذا تناهت ... يَـكُـون وراءهـا فَـرَجٌ قَـريـب

ومما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، في ذلك قوله:

(١) المصاص: خالص كل شيء، يُقال: فلان مُصاص قومه: إذا كان أخلصهم نسبًا.
(٢) المنتدب: المسارع المستجيب، ويبدو من السياق أن الإمام رضي الله عنه، كان يخاطب من يبارزه أو يقاتله.
(٣) سلمان: هو سلمان الفارسي، صحابي جليل، من أصل فارسي، كان الصحابة يسمونه «سلمان الخير»
(٤) ذكر هذه الأبيات الحافظ ابن كثير في تفسيره، عند تفسير سورة الشرح وعزاها لأبي حاتم السجستاني، وكذا ذكرها في البداية والنهاية ٨/ ١١.
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره عند تفسير سورة الشرح، نقلا عن ابن جرير.

إذَا اشْتَمَلتْ عَلَى اليَأْس القُلوبُ ... وَضَاقَ لما به الصَّدْرُ الرَّحِيْبُ (١)
وَأَوْطَنَتِ المكَارهُ واسْتَقَرَّتْ ... وَأَرْسَتْ فِي أَمَاكِنِهَا الخُطُوبُ (٢)
وَلَم تَرَ لانْكِشَافِ الضُرِّ وَجْهاً ... وَلا أَغْنى بِحِيلَتِهِ الأَرِيبُ (٣)
أَتَاكَ عَلَى قُنُوطٍ مِنْكَ غَوثُ ... يَمُنُّ بِهِ اللَّطِيفُ المستجيبُ (٤)
وكُلُّ الحَادِثَاتِ إِذَا تَنَاهَتْ ... فَمَوْصُولٌ بِهَا فَرَجٌ قَرِيبُ (٥)

عند القبر الشريف (السريع)

جاء في كتاب «تذكرة الخواص» المعروف باسم «تذكرة خواص الأمة في خصائص الأئمة» لسبط ابن الجوزي : وقال الشعبي بلغني أن أمير المؤمنين وقف على قبر رسول الله ﷺ وقال: إن الجزع لقبح إلا عليك، وإن الصبر ليجمل إلا عنك، ثم قال:

مَا غَاضَ دَمْعِي عِنْدَ نَازِلَةٍ ... إِلَّا جَعَلْتُكَ لِلبُكَا سَبَبَا (٦)
وإِذَا ذَكَرْتُكَ مَيِّتًا سَفَحَتْ ... عَيْنِي الدُّمُوعَ فَفَاضَ وَانْسَكَبَا (٧)
إِنِّي أُجِلُّ ثَرِّي حَلَلْتَ بِهِ ... عَنْ أَنْ أَرى لِسِوَاهُ مُكْتَئِبَا

في يوم الأحزاب (الكامل)

في السنة الخامسة من الهجرة النبوية كانت غزوة الأحزاب، وتعرف أيضًا بغزوة الخندق، حيث تجمع أعداء الإسلام، من قريش ومن ناصرها من قبائل اليهود، لمحاربة المسلمين والقضاء عليهم، وبالفعل بدأ الأعداء في محاصرة المدينة، ولما علم الرسول ﷺ بذلك استشار أصحابه فيما ينبغي فعله، واستقر رأي رسول الله ﷺ ومعه أصحابه على رأي سلمان الفارسي، رضي الله عنه، بحفر خندق حول المدينة، في الجهة التي يمكن أن يدخل منها الأعداء.. وحُفر الخندق، وما أن وصل جيش الأعداء إلى المدينة حتى وجدوا الخندق، ولم يكن لهم دراية به، وعجزوا عن اقتحامه، إلى أن تمكن أحدهم، ويدعي «عمرو بن عبد وُد» من اقتحامه ممتطيًا فرسه.. ونادي بأعلى صوته ، متحديًا؛ هل من مبارز؟ فتصدي له الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، حتى تمكن من قتله.. ثم أنشد(٨):

(١) الرحيب : الواسع الفسيح.
(٢) أوطنت المكاره: أقامت واستقرت ، والخطوب : الشدائد.
(٣) الأريب : الماهر البصير.
(٤) الغوث: الإعانة والنصرة.. والقنوط : اليأس.
(٥) الحادثات : النائبات والمصائب.
(٦) غاض: نقص، يقال: غاض الكرام: ذهبوا وقلُّوا .. النازلة: المصيبة الشديدة.
(٧) سفح : انصبَّ وانسكب
(٨) أورد ابن هشام في السيرة النبوية هذه الأبيات، مع بعض الاختلافات اللفظية، وقال: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي بن أبي طالب.. كما أوردها أيضًا سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» وأورد بعضها الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٢، ٣٣

عَبَدَ الحجارةَ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ ... وَعَبَدْتُ رَبَّ مُحَمَّدٍ بِصَوَابِ (١)
فَصَدَرْتُ حِينَ تَرَكْتُهُ مُتَجَدِّلا ... كالجِذْعِ بَيْنَ دكادكٍ وَرَوَابِي (٢)
وَعَفَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوَ أنَّنِي ... كُنْتُ المُقَطَّرَ بَزَّنِي أَثْوَابِي (٣)
لا تَحْسِبَنَّ اللهَ خَاذِلَ دِينِهِ ... ونَبِيِّهِ، يَا مَعْشَرَ الأَحْزَابِ!
أَعَلِيَّ تَقْتَحِمُ الفوارسُ هكذا ... عَنِّي وَعَنْهُمْ خَبِّرُوا أَصْحَابِي
فَاليَوْمَ تَمْنَعُنِي الفِرَارَ حَفِيظَتِي ... ومُصَمَّمٌ في الرَّأْسِ لَيْسَ بِنَابِي (٤)
أدّي عُمير حين أخلص صَقْلَه ... صافي الحديدةِ يستفيضُ ثوابي
فَغَدوتُ ألتمسُ القراعَ بمرهَف ... عضب، مع البتراءَ في إقرابِ (٥)
آلي ابنُ عَبْدٍ حِينَ جَاءَ مَحَارِبًا ... وَحَلَفْتُ فاسْتَمَعوا مِنَ الكَذَّابِ (٦)
أَنْ لا يَفِرَّ، وَلَا يُهَلِّل فَالْتَقَى ... رَجُلَانِ يَلْتَقِيانِ كُلَّ ضِرَابِ
وَغَدوتُ ألتمسُ القراعِ بصارم ... عضب كلون الملحِ، في إقرابِ
عَرَفَ ابْنُ عَبْدٍ حِينَ أَبْصَرَ صَارِمًا ... يَهْتَزُّ، أَنَّ الأَمْرَ غَيْرُ لِعَابِ

الأوجب .. والأعجب.. والأصعب.. والأقرب

(مجزوء البسيط)

هذه مجموعة من درر الإمام في الحكم والمواعظ..

فَرْضٌ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَتُوبُوا ... لَكِنَّ تَرْكَ الذُّنُوبِ أَوْجَبْ
وَالدَّهْرُ فِي صَرْفِهِ عَجِيبٌ ... وَغَفْلَةُ النَّاسِ فِيهِ أَعْجَبْ (٧)
والصَّبْرُ في النَّائِبات صَعبٌ ... لَكِنَّ فَوتَ الثَّوابِ أَصْعَبْ
وَكُلُّ مَا يُرْتَجَى قَرِيبٌ ... وَالمَوتُ مِنْ كُلِّ ذَاكَ أَقْرَبْ

(١) في بعض الروايات «نصر الحجارة من سفاهة.. ونصرتُ ربَّ محمد».. والمراد بالحجارة الأصنام التي كانوا يعبدونها من دون الله.
(٢) متجدلا: لاصقا واقعا على الجدالة، وهي الأرض.. الدكاك : جمع دَكداك، وهو الرمل اللين.. والروابي: جمع رابية وهي ما ارتفع وعلا من الأرض.
(٣) المقطر : اسم مفعول من قولهم: قطَّرت الفارس: إذا ألْقيْتُه على قُطْرِيه، أي جَنبَيْه.. وبزَّني : سلبني.. والمعني : إنني قتلته ولم أفكر في سلبه، ولو أن الأمر كان عكس ذلك فكان هو الذي قتلني لسلبني وأخذ أثوابي.
(٤) الحفيظة : الحميّة والتقيّة والحذر، وأهل الحفائظ : المدافعون عن أعراضهم.
(٥) المرهف : السيف الرقيق الحاد.. والعضب : السيف الحاد القاطع.. إقراب : وضع السيف في قِرابه، أي في غمده.
(٦) آلي : حلف وأقسم
(٧) صرف الدهر: نوائبه وحدثانه.

تبت يداك أبا لهب!! (الطويل)

أبو لهب..وما أدراك ما أبو لهب؟!

إنه أحد أعمام النبي ﷺ، واسمه عبد العزي بن عبد المطلب، وكنيته أبو عتيبة، وإنما سُمي أبا لهب لإشراق وجهه... كان كثير الأذي للنبي ﷺ والبغض له والازدراء للإسلام.. كان النبي ﷺ ينادي في الناس «يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» فيرد أبو لهب ويقول: لا تسمعوا له ولا تتبعوه، إنه صابئ كاذب!! لقد كان عدوًّا لله ولرسوله.. نزل فيه قول الله تعالي: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد:١] أي خاب وخسر وضل عمله وسعيه.. يقول الإمام رضي الله عنه:

أَبَا لَهَبٍ تَبَّتْ يَدَاكَ أَبَا لَهَبْ ... وَتَبَّتْ يَدَاهَا تِلْكَ حَمَّالَةَ الحَطَبْ (١)
خَذَلْتَ نَبِيًّا خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... فَكُنْتَ كَمَنْ بَاعَ السَّلَامَةَ بِالعَطَبْ
لَحِقْتَ أَبَا جَهْلٍ فَأَصْبَحْتَ تَابِعًا ... لَهُ، وَكَذَاكَ الرَّأْسُ يَتْبَعُهُ الذَّنَبْ (٢)
فَأَصْبَحَ ذَاكَ الأَمْرُ عَارًا يُهِيلُهُ ... عَلَيْكَ حَجِيجُ الْبَيْتِ، فِي مَوْسِمِ العَرَبْ
وَلَوْ كَانَ مِن بَعضِ الأَعَادِي مُحَمَّدٌ ... لَحَامَيْتُ عَنْهُ بِالرِّمَاحِ وَبِالقُضُبْ (٣)
وَلَمْ يُسْلِمُوهُ أَو يُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... رِجَالٌ بَلاءٍ بِالحُرُوبِ ذَوُو حَسَبْ

وقد ذكر سبط ابن الجوزي هذه الأبيات في كتابه «تذكرة الخواص» مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

ذهب الوفاء!! (الكامل)

ذهب الوفاء!! يتحسر الإمام على ما صار إليه حال الناس!!

ظاهرهم صفاء ونقاء.. وباطنهم كراهية وبغضاء!!

إنه النفاق في أبشع صوره!! يقول الإمام، رضي الله عنه:

ذَهَبَ الوَفَاءُ، ذَهَابَ أَمْسِ الذَّاهِبِ ... فَالنَّاسُ بَيْنَ مُخَاتِلٍ وَمُوَارِبِ (٤)
يُفْشُونَ بَيْنَهُمُ المَوَدَّةَ وَالصَّفَا ... وَقُلُوبُهُمْ مَمْحُوَّةٌ بِمَعَارِبِ

(١) حمالة الحطب : هي أم جميل زوجة أبي لهب، واسمها أروي بنت حرب بن أمية، وهي أخت أبي سفيان، وكانت عونًا لزوجها على كفره وعناده وبغضه لرسول الله ﷺ.

(٢) أبو جهل ، هو عمرو بن هشام، سيد بني مخزوم، من قريش، كان من أعدى أعداء النبي ﷺ، كان من أبرز قادة جيش قريش في معركة بدر التى قتل فيها.

(٣) القضب: السيوف البتارة.

(٤) المخاتل: المخادع المراوغ، وكذا المواربة. وقد ذكر سبط بن الجوزي البيت الأول في كتابه «تذكرة الخواص». وجاء ذكر البيتين في بعض كتب الأدب بلا عزو.

من وصايا الإمام لابنه الحسن رضي الله عنهما

(الطويل)

هذه مجموعة من الوصايا القيمة يسديها الإمام لفلذة كبده الإمام الحسن، رضي الله عنهما.. ويحفظها التاريخ لتتناقلها الأجيال، ويهتدي بها كل من أراد أن يحيا كريمًا مصانًا مهابًا.. إنها خلاصة تجارب عاشها الإمام وخاض غمارها..

فهيا إليها نسترشد بها، ونعيش معانيها.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

أما بعدُ، فإنَّ الصبرَ كرمٌ، والحِلمَ شَرَفٌ، والأدبَ زَيْنٌ، والحفظَ سؤددٌ، والوفاءَ مروءةٌ، والبِرَّ مَرحمةٌ، والتَقوى سعادةٌ، والصدقَ حصنٌ، والأناةَ مُوَئِلٌ، والرفقَ مَعْقِلٌ، والغدرَ مَنْقَصَةٌ، والكذبَ شينٌ، والوقيعةَ خبٌّ، والنميمة ضغنٌ، والحقدَ تلفٌ، وإنَّ أفضل الإخوان مَنْ كانَ معينًا على التقوى، دَليلًا على الهُدى، حَافظًا للصديق، رَاعيًا للرفيق، مُواسيًا بنفسه، وماله في السراء والضراء، وكُنْ كما أقول[1]:

تَـرَدَّ رِدَاءَ الـصَّـبْـر، عِـنْـدَ الـنَّـوَائِـب ... تَنَلْ مِنْ جَميلِ الصَّبر حُسْنَ العَواقِب[2]

وَكُـنْ صَاحِبًا لِلْحِلْم في كُـلِّ مَشْهَد ... فَمَا الحِلْمُ إلَّا خَيرُ خِدْن وَصَاحِب[3]

وَكُـنْ حَافِظًا عَهْدَ الصَّدِيق وَراعِـيًا ... تَذُقْ مِنْ كَمَال الحِفْظ صَفْوَ المَشَارِب[4]

وَكُـنْ شَـاكِـرًا لِـلـه فِـي كُـلِّ نِعْمَة ... يُثِبْكَ عَلَى النُّعْمى جَزيلَ المواهِب[5]

وَمَـا الْـمَـرءُ إلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ... فَكُنْ طَالِبًا في النَّاس أعْلَى المَرَاتِب

وَكُـنْ طَالِبًا لِـلـرِّزْق مِـنْ بَـاب حِلِّه ... يُضَاعَفْ عَلَيْكَ الرِّزْقُ مِنْ كُلِّ جَانِب[6]

وَصُـنْ مِـنْـكَ مَـاءَ الـوَجْـه لا تَبْذُلَنَّهُ ... وَلَا تَـسْـأَلِ الأغـرابَ فَضْلَ الرَّغَائِب

وَكُـنْ مُوجِبًا حَـقَّ الصَّدِيقِ إذَا أَتَى ... إلَـيْـكَ، بِـبِـرٍّ صَـادِقٍ مِـنْـكَ وَاجِـب

وَكُـنْ حَافِظًا لِـلـوَالِـدَيْـنِ وَنَـاصِـرًا ... لِـجَـارِكَ ذِي التَّقوى وَأَهْـلِ التَّقَارُب

لا تضطرب!! (البسيط)

كثيرة هي نوائب الدهر!! ولا يأمن الدهرَ عاقلٌ!!

وإذا كان لا مفر من تلك النوائب فكيف للمرء أن يتقبَّلها؟

يري الإمام، رضي الله عنه، أن المؤمن لابد أن يتحلَّي بالصبر والثقة بالله عز وجل حتى يستطيع أن يتغلب على ما يعترض طريقه من صعاب وعقبات.. يقول رضي الله عنه:

(١) انظر «أنوار العقول» للكيدري.
(٢) تردَّ: فعل أمر بمعني البس.
(٣) الخدن: الصديق، والجمع أخدان.
(٤) الصفو: الصفاء، والصفو من الشيء: خياره وخالصه.
(٥) المواهب: العطايا والمنح.
(٦) من باب حله: من طرق حلال.

الـدَّهـرُ يَـخْـنُـقُ أَحْـيَـانًـا قِـلادَتَـهُ عَلَيكَ، لَا تَضْطَرِبْ فيهِ وَلَا تَثِبِ [1]
حَـتَّـى يُـفَـرِّجَـهـا فـي حَـالِ مُدَّتِها فَقَدْ يَـزِيـدُ اختناقًا كُـلُّ مُضْطَرِبِ

وقريب من ذلك قول الإمام الشافعي، رحمه الله تعالي:

وكـــرُبَّ نـازلـةٍ يضيقُ بها الفتى ذَرْعًـــا وعـنْـدَ الله منها المخْرجُ
ضاقتْ فلمَّا استحكمتْ حَلْقاتُها فُـرِجَـتْ وكـنـتُ أظـنّـهـا لا تفرجُ

احفظ ماء وجهك!! (الكامل)

خلق الله تعالي الإنسان وكرّمه، قال سبحانه ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠] ومن عجب أن يهين أحدهم نفسه ويعرضها للازدراء والسخرية لقاء منفعة رخيصة زائلة.. إن الإنسان مطالب بأن يصون نفسه وينأي بها عما يشينها وليحذر الوقوف على أبواب اللئام.. وليعلم إن الغني ليس عن كثرة العَرض وإنما الغني غني النفس.. وأن الأرزاق قدرها الله عز وجل منذ الأزل.. فلا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع.. وهذا ما قصده الإمام حيث يقول:

لا تَـطْـلُـبَـنَّ مَـعِـيـشَـةً بِـمَـذَلَّـةٍ وَارْبَـأْ بِنَفْسِكَ عَنْ دَنِيِّ المَطْلَبِ [2]
وَإِذا افْتَقَرْتَ فَـدَاوِ فَـقْـرَكَ بِالْغِنَى عَـنْ كُـلِّ ذِي دَنَـسٍ كَجِلْدِ الأَجْـرَبِ
فَـلْـيَـرْجِـعَـنَّ إِلَـيْـكَ رِزْقُـكَ كُـلُّـهُ لَـوْ كَـانَ أَبْـعَـدَ مِـنْ مَـقَـامِ الكَوْكَبِ

وقريب منه قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالي:

صُنْ النفسَ واحْملها على ما يزينُها تَـعِـشْ سالمًا والـقـول فيك جميل

صبور على ريب الزمان (الطويل)

مرة أخرى يعلمنا الإمام كيف يسمو الإنسان بنفسه ويصبر على نوائب الدهر.. فهو صلب جلد لا تؤثر فيه المحن والمصائب، بل تزيده قوة إلي قوته، وعزيمة إلي عزيمته، فهو لا يُري أبدًا وسط هذه المحن وتلك المصائب مكتئبًا فيشمت فيه الأعداء، ويحزن له الأحباب.. يقول الإمام، رضي الله عنه[3]:

فَـإِنْ تَسألني كَـيْـفَ أَنْـتَ؟ فَإِنَّنِي صَبُورٌ عَلى رَيْبِ الزَّمانِ صعيب [4]

(١) ذكر هذين البيتين الكيدري في «أنوار العقول» .. وجاءت في بعض المصادر بلا عزو.
(٢) اربأ: تنزه وترفع وقد ذكر الكيدري هذه الأبيات في «أنوار العقول».
(٣) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد: كتب عقيل بن أبي طالب إلي أخيه عليٍّ يسأله عن حاله، فكتب إليه عليٌّ، رضي الله عنه، وذكر البيتين، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.
(٤) صعيب: وفي بعض نسخ الديوان: صليب، وهو الشديد القوي.

حَـرِيـصٌ عَلى أَنْ لا يُـري بِـي كَآبَةٌ فَيَشْمُتَ عَـادٍ أو يُـسَـاءَ حَبِيبُ!

صور معكوسة!! (الطويل)

في مجتمع النفاق تُعكس الحقائق وتتبدل.. قد يُجهَّل العالمُ لكونه فقيرًا!!
وقد يسوَّد الجاهلُ لكونه غنيًّا!! وما ظنك بمجتمع هذا حاله؟! يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

يُغطِّي عُـيُـوبَ الـمَـرْءِ كَـثْـرَةُ مَالِهِ يُـصَـدَّقُ فيمَا قَـالَ وَهْـوَ كَـذُوبُ!
وَيُـزْرِي بِـعَـقْـلِ الـمَـرْءِ قِـلَّـةُ مَـالِـهِ يُحَمِّقُهُ الأَقْـوامُ وَهُـوَ لَـبِـيبُ[2]

ولله در القائل:

فـقـرُ الـفـتـى يُـذهـبُ أنـوارَه مثل اصْـفـرارِ الشمسِ عند المغيب
والـلـه مـا الإنـسـان فـي قـومـه إذا بُـلـيَ بـالـفـقـرِ إلا غـريـب

غلبني الفقر!! (الكامل)

يُنسب للإمام قوله: لو كان الفقر رجلًا لقتلته!! وكان النبي ﷺ يدعو ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من فتنة النار، وعذاب النار، ومن شرِّ الغني والفقر»[3]. ورحم الله القائل:

وكـلُّ مُـقـلٍّ حين يَـغْـدو لحاجة إلـى كل ما يلقي من الناس مُذْنبُ
وكـانـت بنو عمي يقولون مَرْحبًا فلما رأوْنـي مُعْدمًا مات مرحبُ!!

والإمام ،رضي الله عنه، تعرض لمحن كثيرة، ومصاعب جمة، تغلب عليها ودحضها، وتخلص منها، إلا الفقر..يقول الإمام، رضي الله عنه:

غَـالَـبْـتُ كُـلَّ شَـدِيـدَةٍ فغلَبْتُها وَالـفَـقْـرُ غَالَبَني فَـأَصْـبَـحَ غَالِبي
إنْ أُبْـدِهِ أُفْـضَـحْ وإنْ لَـم أُبْـدِهِ أُقْـتَـلْ فَقُبِّحَ وَجْـهُـهُ مِـنْ صَاحِبِ

(١) ذكر هذين البيتين الكيدري في «أنوار العقول» وجاءت في بعض المصادر ، كعيون الأخبار، بلا عزو، وقد جاء البيت الثاني في المستطرف بلا عزو هكذا:

وحسْبُك أن المرءَ في حال فقره تُحمقُه الأقوام وهو لبيب

(٢) يزري : يعيب ويحقر .. لبيب : ذو عقل.
(٣) رواه أبو داود والترمذي.

كيف تنال الدنيا؟ (الطويل)

خلق الله تعالي الخلق لعبادته، وضمن لهم الرزق، وما عليهم إلا أن يجتهدوا في الأخذ بالأسباب من سعي وضرب في الأرض.. قال تعالي ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ [الذاريات:٥٦-٥٨].. وقال سبحانه:﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات:٢٢] إن حظ الإنسان من الدينا لا ينال بفطنة ولا بفضل عقل، وإنما يكون طبقا لما قسمه الله عز وجل وقدره.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

فلو كانت الدُّنيا تُنالُ بفِطْنَة ... وَفَضْلِ وَعَقْلٍ، نِلْتُ أَعْلى المَراتِبِ
وَلكِنَّما الأَرْزَاقُ حَظٌّ وَقِسْمَةٌ ... بِفَضْلِ مَلِيكٍ لا بحيلَة طَالِبِ

فضل العقل (الطويل)

في كتاب الله عز وجل ، نجد الكثير من الآيات التي تحث على استخدام العقل ومرادفاته كالفكر واللب.. والعقل هو الوسيلة التي منحها الله سبحانه للإنسان من أجل الاستنباط، والاجتهاد، والفهم، وبه يتميز الإنسان عن سائر المخلوقات.. يقول الماوردي في أدب الدنيا والدين: اعلم أن لكل شيء أسًّا، ولكل أدب ينبوعًا، وأسُّ الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالي للدين أصلا، وللدنيا عمادًا، فأوجب التكاليف بكماله، وجعل الدنيا مدبَّرة بأحكامه.. قيل للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، صِفْ لنا العاقل.

فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه..

قيل : فصف لنا الجاهل.

قال: قد فعلتُ، يعني الذي لا يضع الشيء مواضعه.

يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

وَأَفضَلُ قَسْمِ الله لِلْمَرءِ عَقْلُهُ ... فَلَيْسَ مِنَ الخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهْ
إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ ... فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلاقُهُ وَمَآرِبُهْ
يَعِيشُ الفَتَى في النَّاسِ بالعَقْلِ إِنَّهُ ... عَلى العَقْلِ يَجْرِي عِلْمُهُ وَتَجَارِبُهْ
يَزِينُ الفَتَى في النَّاسِ صِحَّةُ عَقْلِهِ ... وإِنْ كَانَ مَحْظُورًا عَلَيْهِ مَكَاسِبُهْ
يَشِينُ الفَتَى فِي النَّاسِ قِلَّةُ عَقْلِهِ ... وَإِن كَرُمَتْ أَعْرَاقُهُ وَمَنَاصِبُه
وَمَنْ كَانَ غَلَّابًا بِعَقْلٍ وَنَجْدَةٍ ... فَذو الجَدِّ في أَمْرِ المَعِيشَةِ غَالِبُه [2]

(١) ذكر هذه الأبيات، مع اختلاف في ترتيبها ، الماوردي في «أدب الدنيا والدين» وعزاها لإبراهيم بن حسان.

(٢) النجدة: الشجاعة وسرعة الإغاثة.. وذو الجد: صاحب الحظ.

قيمة العلم والأدب (البسيط)

ثلاث وقفات يقف عليها الإمام ليصحح مفاهيمها عند العامة من الناس:

- البلية، وهي المحنة تنزل بالمرء ليختبر بها.. وكثيرة هي بلايا الزمان، وليس منها بد، وليس في ذلك عجب.. وإنما العجب في التغلب عليها والسلامة منها!!
- الجمال، وهو ما يحصره البعض في حسن المظهر، ونظافة الملبس وأناقته، إلا أن الإمام يصحح هذا المفهوم القاصر، ويوضح أن الجمال الحق إنما فيما يتحلي به الإنسان من علم وأدب.
- اليتيم ، وهو ما عرفه الناس بأنه من فقد أباه.. إلا أن الإمام يري أن اليتيم حقًّا هو من حُرم العلم والأدب.. يقول الإمام رضي الله عنه:

لَـيْـسَ الـبـلـيَّـةُ فـي أَيَّـامِـنـا عَجَبا ... بَلِ السَّلامةُ فِيهَا أعْجَبُ العَجَبِ[1]
لَـيْـسَ الـجَـمـالُ بـأثْـوابٍ تُـزَيِّـنُـنَـا ... إنَّ الجَمَالَ جَمالُ العِلْمِ وَالأَدَبِ
لَيْسَ اليَتِيمُ الـذِي قَـدْ مَـاتَ وَالِـدُه ... إنَّ اليَتِيمَ يَتِيمُ الـعِـلْـمَ وَالأَدَبِ

الأدب أعلى نسب (المنسرح)

يُنسب للإمام، وهو الحكيم ، قوله:

- الشرف بالعقل والأدب، لا بالأصل والنسب.
- أكرمُ النسب حُسْنُ الأدب.
- الحسبُ حُسْنُ الخُلُقِ
- الأدبُ خيْرُ ميراثٍ، وحسنُ الخلُق خيْرُ قَرين.

وها هو الإمامُ يعبِّر عن ذلك شعرًا فيقول، رضي الله عنه[2]:

كُـنِ ابْـنَ مَـنْ شِئْتَ واكتسِبْ أدَبًـا ... يُـغْـنِـيـكَ مَـحْـمُـودُهُ عَـنِ النَّسَبِ
فَـلَـيْـسَ يُـغْـنِـي الـحَـسِـيـبَ نِسْبَتُهُ ... بِـــلَا لِـــسَـــانٍ لَـــهُ وَلَا أَدَبِ
إنَّ الفَتَى مَـنْ يَـقُـولُ: هَـا أَنَـا ذا ... لَـيْـسَ الـفَـتَـى مَـنْ يـقـولُ كـان أبي

ومما يروي في ذلك، أن رجلًا تكلم بين يدي المأمون، فأحسن، فقال له المأمون: ابن مَنْ أنت؟

(١) أورد هذه الأبيات الكيدري في «أنوار العقول» وفيها:
إن اليتيم يتيم العقل والحسب .. وزاد بيتًا رابعًا جاء فيه:
مَنْ كان مفتخرًا بالمال والنسب ... فإنما فخرنا بالعلم والأدب
(٢) ذكر الأبشيهي في المستطرف البيتين الأول والثالث بلا عزو.

قال: ابن الأدب يا أمير المؤمنين.

قال: نعم النسبُ انتسبت إليه!! ولهذا قيل: المرءُ من حيث يثبت، لا من حيث ينبت، ومن حيث يوجد، لا من حيث يولد[1].

بم يتفاخر الناس ويتمايزون؟ (الرمل)

إذا كان الناس جميعًا ينتسبون لأب واحد وهو آدم، وإلي أم واحدة، وهي حواء.. فلم التفاخر بالأحساب والأنساب؟! ألا يعتبر حينئذ التفاخر بالأحساب والأنساب ضربًا من ضروب الجهل والغباء؟! إن ما ينبغي أن يفخر به الإنسان حقًا، هو ما وهبه الله تعالى من عقل راجح، وأدب جم، وحياء وعفاف.. فذلك من أجل النعم وأجمعها لكل خصال الخير، مما يوجب شكرها والاعتراف بها من باب قوله سبحانه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحي:١١]. وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَيُّهَا الْفَاخِرُ جَهْلاً بِالنَّسَبْ ... إِنَّمَا النَّاسُ، لأُمٍّ وَلأَبْ [2]

هَلْ تَرَاهُمْ خُلِقُوا مِنْ فِضَّةٍ ... أَمْ حَدِيدٍ أَمْ نُحَاسٍ أَمْ ذَهَبْ

بَلْ تَرَاهُمْ خُلِقُوا مِنْ طِينَةٍ ... هَلْ سِوَى لَحْمٍ وعَظْمٍ وَعَصَبْ؟

إِنَّمَا الْفَخْرُ لِعَقْلٍ ثَابِتٍ ... وَحَيَاءٍ وَعَفَافٍ وَأَدَبْ

صبرًا يا نفس!! (البسيط)

كثيرة هي نوائب الدهر ومصائبه!!

وكثيرًا ما تجزع النفس البشرية لذلك، ويعتريها حالة من الضيق والضجر.. والمؤمن عليه أن يوطد نفسه ويصبرها، ليقينه أن تلك طبيعة الأيام والليالي، وأن كل نازلة، مهما تعاظم خطرها، فلابد وأن تتحطم على صخرة الصبر.. فإن مع العسر يسرًا. والإمام يؤكد هذا المعني، ويحذرنا من أن يتسرب اليأس إلي نفوسنا، وتظلم الدنيا في أعيننا .. فإن فرج الله آت.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

إِنِّي أَقُولُ لِنَفْسِي وَهْيَ ضَيِّقَةٌ ... وقَدْ أَنَاخَ عليها الدهرُ بالعجب [3]

صَبْرًا عَلى شِدَّةِ الأَيَّامِ إِنَّ لها ... عُقْبَى وَمَا الصَّبْرُ إِلاَّ عِنْدَ ذِي الحَسَب [4]

سيفتحُ اللهُ، عن قُرْبٍ، بنافعةٍ ... فيها لِمِثْلِكَ رَاحَاتٌ مِنَ التَّعَبِ

(١) راجع المستطرف ص٣٤، بتحقيق محمد إبراهيم سليم، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

(٢) ذكر هذه الأبيات الكيدري في «أنوار العقول»، وجاءت بلا عزو في كثير المصادر.

(٣) يُقال: أناخ به البلاء والذل: حل به ولزمه.. وقد ذكر الكيدري هذه الأبيات في «أنوار العقول» ونسبها للإمام بينما ذكرتها بعض المصادر بلا عزو.

(٤) العقبي: آخر كل شيء وخاتمته.

وفي هذا المعني يقول الإمام الشافعي، رحمه الله تعالي:

صبرًا جميلًا ما أقرب الفَرجا ... مَنْ راقب اللهَ في الأمور نجَا
مَنْ صَدَّق الله لم ينلْه أذى ... ومن رَجاه يكون حيث رجا

أدّبتُ نفسي (المنسرح)

الإنسان في صراع دائم مع نفسه، إذ كثيرًا ما تجنح إلي السوء، وهذا ما حكاه القرآن الكريم على لسان نبي الله يوسف عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣]. وفي تجربة ذاتية للإمام على، رضي الله عنه، يذكر أنه لم يجد وسيلة لتأديب نفسه وتهذيبها أفضل من تذكيرها الدائم بتقوى الله عز وجل.. وتقوي الله خشيته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه.. ومن ذلك تجنب الكذب، والتزام قول رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقلْ خيرًا أو ليصمت»(١).. وترك الغيبة، والوقيعة بين الناس.. وليعلم الإنسانُ أنه إذا كان الكلامُ من فضة، فإن السكوتَ من ذهب.. يقول الإمام، رضي الله عنه(٢):

أَدَّبتُ نفسي فما وَجَدتُ لها ... بغير تقوى الإله من أَدَب
في كُلِّ حالاتها وإن قَصُرَت ... أفضَلُ من صَمتها عَلى الكَذِب
وَغيبَة الناس إنَّ غيبَتَهُم ... حَرَّمَها ذو الجَلال، في الكُتُب(٣)
إن كانَ من فِضَّةٍ كَلامُكِ يا ... نَفسُ، فَإنَّ السُكوتَ من ذَهَب!

مداراة الرجال (الوافر)

يُذكر أن الإمام، رضي الله عنه، قال لبنيه يومًا: يا بنيَّ إياكم ومعاداة الرجال، فإنهم لا يخلون من ضربيْن: عاقل يمكر بكم.. أو جاهلٍ يعجل عليكم.

ثم قال:

سَليمُ العِرْض مَنْ حَذِر الْجَوابا ... ومَن دَارى الرِّجالَ فقد أَصابَا(٤)
ومن هَاب الرِّجال تهيَّبوه ... ومَن يُهِن الرجالَ فلن يُهابَا

(١) رواه الشيخان.
(٢) ذكر هذه الأبيات الكيدري في «أنوار العقول» وعزاها للإمام إذ قال: وله في فضل السكوت، ثم ذكرها، بينما جاءت في بعض المصادر بلا عزو.
(٣) أي في الكتب السماوية، وفي القرآن الكريم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢]
(٤) العرض: ما يمدح ويذم من الإنسان، سواء كان في نفسه أو سلفه، أو من يلزمه أمره.. يُقال: داري الرجل: لاطفه، ولايَنَه، ورفق به، واتقاه.

وقريب من ذلك ما نسب للإمام الشافعي في قوله:

ومـن هَـاب الـرِّجـال تـهـيَّبـوه ... ومَـنْ حَـقَـر الـرجـالَ فلن يُهابا

ومـا قَـضـتِ الـرجـالُ لـه حقوقا ... ومَـنْ يَعْصِ الرجالَ فما أصابا [1]

الصبر على جهالة الجاهل (الوافر)

ماذا لو جَهِلَ عليك سفيهٌ طائش؟ هل تجاريه في جهله وحمقه وترد عليه السيئة بالسيئة؟ أم تعرض عنه تنزها وترفعًا؟ لاشك أن الإعراض عنه، والصبر عليه أفضل طرق السلامة وأشرفها.. هذا ما يوصي به الإمام علي، رضي الله عنه، حين يقول:

وَذِي سَـفَـهٍ يُـواجِـهُـنـي بـجَـهْـلٍ ... وَأَكْـرَهُ أَنْ أكُـونَ لَـهُ مُجيبَا [2]

يَـزيـدُ سَـفَـاهَـةً وَأَزِيـدُ حِـلْـمًـا ... كَـعُـودٍ زَادَ بـالإِحْـرَاقِ طِيبَا

اصبر على ظلم السفيه[3] (الكامل)

ولا يزال الإمام يوصي بالصبر على ظلم السفيه.. والحرص على ستر عيوب الصديق وغفران زلاته.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

اعْـذُرْ أَخَـاكَ عَـلـى ذُنـوبـه ... واسْـتُـرْ وَغَـطِّ عَـلـى عُـيـوبـهْ

وَاصْـبِـرْ عَـلـى ظُـلْـمِ السَّـفيـه ... ولـلـزَّمـانِ عَـلَـى خُـطُـوبـهْ [4]

وَدَعِ الـجَـوَابَ تَـفَـضُّـلَا ... وَكِـلِ الـظَّـلُـومَ إلـى حَـسِـيبـهْ [5]

واعْـلَـم بـأَنَّ الـحِـلْـمَ عند ... الـغَـيْـظِ أَحْـسَـنُ مـن رَكـوبـهْ

ومن جميل ما روي في ذلك ما ذكره الماوردي في «أدب الدنيا والدين» من أن بنت عبد الله بن مطيع قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري، وكان أجْودَ قريش في زمانه: ما رأيتُ قومًا ألأم من إخوانك؟!

قال: مَهْ، ولم ذلك؟

قالت: أراهم إذا أيسرت لزموك، وإذا أعسرت تركوك.

قال: هذا والله من كرمهم، يأتوننا في حال القوة بنا عليهم، ويتركوننا في حال الضعف

---

(١) ديوان الإمام الشافعي، تحقيق محمد إبراهيم سليم إصدار دار الطلائع، القاهرة، نقلًا عن «حلية الأولياء».

(٢) السفه: الطيش والجهل والحمق.. وقد ذكر البيتين الكيدري في «أنوار العقول» وعزاهما للإمام.. بينما ورد البيتان في ديوان الإمام الشافعي المسمي «الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس» وجاء البيت الأول هكذا:

يخاطبني السفيهُ بكل قُبح ... فأكره أن أكون له مجيبًا

(٣) ذكر هذه الأبيات الماوردي في أدب الدنيا والدين وعزاها للرضيِّ قال: قال أبو مسعود، كاتب الرضيِّ؛ كنا في مجلس الرضيِّ فشكا رجل من أخيه، فأنشد، وذكر الأبيات.

(٤) السفيه: الأحمق الجاهل.

(٥) كِل : فعل أمر بمعني سلِّم وفوِّض .. الحسيب : المحاسب

بنا عنهم.. ثم يعلق الماوردي فيقول: فانظر كيف تأوّل بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فِعْلهم حَسنًا، وظاهرَ غدْرهم وفاءً!!

ما أكثر الأعداء وأقل الأصدقاء!! (البسيط)

مما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله لابنه الحسن ، رضي الله عنه: يا بُنيَّ الغريب مَنْ ليس له حبيب! وقال بعض الأدباء: أفضل الذخائر أخٌ وفيٌّ..

ولكن : أين هذا الأخ الوفي؟ وكيف يمكن الحصول عليه؟

إنه عملة نادرة، في زمن قلّ فيه الوفاء، وكثر النفاق والخداع!! ولله در القائل:

سَمِعْنا بالصَّديق ولا نراه ... على التحْقيق يُوجد في الأنام
وأحْسَبُه مُحالاً نمقوه ... على وجه المجاز من الكلام

وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

علمي غَزيرٌ وأَخْلاقي مُهَذَّبةٌ ... ومَنْ تَهَذَّبَ يشْق في تهذّبه
لَو رُمْتُ أَلْفَ عَدُوٍّ كُنْتُ وَاجِدَهُمْ ... وَلَو طَلَبْتُ صَديقًا مَا ظَفِرْتُ بِهِ![1]

ومما ينسب إليه أيضًا في ذلك قوله: إذا كان الغدْرُ طبعا، فالثقة بكل أحدٍ عجز!!

زُرْ غِبًّا تزدد حُبًّا (الطويل)

رُوي عن رسول الله ﷺ قوله: «زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا»[2].

والغبُّ من أوراد الإبل: أن تَردَ الماء يومًا وتدعه يومًا ثم تعود.. ثم استعمل في الزيارة، يُقال : غَبَّ الرجلُ: إذا جاء زائرًا بعد أيام. وقد تأثر الإمام، رضي الله عنه، بهذا الحديث، فقال:

إذا رُمْتَ أنْ تُعلَى فَزُرْ مُتَواتِرًا ... وإن شِئْتَ أنَّ تَزْدَادَ حُبًّا فَزُرْ غِبًّا
منَادَمَةُ الإنسانِ تَحْسُنُ مرَّةً ... وإنْ أكثروا إدمانَها أفسدوا الحُبّا

وذكر عن أبي محمد بن هارون القرطبي، راوي الموطأ، قوله:

أقِلْ زيارة الإخوا ... نِ تزدَدْ عندهم قُرْبَا
فإن المصطفى قد قا ... ل زرْ غِبًّا تزدد حبًّا

(١) رُمْت : طلبتُ .. البيتان ذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».

(٢) رواه ابن حبان، وابن أبي شيبة، وذكره ابن حجر في فتح الباري عند شرح كتاب الأدب، باب : هل يزور صاحبه كل يوم؟

فقد الشباب وفرقة الأحباب (الكامل)

ما بكت العرب على شيء ما بكت على الشباب!! وهل يعود الشباب إذا ولَّي؟! إن الشيب قادم لا محالة ليحل محل الشباب.. وقد يتحايل البعض على إخفاء مظاهر الشيب بالخضاب وغيره، ولكن هيهات ثم هيهات.. وصدق من قال:

تسوّدُ أعلاها وتأبى أصولُها ... وليس إلى ردّ الشباب سبيل

وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

شَيْئَانِ لَوْ بَكَتِ الدِّمَاءَ عَلَيْهِمَا ... عَيْنَايَ، حَتَّى تَأْذَنَا بِذَهَابِ [1]

لَمْ تَبْلُغَا المِعْشَارَ مِن حَقَّيْهِمَا ... فَقْدُ الشَّبَابِ وَفُرْقَةُ الأَحْبَابِ

حال الدهر (الطويل)

الدهر، وما أدراك ما الدهر؟! لا يستقر على حال، وكما حكي القرآن الكريم: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] نداولها بين الناس بين فرح وحزن، وصحة وسُقم، وغني وفقر.. والدولة: الكرَّة.. قال الشاعر:

فيومٌ لنا ويومٌ علينا ... ويومٌ نُساءُ ويومٌ نُسرُّ

يقول الإمام، رضي الله عنه:

وَمَا الدَّهْرُ والأيامُ إلَّا كما تَرَى ... رَزِيَّةُ مَالٍ أَو فِراقُ حَبِيبِ [2]

وَإنَّ امرأً قَدْ جَرَّبَ الدَّهْرَ لَمْ يَخَفْ ... تَقَلُّبَ حَالَيْهِ لَغَيرُ لَبِيبِ!

قال حكيم: لا يأتي علينا زمان إلا بكينا منه، ولا يتولى عنا زمان إلا بكينا عليه.. قال الشاعر:

ربَّ يومٍ بكيتُ منه فلما ... صِرْتُ في غيره بكيتُ عليه

ومثله:

وما مَرَّ يومٌ أرْتجي فيه راحةً ... فأخبرُه إلَّا بكيْتُ على أمسي

عند قبر الحبيب (الطويل)

وقف الإمام، أمام قبر زوجته فاطمة الزهراء، رضي الله عنهما، وأنشد هذه الأبيات

(١) تأذنا: تعلمان بفقد نعمة البصر.. والبيتان ذكرهما الكبدري في «أنوار العقول» وذكرهما الأبشيهي في المستطرف بلا عزو، انظر المستطرف في كل فن مستظرف، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٣١٣.

(٢) الرزية، والرزيئة: المصيبة.

مسلّمًا عليها، فلم ترد عليه السلام.. ثم يخاطبها مذكرًا إياها بما كان بينهما من ودٍّ، وكأنها تسمعه.. ثم يجيب عنها بلسان حالها وهي في قبرها قد أكلها التراب!! إنه حوار يفيض بعاطفة جياشة بين زوجين حبيبين جمع بينهما الإيمان في الدنيا، ولم يفرقهما إلا الموت على أمل أن يجمع بينهما المولي عز وجل في دار الخلد.. يقول الإمام في هذا الحوار:

مَا لي وَقَفْتُ على القُبورِ مُسلِّمًا ... قَبْرَ الحَبِيْبِ فَلَمْ يَرُدَّ جَوَابي؟ (١)

أَحَبِيبُ مَالَكَ لا تَرُدُّ جَوَابَنَا ... أَنَسِيتَ بَعْدِي خُلَّةَ الأَحْبَابِ (٢)

قَالَ الحَبِيْبُ: وَكَيْفَ لِي بِجَوَابِكم؟ ... وَأَنَا رَهِينُ جَنَادِلٍ وَتُرَابِ؟ (٣)

أَكَلَ التُّرابُ مَحاسِني فَنَسِيتُكم ... وَحُجِبْتُ عَنْ أَهْلِي وَعَنْ أَتْرابي (٤)

فَعَلَيْكُمُ مِنِّي السَّلامُ تَقَطَّعَتْ ... مِنِّي ومِنْكُمْ خُلَّةُ الأَحْبَابِ

ألا لعنة الله للكاذب (المتقارب)

كان الوليد بن المغيرة المخزومي، من أشهر بطون قريش، وكان ثريًّا واسع الثراء.. وهو والد خالد بن الوليد، سيف الله المسلول .. وقد رزقه الله تعالى الكثير من الأبناء، وكان يفخر بذلك.. وفيه نزل قوله تعالى: ﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ [المدثر: ١١-١٥].

وكان الوليد شديد العداوة لله ولرسوله، ومواقفه معروفة مشهورة في الصد عن سبيل الله ووصفه للنبي ﷺ بأنه ساحر.. والإمام عليٌّ هنا يذكر من هو ومن يكون ذلك الوليد؟

إنه لا يخاف الوليد، ويذكره بما سيلحقه من لعنة الله عز وجل بسبب تكذيبه لرسوله ﷺ:

يُهَدِّدُنِي بِالعَظِيمِ الوَلِيدُ ... فَقُلْتُ: أَنَا ابْنُ أَبِي طَالِبِ

أَنَا ابْنُ المُبَجَّلِ بِالأَبْطَحَيْنِ ... وَبِالبَيْتِ مِن سَلَفِي غَالِبِ (٥)

فَلا تَحْسَبَنِّي أَخَافُ الوَلِيدَ ... وَلَا أَنَنِي مِنْهُ بِالهَائِبِ (٦)

فَيَا بْنَ المُغِيرَةِ إِنِّي امْرُؤٌ ... سَمُوحُ الأَنَامِلِ بِالقَاضِبِ (٧)

(١) قبر الحبيب: قبر فاطمة الزهراء رضي الله عنها.

(٢) أحبيب: أسلوب نداء، فيه الهمزة لنداء القريب، وحبيب : منادي.. خلة: الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله، أي في باطنه.

(٣) جنادل : جمع جندل ، وهي الحجارة.

(٤) الأتراب : جمع تِرْب: المماثل في السن، وأكثر ما يستعمل في المؤنث.

(٥) المبجل : المعظم الموقَّر.. الأبطح أو البطحاء: المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار .. ومنه : أبطح مكة

(٦) الهائب: الخائف الحذر.

(٧) القاضب: القاطع من السيوف.

طَـويـلُ الـلِّـسَـان عَـلـى الشَّائِنِينَ قَصيرُ اللِّسَان عَلى الصاحب [1]
خَـسِـرتُـم بِـتَـكْـذِيـبِـكُـم لِـلـرَّسُـولِ تُـعِـيـبُـونَ مَـا لَـيـسَ بِـالـعَـائِـبِ
وَكَـذَّبْـتُـمُـوهُ بِـوَحْـيِ الـسَّـمـاءِ أَلا لَـعـنَـةُ الـلـهِ لِـلـكـاذِبِ

تبًا لك يا ابن عُتبة!! (الرجز)

في غزوة بدر، أول معركة فاصلة بين المسلمين والمشركين، برز ثلاثة من صفوف المشركين وهم: عتبة بن ربيعة، وابنه الوليد، وأخوه شيبة، وتحدوا المسلمين: هل من مبارز؟ فتصدي لهم : حمزة بن عبد المطلب، وعليُّ بن أبي طالب، وعبيدة بن الحارث.. فقتل حمزةُ شيبة، وقتل عليٌّ الوليد، وكرَّا على عتبة فقتلاه، واحتملا صاحبهما عبيدة جريحًا.. يقول الإمام عليٌّ وهو يجهز على الوليد:

تَـبًّـا وَتَـعـسًـا لـك يـا بـن عُتْبه [2] أسقيكَ من كـأسِ المنايا شَرْبَه [3]
ولا أبالي بعدَ ذلك غِبَّه [4]

اللهم ثبت قلبي (الرجز)

يدرك المؤمن قيمة الهداية بعد الغواية . قيمة النور بعد الظلمات .. لهذا فهو يشفق أن يعود إلي ظلمات الضلالة بعد أن منحه الله نور الهداية.. لذا فإنه يتجه دائمًا إلي الله سبحانه تعالى مناجيًا ومتوسلا ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ [آل عمران:٨]. وكان رسول الله ﷺ كثيرًا ما يدعو ويقول : «يا مقلب القلوب ثبِّتْ قلبي على دينك».. قالت عائشة رضي الله عنها :يا رسول الله، ما أكثر ما تدعو بهذا الدعاء! فقال ﷺ: «ليس من قلْب إلَّا وهو بيْن أصبعيْن من أصابع الرحمن، إذا شاء أنْ يُقيمَه أقامَه، وإذا شاء أن يزيغَه أزاغه».[5] يقول الإمام، رضي الله عنهَ، طالبا من الله سبحانه أن يثبت إيمانه:

يـا رب ثـبِّـتْ لـي قـدمـي وقلبي سُـبـحـانَـكَ الـلـهـمَّ أَنـت حسبي

شهادة راية رسول الله ﷺ للإمام (الطويل)

إنها الراية التى آثر بها النبي ﷺ عليًّا يوم خيبر.. فقد قال ﷺ في ذلك اليوم:
« لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلا يَفْتَحُ اللهُ عَلَى يَدَيْهِ. يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ. وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ».

(١) الشائنون : المبغضون الكارهون، وفي القرآن ﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴾ [الكوثر:٣]
(٢) تبًّا وتعسًا: خسرت وهلكت.
(٣) المنايا: جمع منيَّة : الموت.
(٤) الغبة: البلغة من العيش.
(٥) رواه الشيخان.

فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ[1] لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاس غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا. فَقَالَ: " أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب ؟ " فَقَالُوا : هُوَ يَا رَسُولَ الله يَشْتَكِي عَيْنَيْه . فَأَرْسلُوا إِلَيْه ، فَأُتِيَ به فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّه ﷺ فِي عَيْنَيْه. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ. حتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِه وَجَعٌ. فأَعْطَاهُ الرَّايَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ : يَا رَسُولَ اللَّه ، أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا. قَالَ : " انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَام وَأَخْبِرْهُم بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللَّه فِيه. فَوَاللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَم[2]"[3] .

وكان الإمام، رضي الله عنه، يقول: ما رمدتُ ولا صدعتُ منذ مسح رسول الله ﷺ وجْهي وتَفَلَ في عيْني يوم خيبر، وأعطاني الراية[4] . وعن هذه الراية يقول الإمام، رضي الله عنه:

سَتَشْهَدُ لِي بِالْكَرِّ وَالطَّعْنِ رايَةٌ ... حَبانِي بِها الطُّهرُ النَّبِيُّ المُهَذَّبُ [5]

وَتَعْلَمُ أَنِّي فِي الحُرُوبِ إِذَا الْتَظَى ... بنيرانِها اللَّيثُ الهَمُوسُ المُرَجَّبُ [6]

ومِثْلِيَ لاقى الهَولَ فِي مُفْظِعاتِهِ ... وفَلَّ لَهُ الجَيشُ الخَمِيسُ العَطَبْطَبُ [7]

وَقَدْ عَلِمَ الأَحياءُ أَنِّي زَعِيمُها ... وَأَنِّي لَدى الحَربِ العُذيقُ المُرَجَّبُ [8]

ما كان بين الإمام ومرحب اليهودي يوم خيبر

(الرجز)

في يوم خيبر خرج مَرْحَبُ اليهودي من حصن اليهود، وقد جمع سلاحه، ووقف متباهيًا مرتجزًا يقول:

قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرُ أَنِّي مَرْحَبُ ... شاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ [9]

إِذَا اللُّيُوثُ أَقْبَلَتْ تَلْتَهِبْ ... أَطْعَنُ أَحْيانًا وَحِينًا أَضْرِبُ [10]

(١) يدوكون : يخوضون ويتحدثون في ذلك.
(٢) حُمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منها.
(٣) رواه الشيخان ، وأحمد في مسنده.
(٤) رواه أحمد في مسنده.
(٥) حباني : أعطاني واختصني وأكرمني.
(٦) التظى : التهب واكتوى .. الليث : من أسماء الأسد. الهموس: الأسد الخفي الوطء، السيَّار بالليل.. المرجب: المهاب العظيم.
(٧) فُل: كسر، يُقال : فَلَّ السيْف: كسر حدَّه.. الجيش الخميس: الجيش الجرار، سُمي بذلك لأنه خمس فرق (المقدمة، والقلب، والميمنة، والميسرة، والساقة).
(٨) العذيق: تصغير عذق، وهي النخلة. يحملها، ورجَّب النخلة: دعمها ببناء تعتمد عليه، أو ضم أعذاقها إلي سعفاتها وشدها بالخوص لئلا تنفضها الريح.
(٩) شاكي السلاح: يريد أن سلاحه حاد قاطع.. ومجرب: قد جربوه في الشدائد.
(١٠) الليوث: جمع ليث وهو الأسد.

فرد عليه الإمام ، رضي الله عنه، قائلا:

أنا عَلِيٌّ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ مُهَذَّبٌ ذُو سَطْوَةٍ وَذُو غَضَبْ (١)
غُذِّيتُ فِي الحَرْبِ وعصْيانِ النُّوَبْ مِنْ بَيْتِ عِزٍّ لَيْسَ فِيهِ مَنْشَعَب (٢)
وَفِي يَمِينِي صَارِمٌ يَجْلُو الْكُرَبْ مَنْ يَلْقَنِي يَلْقَ الْمَنَايَا وَالعَطَبْ (٣)

وقريب منه ما نسب إليه من قوله رضي الله عنه:

أنا عَلِيٌّ وَابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ مُهَذَّبٌ ذُو سَطْوَةٍ وَذُو حَسَبْ
قِرْنٌ إِذَا لاقَيْتُ قِرْنًا لَمْ أَهَبْ مَنْ يَلْقَنِي يَلْقَ الْمَنَايَا وَالكُرَبْ! (٤)

أما ما كان من أمر مرحب بعد ذلك، فقد ذكر ابن هشام في السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ نادي: «مَنْ لهذا؟»، فخرج إليه محمد بن مسلمة، فدعا إليه رسول الله ﷺ وقال: «اللهم أعِنه عليه».. وبعد مبارزة شرسة تمكن محمد بن مسلمة من قتل مرحب اليهودي.

الغلام الغالبي (الرجز)

ومما ينسب إليه، حين قتل أحد اليهود ويدعي «ياسرًا» ارتجز بهذه الأبيات:

هذا لَكُمْ مِنَ الغُلام الغالبي مِنْ ضَرْبِ صِدْقٍ وَقَضَاءِ الوَاجب
وَفَالِقِ الهاماتِ وَالمناكِبِ أَحْمِي بِهِ قَماقِمَ الكتائب (٥)

أنا عليٌّ (الرجز)

كان الإمام يملك من الشجاعة ما لم يتوافر لغيره .. يتقدم الصفوف غير هيَّاب.. حتى لقبه عارفوه بأنه الأسد الغالب، ممزق الكتائب، ومظهر العجائب، ليث بن غالب.. يقول لأصحابه ناصحًا ومذكرًا: إن الموت طالب حثيث، لا يفوته المقيم ولا يعجزُه الهارب..إن أكرم الموت القتْلُ(٦)، والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألْفُ ضربةٍ بالسيف أهونُ عليَّ من ميتةٍ على الفراش(٧). يقول الإمام، رضي الله عنه:

أنا عَلِيٌّ وَابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ أَحمي ذِماري وأذُبُّ عن حَسَبْ (٨)
والموتُ خيرٌ للفتى من الهربْ

(١) ذو سطوة: صاحب بطش وقوة.
(٢) نوب : جمع نوْبة وهي النازلة.. والمنشعب : المتفرق المشتت.
(٣) العطب: الهلاك.
(٤) القرن: المثل في الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغير ذلك.
(٥) قماقم: جمع قمقام، وهو السيد الجامع للسيادة، الواسع الخير. والكتائب : جمع كتيبة، وهي فصيل من الجيش
(٦) يريد القتل في سبيل الدفاع عن الحق ورد كيد الباطل.
(٧) من نهج البلاغة.
(٨) الذمار : ما ينبغي حياطته والذود عنه كالأهل والعرض.. أذب : أدافع وأدفع.

وكثيرًا ما كان يرتجز بمثل ذلك، كما في قوله:

أنا ابـنُ ذي الحوضَين عبد المطلبْ وهاشم المُطْعِم في العام السَّغِبْ [1]
أوفي بميعادي وأحمي عن حسبْ

صفِّين (الطويل)

صفين ، تلك المعركة التى قامت بين الخليفة عليِّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، الذي كان واليًا على الشام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم اتسع نفوذه وسلطانه في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، ولما قُتل عثمان وبويع عليٌّ بالخلافة رفض معاوية مبايعة عليٍّ، بل فكر في أخذ البيعة لنفسه من أهل الشام، بعد أن أقنعهم بضرورة محاربة عليٍّ بحجة أنه تخاذل في الدفاع عن عثمان بن عفان.. وكان من نتائج هذه المعركة ما عُرف باسم «التحكيم»، الذي أدي إلي خروج بعض أنصار الإمام عليه، لأنه قبل بمبدأ التحكيم، وهؤلاء هم من عرفوا بعد ذلك باسم «الخوارج»وكان منهم «عبد الرحمن بن ملجم» الذي قتل الإمام في الخامس عشر من رمضان عام أربعين من الهجرة.. يقول الإمام عن صفين:

أبَـى الله إلَّا أنْ «صِفِّيـنَ» دَارُنَـا وداركـم ما لاحَ في الأُفْـقِ كَوْكَبُ
إلا أنْ تَموتُوا، أو نَـمُـوتَ وَمـا لَنا وَمَا لَكُمُ من حَوْمةِ الحَربِ مَهْرَبُ [2]

الليلُ هَوْل (الرجز)

عن شجاعته يقول الإمام، رضي الله عنه:

الـلـيْـلُ هَـــوْلٌ يُـرْهِـبُ المَهِيبا وَيُـذْهِـلُ الـمُـشَـجَّـعَ اللَّبِيبا [3]
فَـإِنَّـنـي أهْـــوَلُ مِـنْـهُ ذِيـبـا وَلَسْتُ أخْشَي الـرَّوْعَ وَالخُطُوبا [4]
إذا هَـــزَزْتُ الـصَّـارِمَ القَضِيبا أبْـصَـرْتُ مِـنْـهُ عَجَبًا عَجِيبا [5]

(١) السغب : شدة الجوع، وكان هاشم جدّ النبي ﷺ أول من هشم الثريد لقومه بمكة وأطعمه.
(٢) الحوْمة من القتال: أشد موضع فيه.
(٣) الهَوْل: الأمر المخيف المفزع .. المهيب: المعظم ذو الهيبة.
(٤) الذيب: الذئب.. الروع: الفزع الشديد.. الخطوب : جمع خطب، وهو الأمر الشديد.
(٥) الصارم القضيب : السيف القاطع.

الأزد سيفي (البسيط)

الأزد من قبائل العرب القحطانية وأكثرها شهرة، بطونها كثيرة، زادت على ستة وعشرين بطنًا كبيرًا، ومن بطونها : الأوس والخزرج. بلغ الأزد من المجد قمته، ومن الشرف ذروته، حفظ التاريخ ذكرهم، وهم أول القبائل العربية إيمانًا برسالة الإسلام، ودفاعًا عنه.. يقول الإمام علي، رضي الله عنه، في مدحهم وذكر شمائلهم :

الأَزْدُ سَيْفِي عَلَى الأَعْـدَاءِ كُلِّهِمُ ... وَسَيْفُ أَحْمَدَ مَنْ دَانَـتْ لَهُ العَرَبُ

قَـوْمٌ إذا فاجئوا أَبْـلَـوا وإن غُلِبُوا ... لَا يَحجِمُونَ وَلَا يَدْرونَ مَا الهَرَبُ (١)

قَـومٌ لَـبُـوسُـهُـمْ فـي كُـلِّ مُـعْـتَـرَكٍ ... بيضٌ رِقَـاقٌ وَدَاوُدِيَّـةٌ سَلَبُ (٢)

البيضُ فَـوْقَ رُؤُوسٍ تَحتَها البَلَبُ ... وَفي الأَنامِلِ سُمْرُ الخطِّ وَالقُضُبُ (٣)

البيضُ تَضْحَكُ والأَجَـالُ تَنْتَحِبُ ... وَالسُّمْرُ تَرْعَفُ والأَرْوَاحُ تَنْتَهِبُ (٤)

وأَيُّ يَـوْمٍ مِـنَ الأَيَّـامِ لَـيْـسَ لَهُم ... فيه مِنَ الفعْلِ ما مِنْ دُونِـه العَجَبُ ؟

الأَزْدُ أَزْيَـدُ مَـنِ يَمشي عَلَى قَـدَمٍ ... فَـضْـلًا، وَأَغْـلَاهُـمُ قَـدْرًا إذَا رَكِبُوا

يَـا مَعْشَرَ الأَزْدِ أَنْـتُـمْ مَعْشَرٌ أُنُـفٌ ... لَا يَضْعُفُونَ إذَا مَا اشْتَدَّت الحِقَبُ (٥)

وَفَـيْـتُـم وَوَفَـاءُ الـعَـهْـدِ شِيمَتُكُمْ ... وَلَـمْ يُخالِطْ قَديمًا صِدْقَكُمْ كَـذِبُ

إذا غَضِبْتُمُ يَهَابُ الخَلْقُ سَطْوَتَكُم ... وَقَـدْ يَهُونُ عَلَيْكُمْ مِنْهُمُ الغضَبُ

يا مَعْشَرَ الأَزْدِ إنِّـي مِـنْ جموعِكُمُ ... رَاضٍ وَأَنْتُمُ رُؤُوسُ الأَمْـرِ لَا الذَّنَب

لَـنْ يَيْأَسَ الأَزْدُ مِـنْ رُوحٍ وَمَغْفِرَةٍ ... وَاللَّه يَكْلؤهُم مِنْ حَيْثُ ما ذَهَبُوا (٦)

طِبْتُم حَديثا كَما قَـدْ طـابَ أَوَّلُـكُـمْ ... والشَّوْكُ لا يُجْتَنَى مِن فَرْعِهِ العِنَبُ

والأَزْدُ جُرثُومَةٌ إن سُوبقُوا سَبَقُوا ... أَوْ فُوخِرُوا فَخَرُوا أَوْ غُولِبُوا غَلَبُوا (٧)

أَو كُوثِرُوا كَثروا، أو صُوبِرُوا صَبَرُوا ... أو سُوهِمُوا سَهَمُوا، أَوْ سُولِبُوا سَلَبُوا

صَـفَـوا فَـأَصْـفَـاهُـمْ الـبَـارِي وَلَايَـتَـهُ ... فَلَمْ يَشِبْ صَفْوَهُمْ لَهوٌ وَلَا لَعِبُ

---

(١) لا يحجمون : لا ينكصون.

(٢) لبوسهم : جمع لُبس، وهو الدرع، وفي القرآن الكريم حكاية عن داود عليه السلام: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء:٨٠].. البيض: جمع بيضة، وهي الخوذة التى تلبس بالرأس في أثناء القتال.. داودية: نسبة إلي نبي الله داود عليه السلام، كما ذكرت الآية الكريمة.

(٣) البلب: جلود يخرز بعضها إلي بعض، تُلبس على الرؤوس خاصة، الواحدة : بَلَبة. سُمر الخط: الرماح المنسوبة إلي الخط، وهو موضع ببلاد البحرين تنسب إليه الرماح الخطية، لأنها تباع به.. القضب من السيوف : القطاعة البتارة.

(٤) ترعف : تقطر الدماء.

(٥) آنف: ذو عزّة وحمية.. الحقب: جمع حقْبة، وهي المدة من الدهر لا وقت لها، أو السنة.

(٦) يكلؤهم: يحفظهم ويرعاهم ، وفي القرآن الكريم: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الأنبياء:٤٢].

(٧) الجرثومة : الأصل.

مِن حُسْنِ أَخْلاقِهِمْ طَابَتْ مَجالِسُهُمْ ... لا الجَهْلُ يَعْرُوهُمْ فيها ولا الصَّخَبُ
الغَيْثُ ما رَضُوا مِنْ دُونِ نائلِهِمْ ... وَالأُسْدُ تَرْهَبُهُمْ يومًا إذا غَضِبُوا
أَنْدَى الأَنامِ أَكُفًّا حينَ تَسْأَلُهُمْ ... وَأَرْبَطُ النَّاسِ جَأْشًا إنْ هُمُ نُدِبُوا (١)
وَأَيُّ جَمعٍ كَثيرٍ لا تُفَرِّقُهُ ... إذَا تَدانَتْ لَهُم غَسَّانُ والنَّدُبُ (٢)
فَاللهُ يَجْزِيهِمُ عَمَّا أَتَوْا وَحَبَوْا ... بِهِ الرَّسُولَ وَمَا مِنْ صَالِحٍ كَسَبُوا (٣)

أصحابي (الرجز)

تُري بماذا يجيب الإمامُ مَنْ سأله عن أصحابه؟

إنه يخبر عنهم بصدق.. فهم حفظة لكتاب الله .. ثابتون على الحق، ناصرون لدين الله عز وجل، لا يهابون الأعداء.. يقول الإمام، رضي الله عنه، واصفا إياهم:

يا أَيُّهَا السَّائِلُ عَنْ أَصْحابي ... إنْ كُنْتَ تَبْغِي خَبَرَ الصَّوابِ
أَنْبِئْكَ عَنْهُمْ غَيْرَ ما تَكْذابِ ... بِأَنَّهُمْ أَوعِيَةُ الكِتابِ (٤)
صُبْرٌ لَدَى الهَيْجَاءِ وَالضِّرابِ ... فَسَلْ بِذَاكَ مَعْشَرَ الأَحْزابِ (٥)

وصية الإمام لابنه الحسين رضي الله عنهما

(الكامل)

هذه مجموعة من النصائح والوصايا التى أسداها الإمام لابنه الحسين رضي الله عنهما..

أَحُسَيْنُ إنِّي واعِظٌ وَمُؤَدِّبُ ... فَافْهَمْ فَأَنْتَ العَاقِلُ المُتَأَدِّبُ (٦)
وَاحْفَظْ وَصِيَّةَ وَالِدٍ مُتَحَنِّنٍ ... يَغْذُوكَ بِالآدَابِ كَيْلا تَعْطَبُ
أَبُنَيَّ إنَّ الرِّزْقَ مَكْفُولٌ بِهِ ... فَعَلَيْكَ بِالإجْمَالِ فيمَا تَطْلُبُ (٧)
لا تَجْعَلَنَّ المالَ كَسْبَكَ مُفْرَدًا ... وَتُقَى إلَهَكَ فاجْعَلَنْ مَا تَكسِبُ

(١) أندي الأنام أكفا: أكثر الناس عطاءً وفضلًا.. أربط الناس جأشا: أكثرهم ثباتا عند الشدة والكرب.
(٢) الندب: الخطر يتراهن عليه. (٣) حبوا: أعطوا ومنحوا.
(٤) أوعية الكتاب: حفظة لكتاب الله عز وجل.. والتكذاب: الكذاب.
(٥) صبْر : صابرون .. الهيجاء : الحرب.
(٦) أحسين: الهمزة حرف نداء للقريب.
(٧) أجمل في الطلب: اتَّأد واعتدل، وفي الحديث : «أجملوا في طلب الرزق فإن كلًا ميسَّرٌ لما خُلق له».

كَفِلَ الإلهُ بِرِزْقِ كُلِّ بَرِيَّةٍ ... وَالمَالُ عَارِيَةٌ تَجِيءُ وَتَذْهَبُ (١)

والرِّزْقُ أَسْرَعُ مِنْ تَلَفُّتِ نَاظِرٍ ... سَبَبًا إلى الإنسانِ حِينَ يُسَبِّبُ

وَمِنَ السُّيُولِ إلى مَقَرِّ قَرَارِهَا ... وَالطَّيْرِ لِلأَوْكَارِ حِينَ تَصَوَّبُ

أَبُنَيَّ إنَّ الذِّكْرَ فِيهِ مَوَاعِظٌ ... فَمَنِ الَّذِي بِمَوَاعِظَاتِهِ يَتَأَدَّبُ

فَاقْرَأْ كِتَابَ اللهِ جَهْدَكَ وَاتْلُهُ ... فِيمَنْ يَقُومُ بِهِ هُنَاكَ وَيَنْصَبُ

بِتَفَكُّرٍ وَتَخَشُّعٍ وَتَقَرُّبٍ ... إنَّ المُقَرَّبَ عِنْدَهُ المُتَقَرِّبُ

وَاعْبُدْ إلَهَكَ ذَا المَعَارِجِ مُخْلِصًا ... وَانْصِتْ إلى الأَمْثَالِ فِيمَا تُضْرَبُ

وإذا مَرَرْتَ بِآيَةٍ وَعَظِيَّةٍ ... تَصِفُ العَذَابَ فَقِفْ، ودَمْعُكَ يُسْكَبُ (٢)

يَا مَنْ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِعَدْلِهِ ... لَا تَجْعَلَنِّي فِي الَّذِينَ تُعَذِّبُ

إنِّي أَبُوءُ بِعَثْرَتِي وَخَطِيئَتِي ... هَرَبًا إلَيْكَ، وَلَيْسَ دُونَكَ مَهْرَبُ!

وإذا مَرَرْتَ بِآيَةٍ فِي ذِكْرِهَا ... وَصْفُ الوَسِيلَةِ والنعيمُ المُعْجِبُ

فَاسْأَلْ إلَهَكَ بِالإِنَابَةِ مُخْلِصًا ... دَارَ الخُلُودِ، سُؤَالَ مَنْ يَتَقَرَّبُ

وَاجْهَدْ لَعَلَّكَ أَنْ تَحِلَّ بِأَرْضِهَا ... وَتَنَالَ رُوحَ مَسَاكِنٍ لَا تُخْرَبُ

وَتَنَالَ عَيْشًا لَا انْقِطَاعَ لِوَقْتِهِ ... وَتَنَالَ مُلْكَ كَرَامَةٍ لَا تُسْلَبُ

بَادِرْ هَوَاكَ إذَا هَمَمْتَ بِصَالِحٍ ... خَوْفَ الغَوَالِبِ أَنْ تَجِيءَ وتُغْلَبُ (٣)

وَإذَا هَمَمْتَ بِسَيِّءٍ فَاغْمِضْ لَهُ ... وَتَجَنَّبِ الأَمْرَ الَّذِي يُتَجَنَّبُ

وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلصَّدِيقِ وَكُنْ لَهُ ... كَأَبٍ عَلَى أَوْلَادِهِ يَتَحَدَّبُ (٤)

وَالضَّيْفَ أَكْرِمْ مَا اسْتَعَنْتَ جِوَارَهُ ... حَتَّى يَعُدَّكَ وارِثًا يَتَنَسَّبُ

وَاجْعَلْ صَدِيقَكَ مَنْ إذَا آخَيْتَهُ ... حَفِظَ الإِخَاءَ، وَكَانَ دُونَكَ يَضْرِبُ

وَاطْلُبْهُمُ طَلَبَ المَرِيضِ شِفَاءَهُ ... وَدَعِ الكَذُوبَ فَلَيْسَ مِمَّنْ يُصْحَبُ

وَاحْفَظْ صَدِيقَكَ فِي المَوَاطِنِ كُلِّهَا ... وعَلَيْكَ بِالمَرْءِ الَّذِي لَا يَكْذِبُ

وَأَقِلِ الكَذُوبَ وَقُرْبَهُ وَجِوَارَهُ ... إنَّ الكَذُوبَ مُلَطِّخٌ مَنْ يَصْحَبُ (٥)

(١) البريَّة : الخلق، والجمع برايا.. العارية، أو العارة: ما تعطيه غيرك على أن يعيده إليك، يُقال : كل عارة مستردة.

(٢) روي أحمد وأصحاب السنن عن عوف بن مالك قال: قمت مع رسول الله ﷺ فبدأ فاستاك ثم توضأ، ثم قام يصلي، وقمت معه، فبدأ فاستفتح البقرة، لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا يمر بآية عذاب، إلا وقف يتعوذ.

(٣) سارع بعمل الخير،ولا تؤخره ، خشية أن يغلبك هواك وتتقاعس عن فعل الخير.

(٤) اخفض جناحك للصديق: تواضع له واعطف عليه وارحمه.يتحدب : يعطف ويترفق.

(٥) أقل: دع واترك وابغض ، وفي القرآن الكريم :﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحي :٣].

يُعْطِيكَ مَـا فَـوق المُنَى بلسَانه ... وَيَـرُوْغُ مِنكَ كَما يَـرُوغُ الثَّعْلَبُ
وَاحْـذَرْ ذَوِي المَلَقِ اللِّئَامَ فَإِنَّهُمْ ... فِي النَائِبَاتِ عَلَيكَ مِمَّنْ يَخْطُبُ (١)
يَسْعَوْنَ حَـوْلَ الـمَـرْءِ ما طَمِعُوا بِهِ ... وَإِذَا نَبَا دَهْـرٌ جَـفَـوْا وَتَغَيَّبُوا (٢)
وَلَقَدْ نَصَحْتُكَ إِنْ قَبِلْتَ نَصيحَتي ... والـنُّـصْـحُ أغلي ما يُـبَـاعُ وَيُـوْهَـبُ

الدنيا بين إقبال وإدبار (الطويل)

الجود، والسخاء، والإيثار، صفات حميدة ينبغي أن يتحلي بها كل إنسان .. ولكن: ما الفرق بينها؟ قيل : إنها بمعني واحد. وقيل: مَنْ أعطي البعض وأمسك البعض، فهو صاحب سخاء.. ومَنْ بذل الأكثر، فهو صاحب جود.. ومَنْ آثر غيره بالحاضر وبقي هو في مقاساة الضرر، فهو صاحب إيثار. فإذا جادت عليك الدنيا، وكنت منها في خير فجُدْ بها على الناس ولا تخف الفاقة.. ولا تبخل بها فإن البخل لا يبقيها. يقول الإمام، رضي الله عنه:

إذا جَـادَتِ الدُّنيا عَلَيْكَ فَجُدْ بها ... على الـنَّـاس طُـرًّا إنها تَتَقَلَّبُ (٣)
فَـلاَ الـجُـودُ يُفْنِيهَا إذا هِـيَ أَقْبَلَتْ ... ولا البُخْلُ يُبْقِيها إذا هِـيَ تَذْهَبُ

سُئل الفضل بن يحيى، وزير الرشيد: ما خير ما يصنعُ المرْءُ إذا أقبلت الدنيا عليه وإذا أدبرت؟

قال: خير ما يصنع أن ينفق في الحالتين.. فالدنيا في حال الإقبال لا يفنيها الإنفاق، وفي حال الإدبار لا يبقيها الإمساك!!

لماذا الجزع؟ (الوافر)

ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ"..

والجيوب: جمع جيب، وهو ما يفتح من الثوب ليدخل فيه الرأس ، والمراد بشقه إكمال فتحه إلي آخره غضبًا وجزعًا..

ثم : لم الجزع وقد كُتب الموت على جميع الخلائق؟!

هذا ما يعجب منه الإمام ، رضي الله عنه، فيقول (٤) :

(١) يقال : رجل مَلِق: يُعطي بلسانه ما ليس في قلبه.
(٢) نبا الدهر: تغيرت الأيام وساءت الأحوال.
(٣) طُرًّا: جميعا
(٤) قال القرطبي في التذكرة: قال أبو سعيد البلخي: مَنْ أصيب بمصيبة فمزق ثوبًا، أو ضرب صدرًا، فكأنما أخذ رُمحًا يريد أن يُقاتل ربه عز وجل.. ثم ذكر الأبيات بلا عزو.

عَجِبْتُ لِجَازِعٍ بَاكٍ مُصَابٍ ... بِأَهْلٍ أَو حَمِيمٍ ذِي اكْتِئَابِ
يَشُقُّ الجَيْبَ يَدْعُو الوَيْلَ جَهْلا ... كَأَنَّ المَوتَ بالشَّيءِ العُجَابِ (١)
وسَوَّي اللهُ فيهِ الخَلْقَ حَتَّى ... نَبِيَّ اللهِ فيهِ لَمْ يُحَابِ
لَهُ مَلَكٌ يُنَادِي كُلَّ يَومٍ ... لِدُوا لِلْمَوتِ وابْنُوا لِلْخَرَابِ (٢)

من وصايا الإمام لابنه الحسين رضي الله عنهما (٣)

(المتقارب)

وفي وصية من الإمام لابنه الحسين، رضي الله عنهما، يقول:

حُسَيْنُ إِذَا كُنْتَ فِي بَلْدَةٍ ... غَرِيبًا، فَعَاشِرْ بِآدَابِهَا
وَلَا تَفْخَرَنْ بَيْنَهُمْ بالنُّهَى ... فَكُلُّ قَبِيلٍ بِأَلْبَابِهَا (٤)
وَلَو عَمِلَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ ... بِهَذِي الأُمُورِ لَفُزْنَا بها
وَلَكِنَّهُ اعْتَامَ أَمْرَ الإِلَهِ ... فَأَخْرَقَ فِيهِمْ بِأَنْيَابِهَا (٥)
عَذِيرُكَ مِنْ ثِقَةٍ بالَّذِي ... يُنِيلُكَ دُنْيَاكَ مِنْ طَابِهَا (٦)
فَلا تَمْرَحَنَّ لأَوْزَارِهَا ... وَلَا تَضْجَرَنَّ لأَوْصَابِهَا (٧)
قِسِ الغَدَ بالأَمْسِ، كَيْ تَسْتَرِيـ ... ـحَ، وَلَا تَبْتَغِي سَعْيَ رُغَّابِهَا

وجع الذنوب (الوافر)

قد يشكو الإنسان ألمًا في عضو من أعضائه، عند ذلك لابد له من طبيب يداويه.. ولكن ماذا لو كانت الشكوى من ذنوب أثقلت كاهله، وأوجعت قلبه وانحلت جسمه، وغيرت لونه، وأقلقت مضجعه؟

عند ذلك لابد له من التوجه إلي الله العزيز الغفار، تائبًا ونادمًا، طالبًا العفو والمغفرة وكشف الضر..

(١) يشق الجيب: جزعًا واعتراضًا وتسخطا. (٢) لدوا: فعل أمر، أي توالدوا
(٣) جاءت هذه الأبيات السبعة ضمن عشرين بيتًا ذكرها الكيدري في «أنوار العقول».
(٤) النهي: العقل.. القبيل: الجماعة.. الألباب: جمع لب وهو العقل.
(٥) اعتام: أبطأ وتأخر.. أخرق: شقّ ومزّق. (٦) العذير: النصير.. طابها: طيبها.
(٧) الأوصاب: جمع وصب وهو الوجع والمرض.

هذا ما يوجه إليه الإمام، رضي الله عنه، حيث يقول:

قَـرِيـحُ القَلْبِ مِـنْ وَجَـعِ الـذُّنـوبِ ... نَحِيْلُ الجِسْمِ يَشْهَقُ بالنَّحيبِ (١)
أَضَـرَّ بِـجِسْـمِـهِ سَـهَـرُ الـلَّـيَـالِـي ... فَصَارَ الجِسْمُ مِنْهُ كَالقَضِيبِ (٢)
وَغَـيَّـرَ لَـوْنَـهُ خَـوْفٌ شَـدِيـدٌ ... لِـمَـا يَـلْـقَـاهُ مِـنْ طُـولِ الـكُـرُوبِ
يُـنَـادِي بـالـتَّـضَـرُّعِ يـا إلـهِـي ... أَقِلْنِي عَثْرَتِي واسْتُرْ عُيُوبِي (٣)
فَـزِعْـتُ إلـى الـخَـلائِـقِ مُسْتَغِيثًا ... فَـلَـمْ أَرَ فِي الـخَـلائِـقِ مِـنْ مُجِيبِ
وَأَنْـتَ تُجِيبُ مَـنْ يَـدْعُـوكَ رَبِّـي ... وَتَـكْـشِـفُ ضُـرَّ عَـبْـدِكَ يـا حَبِيبِي
وَدَائِـي بـاطِـنٌ وَلَـدَيْـكَ طِـبٌّ ... وَمَـنْ لِـي مِـثْـلُ طِـبِّـكَ يـا طبيبي

حبيبي عني لا يغيب (الوافر)

مما ينسب إلي الإمام قوله عند زيارته قبر زوجته فاطمة الزهراء، رضي الله عنهما قوله:

حَـبِـيـبٌ لَـيْـسَ يَـعْـدِلُـهُ حَـبِـيـبُ ... وَمَـا لِـسِـوَاهُ فِـي قَـلْـبِـي نَصِيبُ
حَبِيبٌ غَـابَ عَـنْ عَيْنِي وَجِسْمِي ... وَعَـنْ قَـلْـبِـي حَـبِـيـبِـي لا يَغِيبُ

وله في تعلُّقه بزوجه، رضي الله عنهما، قوله:

كُـنَّـا كَـزوجِ حَـمـامـةٍ فِـي أَيْـكَـةٍ ... مُـتَـمَـتِّـعِـيـنَ بِـصِـحَّـةٍ وشَـبَـابِ
دَخَـلَ الـزَّمَـانُ بِـنَـا وَفَـرَّقَ بَيْنَنَا ... إِنَّ الـزَّمَـانَ مُـفَـرِّقُ الأَحْـبَـابِ

فضل العلم والأدب (البسيط)

مما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: أقلُّ الناس قيمةً أقلُّهم علمًا. وقيل: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب.

وقيل: المرءُ بفضيلته لا بفصيلته.. وبكماله لا بجماله.. وبآدابه لا بثيابه.

وقال بعض الحكماء: من كثر أدبه كثر شرفه، وإن كان وضيعًا، وبعُدَ صيتُه وإن كان خاملًا، وساد وإن كان غريبًا، وكثرت حوائج الناس إليه وإن كان فقيرًا..

ولله در القائل:

لـكـل شـيءٍ زيـنـةٌ فـي الـورَى ... وزيـنـةُ الـمـرءِ تـمـامُ الأدب
قـد يـشـرفُ الـمـرءُ بـآدابـه ... فـينـا وإن كـان وضـيـعَ النسب

(١) قريح: جريح .. النحيب: البكاء الشديد
(٢) القضيب: الغصن.
(٣) أقل عثرتي: اصفح عني وتجاوز.

وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

لَو صِيغَ مِن فِضَّةٍ نَفسٌ عَلى قَدرٍ ... لَعادَ مِن فَضلِهِ لَمَّا صَفا ذَهَبا
ما لِلفَتى حَسَبٌ إِلّا إِذا كَمُلَت ... أَخلاقُهُ وَحَوى الآدابَ وَالحَسَبا
فَاطلُب - فَدَيتُكَ - عِلمًا وَاكتَسِب أَدَبًا ... تَظفَر بِهِ وَاستَعجِلِ الطَّلَبا (١)
لِلّهِ دَرُّ فَتى أَنسَابُهُ كَرَمٌ ... يَا حَبَّذا كَرَمٌ أَضحَى لَهُ نَسَبا (٢)
هَل المُروءَةُ إِلّا ما تَقومُ بِهِ ... مِنَ الذِمامِ وَحِفظِ الجارِ إِن عَتَبا (٣)
مَن لَم يُؤَدِّبهُ دينُ المُصطَفى أَدَبًا ... مَحضًا تَحَيَّرَ في الأَحوالِ وَاضطَرَبا

ومما ينسب إلي الإمام في ذلك قوله (٤):

مَنْ كانَ مُفتخرًا بالمال والنَسب ... فإنَّما فخرُنا بالعلم والأدب
لا خيرَ في رجلٍ حرٍّ بلا أدبٍ ... نعمْ ولو كان مَنْسوبًا إلَي العَرَبِ

في الهيجاء (الوافر)

عن شجاعته في الحرب يتحدث الإمام عن نفسه، فيقول رضي الله عنه:

سَيَكْفِيني المليكُ وَحَدُّ سَيْفٍ ... لَدَى الهَيجاءِ يَحْسَبُهُ شِهَابا (٥)
وَأَسْمَرُ مِنْ رِمَاحِ الخَطِّ لَدْنٌ ... شَدَدْتُ غُرَابَه أَنْ لَا يُحابَا (٦)
أَذُودُ بِهِ الكَتِيبَةَ كُلَّ يَومٍ ... إِذَا مَا الحَربُ تَضطَرِمُ التِهَابَا
وحَولِي مَعْشَرٌ كَرُمُوا وَطَابُوا ... يُرَجُّونَ الغَنِيمَةَ وَالنِّهَابا (٧)
ولا يَنجونَ مِنْ حَذَرِ المَنَايَا ... سُؤالُ المالِ فيها وَالإِيَابَا
فَدَعْ عَنْكَ التَّهدُّدَ وَاصْلِ نَارًا ... إِذَا خَمَدَتْ صَلَيْتُ لها شِهَابَا

القصيدة الزينبية (الكامل)

هذه القصيدة، على الرغم من اشتهارها، لا يصح نسبتها للإمام علي، رضي الله عنه، ولعلَّ خير دليل على ذلك الأبيات الثلاثة الأخيرة منها.. وتكاد تجمع المصادر المعتبرة على أنها لصالح عبد القدوس، وكان صاحب حكمة لكنه قليل الدين، تأثر بالفلاسفة في

(١) فداه: استنقذه بمال أو غيره فخلّصه مما كان فيه.. يُقال: فداه بماله، وفداه بنفسه
(٢) الدرّ: العمل، ويقال في المدح والتعجب: لله درُّه، أي عمله، ولله درُّه من رجل.
(٣) الذمام: العهد والأمان والكفالة.
(٤) ذكر هذين البيتين الكيدري في «أنوار العقول» ولم يذكرا في معظم ما نسب للإمام من أشعار
(٥) الهيجاء: الحرب.
(٦) الاسمر: الرمح... الخط: موضع بالبحرين تنسب إليه الرماح الخطية، لأنها تباع به..لدن: لين.. وغراب الشيء: حده.
(٧) النهاب: جمع نهب وهو الغنيمة.

طلبهم الهدى من غير الشريعة، روى له البحتري في ديوان الحماسة: قال عنه الذهبي، رحمه الله، في الميزان: "صاحب الفلسفة والزندقة"، قتله الخليفة المهدي لزندقته، إذ كان من القائلين بمذهب إلهي الخير والشر[1]. وإليك القصيدة.. وهي كما ترى عبارة عن مجموعة من الوصايا والنصائح:

صَرَمَتْ حِبَالَكَ بَعْدَ وَصْلِكَ زَيْنَبُ ... وَالدَّهْرُ فِيه تَصَرُّمٌ وَتَقَلُّبُ [2]

نَشَرتْ ذَوَائِبَهَا الَّتِي تَزْهُو بِهَا ... سُودًا وَرَأْسُكَ كالثغامة أَشْيَبُ [3]

وَاسْتَنْفَرَتْ لمَّا رَأَتْكَ وَطَالَما ... كَانتْ تَحِنُّ إلى لِقَاكَ وَتَرْهَبُ [4]

وَكَذاكَ وَصْلُ الغَانِيَاتِ فإنَّهُ ... آلٌ بِبَلْقَعَةٍ وَبَرْقٌ خُلَّبُ [5]

فَدَعِ الصِّبا فَلَقَدْ عَدَاكَ زَمَانُهُ ... وازْهَدْ فَعُمْرُكَ مِنْهُ وَلَّى الأَطْيَبُ!

ذَهَبَ الشَّبَابُ فَمَا لَهُ مِنْ عَوْدَةٍ ... وَأَتى المَشِيْبُ فَأَيْنَ مِنْهُ المَهْرَبُ

ضَيْفٌ أَلَمَّ إِلَيْكَ لَمْ تَحْفِلْ بِهِ ... فَتَرى لَهُ أَسَفًا وَدَمْعًا يُسْكَبُ

دَعْ عَنْكَ مَا قَدْ فَاتَ في زَمَنِ الصِّبا ... وَاذكُر ذُنوبَكَ وَابْكِهَا يا مُذْنِبُ!

واخْشَ مُنَاقَشَةَ الحِسَابِ فَإِنَّهُ ... لَا بُدَّ يُحْصَى ما جَنَيْتَ وَيُكْتَبُ

لم يَنْسَهُ المَلَكَانِ حِينَ نَسِيتَهُ ... بَلْ أَثْبَتَاهُ وَأَنْتَ لاهٍ تَلْعَبُ

وَالرُّوحُ فِيكَ وَدِيعَةٌ أُودِعْتَهَا ... سَتَرُدُّهَا بِالرَّغْمِ مِنْكَ وَتُسْلَبُ

وَغُرورُ دُنْيَاكَ الَّتي تَسْعَى لَهَا ... دارٌ حَقِيقَتُها مَتَاعٌ يَذْهَبُ

وَاللَّيْلُ فَاعْلَمْ وَالنَّهَارُ كِلَاهُمَا ... أَنْفَاسُنَا فِيهَا تُعَدُّ وَتُحْسَبُ

وَجَمِيعُ مَا حَصَّلْتَهُ وَجَمَعْتَهُ ... حَقًّا يَقِينًا بَعْدَ مَوْتِكَ يُنْهَبُ

تَبًّا لِدَارٍ لا يَدُومُ نَعِيمُها ... وَمَشِيدُها عَمَّا قَلِيلٍ يُخْرَبُ

(١) يراجع في ذلك العدد ٩٦ من مجلة العربي، نوفمبر ١٩٦٦.

(٢) صَرم: قطع، يقال: صرم الحبلَ: قطعه.

(٣) ذوائب: جمع ذؤابة وهي: شعر مقدم الرأس.. الثغامة: شجرة بيضاء الثمر والزهر، إذا يبست اشتد بياضها.

(٤) استنفرت: فرَّت وَبعُدت.

(٥) الآل: السراب، وهو خاص بما يكون في أول النهار وآخره.. بلقعة: الأرض القفر.. برق خُلَّب: لا يخلف مطرًا

فاسْمعْ ، هُديتَ ، نَصائحًا أَوْلاكَها ... بَـرٌّ لَـبِـيـبٌ عـاقِـلٌ مُـتَـأَدِّبُ
صَحِبَ الـزَّمـانَ وَأَهْـلَـهُ مُسْتَبْصِرًا ... وَرَأَى الأُمـورَ بما تَـؤُوبُ وتَعْقُبُ

أَهْـدى النَّصيحَةَ فَـاتَّـعِـظْ بِمَقالِهِ ... فَهُوَ التَّقِيُّ اللَّـوْذَعِـيُّ الأَدْرَبُ (١)
لَا تَـأْمَـنِ الـدَّهْـرَ الـصَّـرُوفَ فـإنَّهُ ... لَا زَالَ قِـدْمًا للرِّجَالِ يُـهَـذِّبُ (٢)
وَكَـذلِـكَ الأَيَّـامُ فـي غَـدَوَاتِـهَـا ... مَـرَّتْ يُـذَلُّ لَـهَا الأَغَـرُّ الأَنْـجَـبُ
فَعَلَيْكَ تَـقْـوَى اللهِ فَالْزَمْهَا تَفُزْ ... إنَّ الـتَّـقِـيَّ هُـوَ الـبَـهِـيُّ الأَهْـيَـبُ
واعْـمَـلْ لِطَاعَتِهِ تَـنَلْ مِـنْهُ الرِّضَا ... إنَّ الـمُـطِـيعَ لِـرَبِّـهِ لَـمُـقَـرَّبُ
فاقْنَعْ ففي بَعضِ القَنَاعَةِ رَاحَـةٌ ... واليَـأْسُ مِمـا فَـاتَ فَهُوَ المَطْلَبُ
وَإِذَا طَمِعْتَ كُسِيتَ ثَـوْبَ مَذَلَّةٍ ... فَلَقَدْ كُسِيَ ثَـوْبَ المَذَلَّةِ أَشْعَبُ
وَتَـوَقَّ مِـنْ غَـدْرِ الـنِّـسـاءِ خِيَانَةً ... فَجَمِيعُهُنَّ مَكَائِدٌ لَـكَ تُنْصَبُ (٣)
لا تَـأْمَـنَ الأُنْـثَـى حَـيَـاتَـكَ إنَّـهـا ... كَـالأُفْـعُـوانِ يُـراعُ منه الأَنْـيُـبُ
لا تَـأْمَـنَ الأُنْـثَـى زَمَـانَـكَ كُـلَّـهُ ... يَـوْمًـا وَلَـوْ حَلَفَتْ يَمِينًا تَـكْـذِبُ
تُـغْـري بِطِيبِ حَدِيثِها وَكَـلامِـهـا ... وَإِذَا سَطَتْ فَهِيَ الثَّقِيلُ الأَشْطَبُ
وَالْـقَ عَـدُوَّكَ بالتَّحِيَّةِ لا تَكُنْ ... مِـنْـهُ زَمَـانَـكَ خَـائِـفًـا تـترقَّـبُ
واحْـذَرْهُ يومًا إنْ أتـى لـكَ باسمًا ... فـالـلَّـيْـثُ يَـبْـدو نـابُـهُ إذْ يَغْضَبُ
إنَّ الـحَـقُـودَ وإنْ تَـقَـادَمَ عَـهْـدُهُ ... فالحِقْدُ بَـاقٍ في الـصُّـدُورِ مُغَيَّبُ
وَإِذَا الـصَّـدِيـقُ رَأَيْـتَـهُ مُتملِّقًا ... فَـهُـوَ الـعَـدُوُّ حَـقُّـهُ يُـتَـجَـنَّـبُ
لا خَـيْـرَ فـي ودِّ امْـرِيءٍ مُتملِّقٍ ... حُلْوِ الـلِّـسَـانِ وَقَـلْـبُـهُ يَتَلَهَّبُ (٤)
يَـلْـقَـاكَ يَـحْـلِـفُ: أَنَّـهُ بِـكَ وَاثِـقٌ ... وَإِذَا تَـوَارَى عَنْكَ فَهْوَ العَقْرَبُ

(١) اللوذعي: الذكي.. الأدرب: الحاذق صاحب الخبرة.
(٢) صُروف الدهر: نوائبه.. القِدم: القديم.
(٣) لا يصح نسبة هذا الكلام للإمام، إذ كيف يمكن وصف جميع النساء بالغدر والخيانة، وهن، في معظمهن، العفيفات الطاهرات، الأمينات، الصادقات. وقد سبق أن ذكرنا أن القصيدة كلها، لا يصح نسبتها للإمام رضي الله عنه.
(٤) المتملق: المرائي الذي لا يصدق ودّه.. قلب يتلهب: يحترق حقدًا.

يُعْطِيكَ مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ حَلاَوَةً ... وَيَرُوغُ عَنْكَ كما يَروغُ الثَّعْلَبُ
واخْتَرْ قَرِينَك واصْطَفِيهِ تَفَاخُرًا ... إنَّ القَرِينَ إلى المقَارَنِ يُنْسَبُ

إنَّ الغنيَّ مِنَ الرِّجَالِ مُكَرَّمٌ ... وَتَرَاهُ يُرْجَى مَا لَدَيْهِ وَيُرْهَبُ
وَيُبَشُّ بالتَّرْحِيبِ عِندَ قُدُومِهِ ... وَيُقَامُ عِندَ سلامِهِ وَيُقَرَّبُ
والفَقْرُ شَيْنٌ لِلرِّجَالِ فإنَّهُ ... يُزْرَى بِهِ الشَّهْمُ الأَدِيبُ الأَنْسَبُ
وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلأَقَارِبِ كلِّهِمْ ... بِتَذَلُّلٍ، وَاسْمَحْ لَهُمْ إنْ أَذْنَبُوا
وَدَعِ الكَذُوبَ فَلا يَكُنْ لَكَ صَاحِبًا ... إنَّ الكَذُوبَ لَبِئْسَ خِلًّا يُصْحَبُ
وَذَرِ الحَسُودَ، وَلَو صَفَا لَكَ مَرَّةً ... أَبْعِدْهُ عَنْ رُؤْيَاكَ لا يُسْتَجْلَبُ
وَزِنِ الكَلامَ إذَا نَطَقْتَ وَلَا تَكُنْ ... ثَرْثَارَةً فِي كلِّ نَادٍ تَخْطُبُ
وَاحْفَظْ لِسَانَكَ، واحترِزْ مِنْ لَفْظِهِ ... فالمَرْءُ يَسْلَمُ باللِّسانِ وَيعطَبُ
والسِّرَّ فاكْتُمْهُ ولا تَنطِق بِهِ ... فَهُوَ الأَسِيرُ لَدَيْكَ إذْ لَا يُنْشَبُ [1]
وَاحْرِصْ عَلَى حِفْظِ القُلُوبِ مِنَ الأَذَى ... فُرجُوعُهَا بَعْدَ التَّنَافُرِ يَصْعُبُ
إنَّ القُلوبَ إذَا تَنَافَرَ ودُّهَا ... شِبْهُ الزُّجَاجَةِ كَسْرُهَا لا يُشْعَبُ [2]
وكَذاكَ سِرُّ المَرْءِ إنْ لَمْ يَطْوِهِ ... نَشَرتْهُ أَلسِنَةٌ تَزِيدُ وَتَكْذِبُ
لَا تَحْرِصَنْ فالحِرْصُ ليسَ بِزَائِدٍ ... في الرِّزْقِ بَلْ يُشْقِي الحَرِيصَ وَيُتْعِبُ
وَيَظَلُّ مَلْهُوفًا يَرُومُ تَحَيُّلا ... والرِّزْقُ ليسَ بِحِيلَةٍ يُسْتَجْلَبُ
كَمْ عاجِزٍ في النَّاسِ يُؤْتَى رِزْقُهُ ... رَغْدًا وَيُحرَمُ كَيِّسٌ وَيُخَيَّبُ! [3]
أَدِّ الأَمَانَةَ، والخِيَانَةَ فاجْتَنِبْ ... وَاعْدِلْ ولا تَظْلِمْ يَطِبْ المَكْسَبُ
وإذا بُلِيتَ بِنَكْبَةٍ فاصْبِرْ لَهَا ... مَنْ ذَا رَأَيْتَ مُسَلَّمًا لا يُنْكَبُ
وَإِذَا أَصَابَكَ فِي زَمَانِكَ شِدَّةٌ ... وَأَصَابَكَ الخَطْبُ الكَرِيهُ الأَصْعَبُ
فَادْعُ لِرَبِّكَ إنَّهُ أَدْنَى لِمَنْ ... يَدْعُوهُ مِنْ حَبلِ الوَرِيدِ وَأَقْرَبُ
كُنْ مَا اسْتَطَعْتَ عَنِ الأَنَامِ بِمَعْزِلٍ ... إنَّ الكَثِيرَ مِنَ الورَى لا يُصْحَبُ

(١) ينشب : ينشر.
(٢) يشعب : يجبر
(٣) الكيس : العاقل.

وَاجْعَلْ جَليسَكَ سَيِّدًا تَحْظَى بِهِ ... حَبْرًا لَبِيبًا عَاقِلاً يَتَأَدَّبُ
واحْذَرْ مِنَ المَظْلُومِ سَهْمًا صَائِبًا ... وَاعْلَمْ بِأَنَّ دُعَاءَهُ لا يُحْجَبُ
وإذا رَأَيْتَ الرِّزْقَ ضَاقَ بِبَلْدَةٍ ... وَخَشيتَ فيها أَنْ يَضيقَ المَكْسَبُ
فارْحَلْ، فأَرْضُ اللهِ واسعَةُ الفَضَا ... طُولاً وعَرْضًا شَرْقُها والمَغْرِبُ
فلَقَدْ نَصَحْتُكَ إنْ قَبِلْتَ نَصيحَتي ... فَالنُّصْحُ أَغْلَى مَا يُبَاعُ وَيُوْهَبُ
خُذْها إِلَيْكَ قَصِيدَةً مَنْظُومَةً ... جَاءَتْ كَنَظْمِ الدُّرِّ بَلْ هِيَ أَعْجَبُ
حِكَمٌ وَآدابٌ وَجُلُّ مَواعِظٍ ... أَمْثالُها لِذَوي البَصَائِرِ تُكْتَبُ
فَاصْغِ لِوَعْظِ قَصيدةٍ أَوْلاكَها ... طَوْدُ العُلومِ الشَّامِخاتِ الأَهْيَبُ
أَعْنِي عَلِيًّا وَابْنَ عَمِّ مُحَمَّدٍ ... مَنْ نالَهُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ الأَنْسَبُ
يَا رَبِّ صَلِّ على النَّبِيِّ وآلِهِ ... عَدَدَ الخَلائِقِ حَصْرُها لا يُحْسَبُ!

وجاء المشيب[1] (الوافر)

يقول عبد العزيز بن مروان: مَنْ لم يتعظ بثلاث لم ينته بشيءٍ: الإسلام، والقرآن، والشيب. قال الشاعر:

يا عامِرَ الدنيا على شَيْبِه ... فيكَ أعاجيبُ لمنْ يعْجبُ
ما عُذْرُ مَنْ يعمِّرُ بنيانَه ... وعمرُه مُنْهدمٌ يخربُ؟!

وقال الشعبي: الشيب علَّةٌ لا يُعادُ منها[2]، ومصيبة لا يُعزي عليها. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

إلى مَ تَجرُّ أَذْيَالَ التَصابي ... وشَيْبُك قَدْ نَضا بُرْدَ الشَبابِ[3]
بِلالُ الشَيْبِ في فَوْدَيكَ نَادَى ... بأعلى الصَوتِ: حَيَّ على الذَّهابِ[4]
خُلِقْتَ مِنَ التُرابِ وَعَنْ قَريبٍ ... تُغَيَّبُ تَحْتَ أَطْباقِ التُّرابِ
طَمَعْتَ إقامةً في دارِ ظَعْنٍ ... فَلا تطمعْ فرجلُكَ في الرِّكابِ[5]
وأَرْخَيْتَ الحجابَ وسَوفَ يَأتي ... رسولٌ ليسَ يُحْجَبُ بالحجابِ[6]
أَعامِرَ قَصرَكَ المرفوعَ أَقْصِرْ ... فإنكَ ساكِنُ القَصرِ الخَرابِ

(١) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما نسب إلى الإمام من أشعار، وذكرها الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) لا يُعاد منها: لا يُزار من حلت به كما يزار المريض.
(٣) نضا: نزع، يقال نضا الثوب عنه: نزعه .. البرد: كساء يُلتحف به.
(٤) الفود: جانب الرأس مما يلي الأذن، والشعر النابت فوقه، وهما فودان، يُقال: حلَّ الشيب بفوديه.
(٥) دار ظعن: دار سفر لا إقامة فيها.
(٦) المراد بالرسول هنا: ملك الموت.

الرزق مقسوم[1] (الوافر)

يُروي أن عروة بن أذينة وفد على هشام بن عبد الملك فشكا له فقره وفاقته، فقال له هشام: ألست القائل:

لقد علمتُ وما الإشرافُ من خُلُقي ... أنَّ الذي هو رزقي سوف يأتيني[2]
أسْعى إليه فيُعْييني تطلُّبه ... ولو قعدتُ أتاني ليس يُعييني

وقد جئتَ من الحجاز إلي الشام في طلب الرزق؟! فقال عروة: يا أمير المؤمنين، لقد وعظت فأبلغت.. وخرج وركب ناقته وعاد إلي الحجاز .. فلما كان من الليل نام هشام على فراشة، فذكر عروة، فقال في نفسه: رجل من قريش قال حكمة، وَوَفد عليَّ فرددتُه خائبًا!! فلما أصبح وجَّه إليه بألفي دينار، فقرع عليه الرسول باب داره بالمدينة، وأعطاه المال، فقال: أبلغ أمير المؤمنين مني السلام، وقل له: كيف رأيت قولي؟! سَعْيتُ فأكديْتُ[3] فرجعت، فأتاني رزقي في منزلي[4]!! وفي هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه:

إذا يَقْضي لكَ الرحمنُ رزقًا ... يَعدُّ لرزقِه المقضيِّ بَابَا
وإنْ يَحْرِمْكَ لا تسطعْ بحوْلٍ ... ولا رأيِ الرجالِ له اكتسابا
فقصِّرْ في خطاكَ فَلَسْتَ تعْدُو ... بحيلتِكَ القضاءَ ولا الكِتَابا

علِّم بنيك صغارًا[5] (البسيط)

ورد في الأثر: مثل الذي يتعلَّم في صغره كالنقش على الصخر، والذي يتعلم في كبره كالذي يكتب على الماء.. وينسب إلي الإمام عليٍّ، رضي الله عنه قوله: قلبُ الحدثِ كالأراضي الخالية، ما أُلْقِيَ فيها من شيء قبلته، وإنما كان كذلك لأن الصغير أفرغ قلبا، وأقلُّ شغلًا، وأيسر تبذُّلًا، وأكثر تواضعًا[6]. وفي الحث على ذلك، يقول الإمام، رضي الله عنه:

يَا حُلةً نُسِجَتْ بالدُّرِّ والذَهَبِ ... إلَّا وأَحسنَ منها العلمُ والأدبُ
علِّمْ بنيكَ صَغارًا قَبلَ كبرَهِمُ ... فليسَ ينفعُ بعدَ الكبرةِ الأدبُ

ومما ينسب للإمام أيضًا في هذا المعني[7].. (البسيط):

(١) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وأوردها الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) الإشراف: التطلع إلي المال والطمع فيه..
(٣) أكديت: عدت خائب المسعي.
(٤) انظر المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي ص٨٩، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.
(٥) ذكر الكيدري هذين البيتين في «أنوار العقول» ولم يرد ذكرهما ضمن كثير مما نسب للإمام من أشعار.
(٦) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص٤٨ بتحقيق هاني الحاج.
(٧) ذكر الكيدري في «أنوار العقول» البيت الأول وعزاه للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، بينما ذكر الماوردي البيتين في «أدب الدنيا والدين» بلا عزو.

إنَّ الغُصونَ إذَا قوَّمْتها اعتدلَتْ ولا يَلِينُ إذا قوَّمْتَه الخشَبُ
قَدْ ينفَعُ الأدبُ الأحداثَ في صِغَرٍ وليْس ينْفعُ عند الشَّيْبةِ الأدَبُ

وقال بعض الحكماء: بادروا بتأديب الأطفال قبل تراكم الأشغال وتفرق البال.

تعلَّم قوام الخط[1] (الطويل)

مما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: الخطُّ الحسنُ يُزيد الحقَّ وضوحًا.. وقال عليُّ بن عبيدة: حُسْن الخط لسانُ اليد وبهجة الضمير. وقال أبو العباس المبرد: رداءةُ الخطِّ زمانة الأدب.

وقال عبد الحميد: البيان في اللسان، والخط في البنان..

ويقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

تَعلَّمْ قوامَ الخطِّ يا ذَا التَّأدُّبِ ومَا الخطُّ إلَّا زينةَ المتأدِّبِ
فإنْ كُنتَ ذا مالٍ فخطُّك زَينةٌ وإنْ كُنتَ مُحتاجًا فأولُ مكسبِ

وله في ذلك أيضًا[2]: [الوافر]

سَيبْقَى الخطُّ مِنِّي في الكتابِ وتُبْلَى اليَدُ مِنِّي في التُّرَابِ

تخير صاحبك[3] (البسيط)

مما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: الصاحبُ مناسبٌ.

وقال ابن مسعود، رضي الله عنه: ما من شيءٍ أدَلُّ على شيءٍ، ولا الدخانُ على النارِ، من الصاحب على الصاحب. وقال حكيم: يُظنُّ بالمرءِ ما يُظن بقرينه!!

وقال عديُّ بن زيد:

عَنِ المرْءِ لا تَسْأل وسَلْ عن قَرينه فكُلُّ قرينٍ بالمقارَنِ يقْتدى
إذَا كنت في قوْمٍ فصاحبْ خيارهم ولا تصحَبْ الأرْدَى فتَرْدَى

وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

صَاحِبْ أخَا ثِقَةٍ تحْظَى بصُحبتِه فالطبعُ مُكْتَسَبٌ مِنْ كُلِّ مَصْحُوبِ
كالريحِ آخذةٍ مما تمرُّ بهِ نَتْنًا من النتنِ أو طِيبًا من الطيبِ

(١) لم يرد هذان البيتان ضمن كثير مما نسب للإمام من أشعار، وإنما ذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) انظر المرجع السابق.
(٣) لم يرد هذان البيتان في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».

إياك والطلب من بخيل[1]!! (الوافر)

البخل خُلق ذميم، حذر الله سبحانه وتعالي من عواقبه.. يقول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [آل عمران:١٨٠] والبخيل لا صاحب له، فلا يري إلا نفسه، بل قد يحرمها من كل ما رُزق!! قال حكيم: البخيل ليس له خليل.. وقال آخر: البخيل حارس نعمته، وخازنُ ورثته!! ولكن: ماذا لو طلبت من البخيل حاجة؟

هل سيجيبك إليها؟ استمع إلي قول الإمام، رضي الله عنه، وهو يقول:

مَنْ التمسَ الحَوائجَ من بخيلٍ ... كَمَنْ طَلَبَ العظامَ من الكلابِ
ومَنْ طَلَبَ النِكاحَ بغيرِ مالٍ ... كصيادِ الغزالِ بلا كِلابِ

قافية التاء

الثأر أو الموت (الرجز)

هذه الأبيات من الرجز قالها الإمام وهو يخاطب أصحابه في بعض أيام صِفين وقد تقدمهم..

دُبّوا دَبيبَ النَّملِ لا تَفُوتُوا ... وَأَصْبِحُوا بِحَرْبِكُمْ وَبِيتُوا
حَتّى تَنالوا الثَّأرَ أَوْ تَمُوتُوا ... أَو لا فَإِنِّي طالَما عُصِيتُ
قَد قُلتُم لَو جِئْتَنا فَجِيتُ ... لَيسَ لَكُم ما شِئتُم وَشِيتُ[2]
بَل ما يُرِيدُ المُحْيِي الْمُمِيتُ

التواضع والقناعة (الوافر)

ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية الأبيات التالية، وقال: أنشد بعضهم لعلي، رضي الله عنه[3]:

(١) ذكر هذين البيتين الكيدري في «أنوار العقول» ولم يردا في كثير مما ينسب للإمام من أشعار.
(٢) جيت وشيت: لغة في جئت وشئت.
(٣) انظر البداية والنهاية ٨/ ٢١.

حَقيقٌ بالتَّواضُعِ مَنْ يَمُوتُ ... وَيَكْفِي المَرْءَ من دُنْيَاهُ قُوتُ [1]
فَما لِلمَرءِ يُصْبِحُ ذَا هُمُومٍ ... وَحِرصٍ لَيْسَ تُدْرِكُهُ النُّعُوتُ
صَنيعُ مَليكنا حَسَنٌ جَميلٌ ... وَما أَرْزَاقُنا عَنَّا تَفُوتُ
فَيا هَذا سَتَرحَلُ عَنْ قَريبٍ ... إِلَى قَومٍ كَلامُهُمُ السُّكُوتُ

بيت الفناء وبيت البقاء (مخلع البسيط)

قصيرة هي الدنيا.. ومع ذلك نعمرها ونشيد فيها أعلى الدور وأفخم القصور!!
وشغلتنا هذه الدنيا الفانية عن الآخرة الباقية.. فلم نعمل للآخرة عملها..

أيُّها الرافعُ البناءَ رُوَيْدًا ... لا يردُّ المنونَ عنك البناء

ولما بني المأمون قصره الذي ضُرب به المثلُ، نام فيه فسمع قائلًا يقول:

أتبْني بناءَ الخالدين وإنَّما ... بقاؤك فيها إن عقلت قليل
لقد كان في ظلِّ الأراكِ كفايةٌ ... لمن كلُّ يومٍ يقتضيه رحيل

وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

قَدْ كُنْتَ مَيتًا فَصِرْتَ حَيًّا ... وَعَنْ قَليلٍ تَصيرُ مَيْتَا
بَنَيْتَ بِدَارِ الفَنَاءِ بَيْتًا ... فَابْنِ لِدَارِ البَقَاءِ بَيْتَا

فالعاقل من اتخذ من دار الفناء مزرعة لدار البقاء..

الصبر عن اللذات (الطويل)

جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «حُفَّت الجنةُ بالمكاره، وحُفَّت النارُ بالشهوات».. أي أن الطريق إلي الجنة احتمال المكاره، والطريق إلي النار اتباعُ الشهوات.. ومما أثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: إيَّاكم وتحكيمَ الشهوات على أنفسكم، فإن عاجلها ذميمٌ، وآجلَها وخيمٌ، فإن لم ترها تنقاد بالتحذير والإرهاب، فسَوِّفْها بالتأميل والإرْغاب، فإن الرغبة والرهبة إذا اجتمعا على النفس ذَلَّتْ لهما وانقادت.

وقال بعض الحكماء: من أمات شهوته، فقد أحيا مروءته.

وقال بعض البلغاء خير الناس من أخرج الشهوة من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه.

(١) الحقيق بالأمر: الجدير به.

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[١]:

صَبَرْتُ عَنِ اللَّذَّاتِ لَمَّا تَوَلَّت ... وَأَلْزَمْتُ نَفْسِي صَبْرَها فاستَمَرَّتِ [٢]

وَمَا المَرْءُ إلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ... فَإنْ طمِعَتْ تَاقَتْ وَإلَّا تَسَلَّتِ [٣]

لا تكثر الشكوى (الطويل)

يُروي عن النبي ﷺ أنه قال: «... واعلم أن النصر مع الصبْر، والفرجَ مع الكرْب، واليُسرَ مع العُسْر»[٤]، ومما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: الصبرُ مستأصِلُ الحَدثان[٥]، والجزعُ من أعوان الزمان. وقال حكيم: بمفتاح عزيمة الصبر تُعالَجُ مغاليقُ الأمور.

وقال آخر: عند انسداد الفُرج تبدو مطالعُ الفرجِ. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

خَلِيلَيَّ لا وَاللَّهِ ما مِن مُلِمَّةٍ ... تَدُومُ عَلى حَيٍّ وَإنْ هِيَ جَلَّت [٦]

فَإن نَزَلَت يَومًا فَلا تَخضَعَنَّ لَها ... وَلا تُكثِرِ الشَّكْوَى إذَا النَّعْلُ زَلَّتِ

فَكَم مِن كَرِيمٍ يُبْتَلى بِنَوائِبٍ ... فَصَابَرَهَا حَتَّى مَضَتْ وَاضْمَحَلَّت [٧]

وقد نسب الماوردي في «أدب الدنيا والدين» هذه الأبيات الثلاثة إلى عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وزاد عليها الثلاثة التالية:

وَكَمْ غَمْرَةٍ هَاجَتْ بِأَمْوَاجِ غَمْرَةٍ ... تَلَقَّيْتُهَا بِالصَّبْرِ حَتَّى تَجَلَّتِ

وَكَانَت عَلى الأَيَّامِ نَفْسِي عَزِيزَةً ... فَلَمَّا رَأَتْ صَبْرِي عَلَى الذُّلِّ ذَلَّتِ

فَقُلْتُ لَهَا: يَا نَفْسُ مُوتِي كَرِيمَةً ... فَقَدْ كَانَتِ الدُّنْيَا لَنَا ثُمَّ وَلَّتِ

(١) ذكر هذين البيتين الكيدري في «أنوار العقول» وعزاهما للإمام عليٍّ رضي الله عنه، بينما ذكرهما الماوردي في «أدب الدنيا والدين» بلا عزو، وفي البيت الأول «صبرت على الأيام».. وفي البيت الثاني: «وما النفس إلا حيث يجعلها الفتى» راجع أدب الدنيا والدين ص٢٥ بتحقيق هاني الحاج.

(٢) يُقال: صبر على الأمر: احتمله ولم يجزع، وصبر عنه: حبس نفسه عنه.

(٣) تاقت: اشتاقت ونزعت.. تسلت: أبغضت وكرهت.

(٤) رواه أبو نعيم في الحلية والبيهقي في شعب الإيمان.

(٥) يُقال: حَدَثان الدهر: نوائبه وحوادثه.

(٦) الملمة: النازلة الشديدة من شدائد الدهر.. جلت: عظمت

(٧) مضت واضمحلت: انتهت وتلاشت

فضيلة الصمت (الكامل)

روي الترمذي عن عقبة بن عامر قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟
قال: «أمْسِكْ عليك لسانَك، ولْيَسعْك بَيتُك، وابْكِ على خطيئتك».

ومما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: بكثرة الصمت تكون الهيْبة.

وقال أيضًا: إذا تمَّ العقلُ نقصَ الكلامُ.

وقال أعرابي: رُبَّ منطقٍ صَدَعَ جَمْعا، وسكوتٍ شعَبَ صدعًا[1].

وقال حكيم يوصي ابنه: يابُني، إذا افتخر الناسُ بحسن كلامهم، فافْتخرْ أنت بحسن صمتك!!

وقال الإمام الشافعي، رحمه الله تعالي، لصاحبه الربيع: يا ربيع، لا تتكلم فيما لا يعنيك، فإنك إذا تكلمت بالكلمة ملكتك ولم تملكها!! وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

إنَّ القَليلَ مِنَ الكَلامِ بأَهْلِهِ ... حَسَنٌ وإنَّ كَثيرَهُ مَمْقُوتُ
مَا زَلَّ ذُو صَمْتٍ وَمَا مِنْ مُكْثِرٍ ... إلَّا يَزِلُّ وَمَا يُعابُ صَمُوتُ
إنْ كَانَ مَنْطِقُ ناطِقٍ مِنْ فِضَّةٍ ... فَالصَّمْتُ دُرٌّ زَانَهُ يَاقُوتُ

وسئل رجل: بم سادكم الأحنف، فوالله ما كان بأكبركم سنًّا، ولا بأكثركم مالًا؟! قال: بقوة سلطانه على لسانه!!

هي الدنيا (الرمل)

مما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: مثلُ الدنيا مثلُ الحية، لَيِّنٌ مَسُّها، قاتلٌ سُمُّها، فأعرِضْ عما أعْجبك منها لقلة ما يصحبُك منها، وضع عنك همومَها لما أيْقنت من فِراقها، وكُنْ أحذرَ ما تكون لها وأنت آنس ما تكون بها، فإن صاحبها كلما اطمأنَّ منها إلي سرورٍ أشخصَه عنها مكروه، وإن سكن منها إلي إيناس أزاله عنه إيحاش[2]

وقال بعض البلغاء: الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقي لصاحب، ولا تخلو من فتنة.. فأعرضْ عنها قبل أن تُعرض عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك، فإن نعيمها يتنقَّل، وأحوالها تتبدل، ولذاتها تفنى، وتبعاتها تبقي.. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

قَدْ رَأَيْتُ القُرونَ كَيفَ تَفَانَتْ ... دُرِسَتْ ثُم قِيلَ: كَانَ وَكَانَتْ [3]
هِيَ دُنْيَا كَحَيَّةٍ تَنْفُثُ السُّمْـ ... ـمَ وَإنْ كَانَتِ المِجَشَّةُ لَانَت [4]

(١) الصدع: الشق والتفريق.. والشعب: الإصلاح، يُقال: شعب الصدعَ: لمَّه وأصلحه.
(٢) أدب الدنيا والدين للماوردي ص ١٠٩ بتحقيق هاني الحاج.
(٣) دَرس: عفا وذهب أثره. (٤) المجشة: آلة الجرش من رحي وغيرها.

كَمْ أُمُورٍ وَقَدْ تَشَدَّدْتُ فِيهَا ثُمَّ هَوَّنْتُهَا عَلَيَّ فَهَانَتْ

وقال حكيم: انظر إلي الدنيا نظر الزاهد المفارق لها، ولا تتأمَّلْها تأملَ العاشق الواثق بها.

وأيضًا عن الدنيا وأحوالها يقول رضي الله عنه: (مجزوء الرمل)

إِنَّمَا الدُّنْيَا فَنَاءٌ لَيْسَ لِلدُّنْيَا ثُبُوتُ
إِنَّمَا الدُّنْيَا كَبَيْتٍ نَسَجَتْهُ العَنْكَبُوتُ
وَلَقَدْ يَكْفِيكَ مِنْهَا أَيُّهَا الطَّالِبُ قُوتُ
وَلَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ كُلُّ مَنْ فِيهَا يَمُوتُ

ما الدهر إلا يوم وليلة (الطويل)

دوام الحال من المحال.. ولا يستقر الدهر على حال.. نهار يعقبه ليل.. فرح يعقبه ترح.. غني يعقبه فقر.. صحة يعقبها مرض.. شباب يعقبه شيب.. اجتماع يعقبه فرقة .. فلم الركون إلي الدنيا وهي كثيرة التغيير، سريعة التنكير، شديدة المكر، دائمة الغدر؟!! يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الدَّهرَ يَومٌ وَلَيلَةٌ يَكُرَّانِ مِنْ سَبْتٍ جَدِيدٍ إِلى سَبْتِ [1]
فَقُلْ لِجَدِيدِ الثَّوبِ: لَا بُدَّ مِنْ بِلَى وَقُلْ لِاجْتِماعِ الشَّملِ: لَا بُدَّ مِنْ شَتِّ! [2]

أبكي مخافة أن تطول حياتي بعدك (الكامل)

مما ينسب إلي الإمام رضي الله عنه، قوله في رثاء النبي ﷺ:

نَفْسِي عَلى زَفَرَاتِهَا مَحْبُوسَةٌ يا لَيْتَهَا خَرَجَتْ مَعَ الزَّفَرَاتِ [3]
لا خَيرَ بَعْدَكَ في الحَيَاةِ وإِنَّمَا أَبْكِي مَخَافَةَ أن تطولَ حَياتي

احذر النظرة!! (الطويل)

النظرة سهم من سهام إبليس، كما جاء في حديث النبي ﷺ، فقد روي الطبراني وأحمد عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «النظرةُ سهمٌ مسموم من سهامِ إبليس، من تركها مخافتي أبدلْتُه إيمانًا يجدُ حَلاوتَه في قلبه».

(١) يكر: يتعاقب، يُقال: كرَّ الليلُ والنهار: عادا مرة بعد أخرى. (٢) الشت: التفرق، يُقال: ذهبوا أشتاتًا متفرقين.
(٣) الزفرات : جمع زفرة، وهي عملية إدخال النفس، كما أن الشهقة إخراجه.

وروي أبو داود أن رسول الله ﷺ قال لعليٍّ، رضي الله عنه: «ياعليّ، لا تتبعْ النظْرَةَ النظرةَ، فإن لك الأولى وليس لك الآخرة». وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَقُولُ لِعَيْنِي: احْبِسِي اللَّحَظَاتِ ... وَلَا تَنْظُرِي يا عَيْنُ بالسَّرقَاتِ
فَكَمْ نَظْرَةٍ قَادَتْ إِلَي القَلْبِ شَهْوَةً ... فَأَصْبَحَ مِنْهَا القَلْبُ في حَسَرَاتِ (١)

قافية الجيم:

عند التناهي يكون الفرج (المتقارب)

المؤمن الحق يصبر على ما يصيبه من الشدة، ويحمد الله تعالى في كل أحواله، ويعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يُسرًا، وأن المصائب والرزايا إذا توالت أعقبها الفرج.. وقد أحسن ابن نباتة حين قال:

صبرًا على نُوَبِ الزمان ... وإن أبي القلبُ الجريح
فلكلِّ شيءٍ آخرٌ ... إما جميلٌ أو قبيح

يقول الإمام، رضي الله عنه:

إِذا النَّائِبَاتُ بَلَغْنَ المدَى ... وَكَادَتْ تَذُوبُ لَهُنَّ المُهَجُ (٢)
وَحَلَّ البَلاءُ وَبَانَ العَزَاءُ ... فَعِنْدَ التَّنَاهِي يَكُونُ الفَرَجُ (٣)

ورحم الله القائل:

إن نوائب الدهرِ لا تدفعُ إلا بعزائم الصبر.. ولا دواء لداء الدهر إلا بالصبر.

الحلم والجهل (الطويل)

ينسب إلي الإمام علي، رضي الله عنه، قوله: إذا هِبْت أمْرًا فقعْ فيه، فإن شرَّ توقّيه أعظمُ مما تخاف منه. وقال أيضًا: الغوغاء إذا اجتمعوا ضروا، وإذا افترقوا نفعوا، فقيل: قد علمنا مضرَّة اجتماعهم، فما منفعة افتراقهم؟ قال: يرجع أهل المهن إلي مهنهم، فينتفع الناس بهم، كرجوع البناء إلي بنائه، والنساج إلي منسجه، والخباز إلي مخبزه. وينسب إلي الإمام في ذلك قوله (٤):

(١) ذكر هذا البيت سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الحفاظ» وفيه، فأصبح منها القلب في المهلكات.
(٢) النائبات: مصائب الدهر.. المهج: جمع مهجة، وهي الروح.
(٣) وقريب من ذلك قول الإمام الشافعي رحمه الله تعالي:

ضاقت فلما استحكمت حلقاتُها ... فُرجت وكنتُ أظنها لا تُفرج

(٤) نُسبت هذه الأبيات إلي العديد من الشعراء، كما جاء في بعض المصادر.. وذكرها ابن عبد ربه في العقد الفريد بلا عزو (راجع العقد الفريد ٢/ ١٥٥ طبعة دار ومكتبة الهلال) وذكر الأبشيهي في المستطرف الأبيات: الأول والثالث والرابع أيضًا بلا عزو (راجع المستطرف ص١٨٣ إصدار مكتبة ابن سينا- القاهرة).

لَئِن كُنتُ مُحتاجًا إلى الحِلم إنَّني ... إلى الجَهلِ في بَعضِ الأَحايِينِ أَحوَجُ
وَما كُنتُ أَرضى الجَهلَ خِدْناً وَصاحِبًا ... وَلَكِنَّني أَرضى بِهِ حينَ أُحرَجُ (١)
وَلي فَرَسٌ لِلحِلمِ بِالحِلمِ مُلجَمٌ ... وَلي فَرَسٌ لِلجَهلِ بِالجَهلِ مُسْرَجُ
فَمَن شاءَ تَقْويمي فَإِنّي مُقَوَّم ... وَمَنْ شاءَ تَعويجي فَإِنّي مُعَوَّجُ
وَبِالجَهْلِ لَا أَرْضَى وَلَا هُوَ شِيمَتي ... وَلَكِنَّني أَرْضَى بِهِ حِينَ أُحْرج (٢)
فَإِن قالَ بَعْضُ النّاسِ فيهِ سَماجَةٌ ... فَقَد صَدَقوا وَالذُّلُّ بِالحُرِّ أَسْمَجُ (٣)
أَلَا رُبَّما ضاقَ الفَضاءُ بِأَهلِهِ ... وَأَمْكَنَ مَا بَينَ الأَسِنَّةِ مَخْرَجُ

قافية الحاء:

ما أشبه الليلة بالبارحة!! (السريع)

مما ينسب إلي الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله:

كَمْ مِنْ خَلِيلٍ لي خَالَلْتُهُ ... لَا تَرَكَ اللهُ لَهُ واضِحَهْ (٤)
فَكُلُّهُمْ أَرْوَغُ مِنْ ثَعْلَبٍ ... «مَا أَشْبَهَ اللَّيْلَةَ بِالبَارِحَه»

إلا أن كثيرًا من المصادر نسبت البيتين إلى طرفة بن العبد.. جاء في كتاب الحيوان للجاحظ: والثعلب موصوف بالروغان والخبث، ويضرب به المثل في النذالة والدناءة قال طرفة:

وصاحب قد كنت صاحبتُه ... لا ترك الله له واضحة
كلهم أروغُ من ثعلبٍ ... ما أشبه الليلة بالبارحة

قال الأستاذ عبد السلام هارون ، محقق كتاب الحيوان: البيتان من أربعة في ديوانه يهجو بها عمرو بن هند ويلوم أصحابه في خذلانهم، وهما بتلك النسبة في أمثال الميداني (١: ٢٩٠) وبدون نسبة في جمهرة العسكري، واللسان (٣: ٤٧٤) (٥).

(١) الخدن: الصاحب.
(٢) شيمتي : صفتي.
(٣) السماجة : القبح.
(٤) الواضحة: الأسنان التي تبدو عند الضحك.
(٥) راجع كتاب الحيوان ، بتحقيق عبد السلام هارون ٦/ ١٩٣، إصدار مكتبة ابن سينا- القاهرة.

الرفق والأناة (الكامل)

في الحديث الصحيح يقول النبي ﷺ: «إن الرفْق لا يكونُ في شيءٍ إلَّا زانه، ولا يُنْزعُ من شيءٍ إلَّا شانه»[١] ، وقال ﷺ: «مَنْ يُحرمْ الرفْقَ يُحرمْ الخيْرَ»[٢]، إذ بالرفْق يتأتَّي من الأغراض ويسهل من المطالب ما لا يتأتَّي بغيره.. وحول هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه[٣]:

الـرِّفـقُ يُـمْـنٌ وَالأَنـــاةُ سَـعَـادَةٌ فَـتـأَنَّ فـي أَمـرٍ تُـلاقِ نَجاحا [٤]

من نجا برأسه فقد فلح (الرجز)

تقول العرب: من نجا برأسه فقد ربح.. وتقول أيضًا: رضيت من الغنيمة بالإياب.

وتقول العامة: الهزيمة مع السلامة غنيمة!! قال امرؤ القيس:

وقـد سـافـرْتُ فـي الآفـاق حتى رضـيـتُ مـن الغنيمة بـالإيـاب[٥]

ومما ينسب إلي الإمام ، رضي الله عنه، في ذلك قوله[٦]:

الـلَّـيـلُ داجٍ وَالـكِـبـاشُ تَـنْـتَـطِـحْ نِـطاحَ أُسْـدٍ ما أراهـا تَصْطَلِحْ [٧]

أُسْـدُ عِـريـنٍ فـي اللقاءِ قَـدْ مَـرِحْ مِـنْـهـا نِـيـامٌ وَفَـرِيـقٌ مُـنْـبَـطِـحْ

فَمَنْ نَجَا بِرَأْسِهِ فَقَدْ فلحْ

الحث على كتمان السر (المتدارك)

ينسبُ للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: سرُّك أسيرُك، فإن تكلمت به صرْت أسيرَه.. وقال بعض الحكماء يعظ ابنه: يا بنيَّ كُن جوادًا بالمال في موضعِ الحقِّ، ضنينًا بالأسرار عن جميع الخلق، فإن أحْمَدَ جودِ المرْءِ الإنفاق في وجه البرِّ، والبخل بمكتوم السرِّ..

وقال بعض الأدباء: مَنْ كتم سرَّه كان الخيارُ إليه، ومَنْ أفشاه كان الخيارُ عليه[٨]

وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

(١) رواه مسلم في صحيحه، وأحمد في مسنده وأبو داود في سننه.
(٢) رواه مسلم في صحيحه وابن ماجه في سننه وأحمد في مسنده.
(٣) عزى كثير من المصادر هذا البيت للنابغة كما جاء في ديوانه.
(٤) اليُمن البركة. .الأناة : الحلم والوقار ، يُقال: إنه لذو أناة ورفق.
(٥) انظر العقد الفريد ٢/ ٢٢٩، طبعة دار ومكتبة الهلال - بيروت.
(٦) ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد البيتين الأول والأخير بلا عزو - راجع المصدر السابق.
(٧) داج: مُظلم.. الكباش: المراد هنا الرجال الأقوياء.
(٨) انظر أدب الدنيا والدين للماوردي ص٣٢٣، بتحقيق هاني الحاج .. وعزا الماوردي البيتين لأنس بن أسيد.

لَا تُفْشِ سِرَّكَ إِلَّا إِلَيْكَ فَإِنَّ لِكُلِّ نَصِيحٍ نَصِيحَا [1]

وإِنِّي رَأَيْتُ غُوَاةَ الرِّجَالِ لَا يَتْرُكُونَ أَدِيمًا صَحِيحَا [2]

وقد ذكر المبرد هذه البيتين في كتابه «الكامل»، وقال إنهما أحسن ما سمع في كتمان السر وعدم إفشائه. كما ذكرُهما ابن قتيبة في عيون الأخبار.

في يوم حنين (الرجز)

في غزوة حنين، كان للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، من الأعمال الجهادية ما يتسم بالشجاعة والخبرة في فنون القتال.. فقد ثبت مع رسول الله ﷺ مع من ثبت معه من المهاجرين والأنصار.. وكان في جيش هوازن رجل على جمل أحمر بيده راية سوداء، إذا أدرك طعن برمحه، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه، فأدرك الإمام بعبقريته الحربية، وتجربته الطويلة، أهمية هذا الرجل بالنسبة لهوازن، فاتجه، ومعه رجل من الأنصار، نحوه وأسقطاه عن جمله وقتلاه.. وكان لذلك أثر كبير في انهزام القوم وانتصار المسلمين.. ولعل هذا الرجل هو أبو جرول الذي قال:

أَنَا أَبُو جَرْوَل لا بَرَاح حتى نُبِيحَ القومَ أَوْ نُبَاحُ

فقتله أمير المؤمنين رضي الله عنه وقال:

قَدْ عَلِمَ القَومُ لَدَى الصِّيَاحِ أَنِّي فِي الهَيجَاءِ ذُو نِطَاحِ

اصحب خيار الناس [3] (الطويل)

قال بعض الأدباء: أفضل الذخائر أخٌ وفيٌّ. وقال آخر: إن أعْجز الناسِ من قصَّر في طلب الإخوان، وأعْجزَ منه من ضيعَّ مَنْ ظفر به منهم!!

والعاقل من ترك المزاح، خاصة مع الجهلاء.. قالت العرب: المزاح يأكل الهيْبةَ كما تأكل النار الحطبَ.. وقالوا أيضًا مَنْ قل عقله كثر هزْله.

ولله در النيسابوري حين يقول:

إِنَّ المزاحَ بدْؤه حلاوة لكنَّما آخرُه عداوه

يَحْتَدُّ منه الرجُلُ الشريفُ ويَجْترى بسُخْفه السخيف

(١) النصيح : الناصح.

(٢) غواة : جمع غاو، وهو الذي يمعن في الضلال.. الأديم : الجلد الذي يغلف الجسم.

(٣) ذكر هذه الأبياتَ الكيدري في «أنوار العقول» ولم ترد ضمن كثير مما ينسب للإمام من أشعار.

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

اصْحَبْ خِيَارَ النَّاسِ تَنْجُ مُسَلما ... وَمَنْ يَصحبْ الأَشْرَارَ يومًا سيُجْرَح
وإياكَ يومًا أَنْ تُمَازِحَ جَاهِلاً ... فَتُلْقَى الَّذي لا تَشْتَهي حينَ تَمْزَحُ
وَلاَ تَكُ عرِّيضًا تُشَاتِمُ مَنْ دَنا ... فَتشْبه كَلْبًا بالسَّفَاهَةِ يَنْبَحُ
إذا ما كَرِيمٌ جَاءَ يَطْلُبُ حَاجَةً ... فَقُلْ قَوْلَ حُرٍّ مَاجِدٍ يَتَسَمَّحُ
فبالرَّأْسِ والعينينِ منِّي قَضَاؤها ... وَمَنْ يَشْتَرِ حَمْدَ الرِّجَالِ سَيَرْبَحُ

قافية الخاء:

أفلح من كان له زوجة (الرجز)

مما ينسب إلي الإمام رضي الله عنه، قوله[1]:

أَفْلَحَ مَن كانت له مِزَخَّهْ ... يُزْخُّها ثم ينامُ الفَخَّهْ

قال ابن الأثير: المِزَخَّة، بالكسر: الزوجة، لأنه يزُخُّها، أي يجامعها[2]، ويُقال: فخَّ النائم: غطَّ، أي صات وردّد النفسَ في خياشيمه.

قافية الدال:

أنا أخو المصطفي (البسيط)

ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية عن جابر بن عبد الله قال: سمعتُ عليًّا ينشدُ ورسول الله ﷺ يسمع:

أَنَا أَخُو المُصْطَفَى لاَ شَكَّ في نَسَبي ... مَعْهُ رُبِّيتُ وَسِبْطَاهُ هُمَا وَلَدي[3]
جَدِّي وَجَدُّ رَسُولِ اللهِ مُتَّحِدٌ ... وَفَاطِمٌ زَوجَتِي لَا قَولَ ذي فَنَدِ[4]
صَدَّقْتُهُ وَجَميعُ النَّاسِ في ظُلَمٍ ... مِنَ الضَّلاَلَةِ والإِشْرَاكِ والنَّكَدِ
فالْحَمْدُ للهِ فَرْدًا لاَ شَرِيكَ لَهُ ... البَرُّ بالعَبْدِ، وَالْبَاقي بِلاَ أَمَدِ

قال: فتبسَّم رسول الله ﷺ وقال: «صدقْتَ يا عليّ[5]».

(١) ذكر ذلك ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث والأثر» ٢/ ٢٩٩، بتحقيق طاهر أحمد الزاوية ومحمود محمد الطناحي.. وذكر في بعض المصادر الأدبية بلا عزو.
(٢) راجع المصدر السابق.
(٣) السِّبط: ولد الابن والابنة.. وسبطا رسول الله ﷺ هما الحسنُ والحسين رضي الله عنهما.
(٤) الفند: الكذب الباطل.
(٥) قال الحافظ ابن كثير معلقا: والإسناد منكر، والشعر فيه ركاكة، والله أعلم. راجع البداية والنهاية ٨/ ١٠

يا شاهد الله عليَّ (الرجز)

عجيب أمر هؤلاء الخوارج!! وهم على افتراق مذاهبهم إلا أنهم اتفقوا على إكفار عليٍّ، وعثمان، وأصحاب الجمل، والحكمين، ومَنْ رضي بالتحكيم وصوَّب الحكمَيْن أو أحدهما، والخروج على السلطان الجائر [1]. إنهم يكفرون عليًّا!! بل لقد حاولوا أن ينتزعوا منه إقرارًا بالكفر فرد عليهم قائلًا: أبعد صحبة رسول الله ﷺ والتفقُّه في الدين أرجع كافرًا؟!! ثم أنشد قائلًا:

يَـا شَـاهِـدَ الـلـه عَـلَـيَّ، فَـاشْـهَـدِ ... إِنِّـي عَـلـى دِيـنِ الـنَّـبِـيِّ أَحْـمَـدِ
مَـنْ شَـكَّ فـي الـدِّيـنِ فَـإِنِّـي مُهْتَدِ ... يا رَبِّ فاجْعَلْ في الجِنَانِ مَـوردِي

وقد ذكر المبرد هذه البيتين في «الكامل» وقال: إنهما من شعر عليٍّ رضي الله عنه الذي لا اختلاف فيه، وأنه كان يردد ذلك.

خلُّوا سبيل المؤمن المجاهد (الرجز)

أقام الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، بمكة ثلاث ليالٍ بعد هجرة النبي ﷺ وذلك ليؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ وفي طريق هجرته أدركه الطلب، وهم ثمانية من الفرسان، فشد عليهم بسيفه وقال:

خَـلُّـوا سَبِيلَ الْـمُؤمِنِ الْمُجَاهِدِ ... آلَـيْـتُ لا أَعْـبُـدُ غَـيْـرَ الْـوَاحِـدِ

يا مؤثر الدنيا على دينه[2] (السريع)

هذه مجموعة من الوصايا يسديها الإمام في تلك الأبيات لمن آثر الدنيا على الدين.. لمن اشتغل بالدنيا ونسى الآخرة.. لمن اغتر بالحياة وركن إلي الخلود فيها ناسيًا الموت الذي يطلبه ساعة بعد ساعة. قال الشعبي: رأي أمير المؤمنين رجلًا يمشي ويخطر [3] بيديه ويختال، فقال:

يَـا مُـؤْثِـرَ الـدُّنْـيَـا عَـلـى دِيـنِـه ... وَالـنَّـائِـهَ الـحَـيـرانَ عَـنْ قَـصْـدِه [4]
أَصْبَحْتَ تَـرْجُـو الْخُلْدَ فِيها وَقَـدْ ... أَبْـرَزَ نَـابُ الـمـوتِ عَـنْ حَـدِّه
هَـيـهَـاتَ إِنَّ الـمَـوتَ ذُو أَسْـهُـمٍ ... مَـنْ يَـرْمِـهِ يَـومًـا بِـهَـا يُـرْدِه [5]
لا يُـصْـلِـحُ الـوَاعِـظُ قَـلْـبَ امْـرِئٍ ... لَـمْ يَـعْـزِمِ الـلـهُ عَـلَـى رُشْـدِهِ

(١) راجع في ذلك الفرق بين الفرق للبغدادي.
(٢) ذكر هذه الأبيات سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص»
(٣) خطر في مشيه: اهتز وتبختر.
(٤) المؤثر: المفضل.. القصد: الهدف.
(٥) هيهات: اسم فعل بمعني البعد، وفي القرآن لكريم: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾[المؤمنين: ٣٦]

بين السعد والنحس (السريع)

لا تستقر الدنيا على حال واحدة.. وليس للأيام أمان.. وما عهدناه منها هو التقلب بين الغني والفقر، الصحة والمرض، السعادة والشقاء... وهكذا.. وهذا ما يذكره الإمام، رضي الله عنه، ويذكّرُنا به، فيقول:

نَحْنُ بَنو الأرْضِ وَسُكّانُهَا ... منْها خُلقْنا، وإليهَا نَعُودُ [1]
وَالسَّعْدُ لَا يَبْقَى لأصْحَابِهِ ... وَالنَّحْسُ تَمْحُوهُ لَيَالِي السُّعُودُ [2]

أعاذلتي (الوافر)

ومما ينسب إليه، رضي الله عنه، قوله:

أعَاذلَتي عَلى إتْعَابِ نَفْسِي ... وَرَعْيِي في السُّرَى رَوضَ السُّهَادِ [3]
إذا شَامَ الفَتى بَرْقَ المَعَالي ... فَأَهْوَنُ فَائِتٍ طِيبُ الرُّقَادِ [4]

في قتلي يوم أحد[5] (البسيط)

كانت غزوة أحد نتيجة حتمية لدي كفار قريش بعد هزيمتهم المنكرة أمام المسلمين في غزوة بدر..إذ اجتمع صناديد قريش ومن أطاعهم من قبائل كنانة وأهل تهامة واتفقوا على الأخذ بثأرهم من المسلمين، وكان الموعد في أحد. وفي يوم أحد انكشف المسلمون، فأصاب فيهم العدو، وكان يوم بلاء وتمحيص، أكرم الله فيه من أكرم من المسلمين بالشهادة، حتى خلص المشركون إلي رسول الله ﷺ، فرموه بالحجارة، فشجَّ وجهه، وأصيبت رباعيته.. وفرح المشركون وظنوا أنهم ثأروا لقتلاهم يوم بدر، وأنشدوا في ذلك الشعر، فردَّ عليهم الإمام وقال:

اللَّهُ حَيٌّ قَدِيمٌ قَادِرٌ صَمَدُ ... فَلَيْسَ يُشْرِكُهُ في مُلكِهِ أَحَدُ
هُوَ الَّذي عَرَّفَ الكُفَّارَ مَنْزِلَهُم ... وَالمُؤمِنُونَ سَيَجْزِيهِمْ بما وَعَدُوا
فَإنْ تَكُنْ دَولَةٌ كَانَتْ لَنَا عِظَةً ... فَهَلْ عَسَى أَن يُرَى في غَيِّها رَشَدُ؟! [6]
وَيَنْصُرُ اللَّهَ مَن والاهُ إنَّ لَهُ ... نَصْرًا وَيُمْثِلُ بِالكُفَّارِ إن عَنَدُوا

(١) إشارة إلي قول الله سبحانه: ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴾ [طه: ٥٥].
(٢) السعد، والسعود: نقيض الشقاء.. النحس: الجهد والضُّر، يُقال: أمر نحس: مُظلم، ويومٌ نحس: لم يصادَف فيه خير.
(٣) أعاذلتي: يا لائمتي، والعذل: العتاب واللوم.. السُّري: سير عامة الليل، السهاد: الأرق. (٤) شام: تطلَّع وترقَّب.
(٥) ذكر معظم هذه الأبيات، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ، سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص».
(٦) دولة: الاستيلاء والغلبة.

فَإِن نَطَقتُمْ بِفَخْرٍ لَا أَبَا لَكُمُ ... فيمَن تَضَمَّنَ مِن إِخْوَانِنَا اللَّحدُ
فَإِنَّ طَلْحَةَ غَادَرْنَاهُ مُنْجَدِلا ... وَلِلصَّفَائِحِ نَارٌ بَيْنَنَا تَقِدُ (١)
وَالْمَرْءُ عُثْمَانُ أَرْدَتْهُ أَسِنَّتُنَا ... فَجَيْبُ زَوْجَتِهِ إِذْ أُخْبِرَتْ قَدَدُ (٢)
فِي تِسعَةٍ وَلِوَاءٍ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ... لَم يَنْكِلُوا عَن حِيَاضِ المَوتِ إِذْ وَرَدُوا
كَانُوا الذَّوَائِبَ مِن فِهْرٍ وَأَكْرَمَهَا ... حيثُ الأُنُوفُ وَحَيثُ الفَرعُ وَالعَدَدُ (٣)
وَأَحمَدُ الخَيرِ قَدْ أَرْدَى عَلَى عَجَلٍ ... تَحْتَ العَجَاجِ أَبَيًّا وَهْوَ مُجتَهِدُ (٤)
فَظَلَّتِ الطَيرُ وَالضِّبْعَانُ تَركَبُهُ ... فَحَامِلٌ قِطْعَةً مِنهُ وَمُقْتَعِدُ
وَمَن قَتَلْتُمْ عَلى مَا كَانَ مِنْ عَجَبٍ ... مِنَّا فَقَد صَادَفوا خَيْرًا وَقَد سَعِدوا
لَهُم جِنَانٌ مِنَ الفِرْدَوْسِ طَيِّبَةٌ ... لا يَعْتَرِيهِمْ بِهَا حَرٌّ وَلا صَرَدُ (٥)
صَلَّى الإِلَهُ عَلَيْهِمْ كُلَّمَا ذُكِرُوا ... فَرُبَّ مَشْهَدِ صِدْقٍ قَبلَهُ شَهِدُوا!
قَوْمٌ وَفُّوا لِرَسُولِ اللهِ وَاحْتَسَبُوا ... شُمُّ العَرَانِينَ مِنهُم حَمزَةُ الأَسَدُ (٦)
وَمُصعَبٌ كَانَ لَيْثًا دونَهُ حَرِدًا ... حَتّى تَزَمَّلَ منهُ ثَعلَبٌ جَسَدُ (٧)
لَيسُوا كَقَتلَى مِنَ الكُفَّارِ أَدْخَلَهُم ... نَارَ الجَحِيمِ عَلَى أَبْوَابِهَا الرَّصَدُ

فوائد السفر (٨) (الطويل)

في الاغتراب والسفر فوائد عدة، ضمنها الإمام في هذه الخمسة : تفريج همٍّ، واكتساب معيشة، وتحصيل علم، وإلمام بآداب، وصحبة فاضلٍ.. ثم يوجه الإمام نظر هؤلاء الذين يركنون إلي الراحة والكسل ويرضون بالضَّيْم والذل، ولا يرون في السفر إلا المشقة والمهانة وخطورة الترحال عبر الطرق الوعرة فيقول لهم: إن الموت خير لكم من الإقامة بدار الهوان. وفي القرآن الكريم يقول الله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ﴾ [النساء:٩٧]

(١) هو طلحة بن أبي طلحة ، قتله علي بن أبي طالب، رضي الله عنه
(٢) عثمان: هو عثمان بن أبي طلحة، قتله حمزة بن عبد المطلب.. يُقال : قدَّ الجيب : شق الثوب، والمراد أن زوجته لما بلغها خبر قتله مزقت جيب قميصها.
(٣) الذوائب : جمع ذؤابة، وهي من كل شيء أعلاه، يُقال: فلان ذؤابة قومه : شريفهم والمقدَّم فيهم.. الأنوف : جمع أنف، وأنف القوم : سيدهم.
(٤) أحمد الخير: النبي ﷺ.. وأُبيّ: هو أُبي بن خلف قتله رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد.. والعجاج: الغبار.
(٥) الصرد: شدة البرد.
(٦) شم العرانين: أعزَّة أُباة، وعرانين القوم : ساداتهم وأشرافهم.
(٧) مصعب، هو مصعب بن عمير، الذي قاتل دون رسول الله ﷺ حتى قتله ابن قمئة الليثي، وهو يظن أنه قتل رسول الله ﷺ، فرجع إلي قريش ليقول : قتلت محمدًا.. يُقال : حَرِد عليه: غضب، واغتاظ فتحرش بالذي اغاظه وهمَّ به، فهو حَرِد.. تزمَّل : تخفي.
(٨) يَنسب البيتان الأول والثاني للإمام الشافعي، رحمه الله تعالي، راجع في ذلك ديوان الإمام الشافعي، إعداد وتعليق محمد إبراهيم سليم، إصدار دار الطلائع - القاهرة.

يقول الإمام، رضي الله عنه:

تَغَرَّبْ عَنِ الأَوْطَـانِ فِي طَلَبِ العُلَى ... وَسَافِرْ فَفِي الأَسْفَارِ خَمْسُ فَوَائِدِ (١)

تَـفَـرُّجُ هَـمٍّ، واكْتِسَـابُ مَعِيشَـةٍ ... وَعِلْمٌ ، وآدابٌ، وَصُحْبَةُ مَاجِدِ (٢)

فإن قيلَ: في الأَسْـفَـارِ ذُلٌّ ومِحْنَةٌ ... وَقَطْعُ الفَيَافِي وَارْتِكَابُ الشَّدَائِدِ (٣)

فَـمَـوْتُ الفَتى خَيْرٌ لَـهُ مِـنْ مَقَامِهِ ... بِـدَارِ هَـوَانٍ بين واشٍ وَحَـاسِـدِ (٤)

وقديمًا قال الشاعر العربي:

ولا يـقـيـمُ عـلـى ضَـيْـمٍ يُـرَادُ به ... إلَّا الأذلان: عَيْرُ الحيِّ والوتدِ (٥)

عون الله (الكامل)

المؤمن على يقين دائم بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء.. وهو أيضًا مطالب بالأخذ بالأسباب تاركًا النتائج لله مسبِّب الأسباب. فما كان من توفيق فمن الله سبحانه كما قال نبي الله شعيب عليه السلام: ﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود:٨٨]. وما ضل قارون إلَّا عندما نسى تلك الحقيقة ونسب الفضل لنفسه، وأن ما لديه من مال إنما إكتسب بمهارته وعلمه، وذلك حينما أعلن على قومه: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [القصص:٧٨]. يقول الإمام، رضي الله عنه:

إذا لـم يكن عَـوْنٌ مـن الله للفتى ... فأكثرُ ما يجني عليه اجتـهـادُهُ (٦)

في بناء مسجد رسول الله ﷺ (الرجز)

ما إن وصل النبي ﷺ والمهاجرون معه إلي المدينة المنورة، حتى أمر ﷺ ببناء المسجد.. وبدأ ﷺ بنفسه ليرغب أصحابه في العمل، حتى قال قائلهم:

لـئـن قـعـدنـا والـنـبـي يـعـمـلُ ... لـذاك مـنـا الـعـمـلُ الـمـضـلَّـلُ

وتنافس الجميع في العمل، فدخل عمار بن ياسر، كما حكي ابن هشام في السيرة، وقد

(١) تغرب: فعل أمر، أي سافر.. العُلى: الرفعة والشرف.
(٢) الماجد: الشريف الخيِّر.
(٣) الفيافي: جمع فَيْف، وهي الصحراء الواسعة المستوية.
(٤) دار هوان: دار ذل... الواشي: النمَّام الذي يوقع بين الناس.
(٥) العَيْر: الحمار.
(٦) ذكر الإمام الغزالي هذا البيت في الإحياء(٤/١١٣) بلا عزو.

أثقلوه باللَّبن، فقال يا رسول الله، قتلوني، يحملون عليَّ مالا يحملون.. قالت أم سلمة، زوج النبي ﷺ: فرأيتُ رسول الله ﷺ ينفض وفْرتَه[1] بيده، وكان رجلًا جعدًا[2] وهو يقول: «ويح ابن سُميَّة، ليسوا بالذين يقتلونك، إنما تقتلك الفئة الباغية».. وارتجز عليٌّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، يومئذ[3]:

لا يَسْتَوي مَنْ يَعْمُر المَسَاجِدَا يَدْأَبُ فيهَا قَائِمًا وَقَاعِدَا
ومَن يُري عَنِ الغُبَارِ حَائِدَا[4]

قال ابن إسحاق: فأخذها عمَّارُ بن ياسر، فجعل يرتجز بها.

في مقتل عمرو بن عبد ود (الطويل)

عمرو بن عبد وُد، من صناديد المشركين، الذين تصدى لهم الإمام علي، رضي الله عنه، يوم الأحزاب..ظل المشركون يجاهدون المسلمين، ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش[5] منهم عمرو بن عبد وُد، وعكرمة بن أبي جهل، وهبيْرة بن أبي وهب المخزوميَّان، وضرار بن الخطاب بن مرداس، تلبَّسوا للقتال، ثم خرجوا على خيلهم، حتى وقفوا على الخندق، فلما رأوه قالوا: والله ، إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها!! ثم اختاروا مكانا ضيقًا من الخندق، وتمكن عمرو بن عبد ود من اقتحامه متحديًا من يبارزه، فخرج إليه الإمام عليّ، رضي الله عنه، وبعد سجال وحوار تمكن الإمام من قتل ابن عبد ود.. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

وكَانُوا عَلَى الإِسْلام إِلْبًا ثَلاثَةً فَقَد بِزَّ مِنْ تِلْكَ الثَّلاثَة واحِدُ[6]
وَفَرَّ أَبُو عَمْرو هُبَيْرَةُ لَمْ يَعُدْ لنَا وَأَخُو الْحَرْبِ المَجَرَّبِ عائدُ
نَهَتْهُمْ سُيُوفُ الهِندِ أَنْ يقِفُوا لنا غَداةَ التَقَيْنَا وَالرِّمَاحُ المَصَايِدُ

الأرزاق تجرى كما قدرها الله (السريع)

قضية الرزق من أهم القضايا، إن لم تكن أهمها، التي تشغل بال الإنسان. ولذا تراه دائمًا في حيرة من أمره، يخبط خبط عشواء، يجري في الأرض ليلًا ونهارًا، وقد لا يكترث بحلال أو حرام.. المهم جمع المال، وتأمين المستقبل، حسب ما يري.. مع أن هذه القضية قد حسمها الله سبحانه وتعالي، إذْ ضمن الرزق لعباده، وذكر القرآن الكريم ذلك في العديد

(١) الوفرة: الشعر المجتمع على الرأس، أو ما جاوز شحمة الأذن. (٢) يُقال : جعُدَ الشعر: اجتمع وتقبَّض والتوي.
(٣) قال ابن هشام: سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا:بلغنا أن عليَّ بن أبي طالب ارتجز به، فلا يُدري أهو قائله أم غيره!!
(٤) وقد ذكر هذه الأبيات، ابن عبد ربه في العقد الفريد(٤/ ١٤٢) مع اختلاف يسير في الألفاظ وأضاف إليها بيتًا رابعًا.
(٥) راجع في ذلك السيرة النبوية لابن هشام، عند ذكر غزوة الأحزاب.
(٦) الإلب: القوم يجتمعون على عداوة إنسان.. يُقال : بَزَّه : غلبه وسلبه.. وفي بعض النسخ «فقد خرَّ».

من آياته.. يقول الله عز وجل: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]، وما على الإنسان إلا أن يأخذ بالأسباب لتحصيل هذا الرزق الذي ضمنه الله سبحانه.. ومن العجيب أن يقسم الله سبحانه بعد ذلك بذاته العلية ليؤكد ذلك فيقول: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]. يقول الحسن البصري: بلغني أن رسول الله ﷺ قال: «قاتل اللهُ أقوامًا أقْسَمَ لهم ربهم ثم لم يصدقوا»[١]. يقول الإمام رضي الله عنه:

لَوْ كَانَتِ الأرزاق تَجْري عَلَى ... مِقْدَارِ مَا يَسْتَأهِلُ العَبْدُ
لَكَانَ مَنْ يُخدمُ مُسْتَخْدَمًا ... وَغَابَ نَحْسٌ وبَدَا سَعْدُ
واعْتَدَلَ الدَّهْرُ إلى أهْلِهِ ... واتَّصَلَ السُّؤدَدُ والمَجْدُ
لَكِنَّها تَجْري عَلَى سَمْتِها ... كَمَا يُرِيدُ الوَاحِدُ الفَرْدُ

همِّي من الدنيا (الطويل)

هموم الناس في الدنيا كثيرة.. هناك مَنْ همُّه المال.. وهناك من همه المنصب.. وهناك.. وهناك. ولكن ما الذي يشغل بال الإمام؟ ما جُلُّ همِّه في هذه الدنيا؟

إنه يفصح عن ذلك فيقول: وهمِّي من الدنيا صديقٌ مُساعِد.. إن الصديق المساعد الوفي عملة نادرة في كل زمان ومكان.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

هُمُومُ رِجَالٍ فِي أُمُورٍ كَثِيرَةٍ ... وَهَمِّي مِنَ الدُّنْيَا صَدِيقٌ مُسَاعِدُ
يَكُونُ كَرُوحٍ بَيْنَ جِسْمَيْنِ قُسِّمَتْ ... فَجِسْمُهُما جِسْمَانِ وَالرُّوحُ وَاحِدُ

وما أجمل قولَ الإمام الشافعي، رحمه الله تعالى:

صَدِيقٌ لَيْسَ يَنْفَعُ يَوْمَ بُؤْسٍ ... قَرِيبٌ مِنْ عَدُوٍّ فِي القِيَاسِ

وأتبع السيئة الحسنة تمحها (الطويل)

عن أبي ذر الغفاري، رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أوصني.. قال: «اتَّقِ اللهَ حيثُما كنتَ، وأتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تمْحُها، وخالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حسن»[٢].

وفي رواية: قلت: يا رسول الله، أمِنَ الحسناتِ لا إله إلَّا الله؟

قال: «هي أفضلُ الحسناتِ» وقوله ﷺ «وأتبع» يوحي بضرورة الإسراع بفعل الحسنات والتوبة من السيئات، فلا أحد يدري متى الأجل..

وحول هذه المعاني يقول الإمام، رضي الله عنه[٣]:

(١) رواه ابن جرير عن بندار عن ابن أبي عدي عن عوف عن الحسن مرسلًا. (٢) رواه الترمذي وأحمد والدارمي.
(٣) ذكر الماوردي في «أدب الدنيا والدين» الأبيات الثلاثة الأولى مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ ونسبها إلى محمد بن بشير.

مَضى أَمسُكَ الباقي شَهيداً مُعَدَّلاً ... وَأَصبَحتَ في يَومٍ عَلَيكَ شَهيدُ
فَإِن كُنتَ في الأَمسِ اقتَرَفتَ إِساءَةً ... فَثَنِّ بِإِحسانٍ وَأَنتَ حَميدُ
وَلا تُرجِ فِعلَ الخَيرِ يَومًا إِلى غَدٍ ... لَعَلَّ غَدًا يَأتي وَأَنتَ فَقيدُ (١)
وَيَومُكَ إِن عايَنتَهُ عادَ نَفعُهُ ... إِلَيكَ وَماضي الأَمسِ لَيسَ يَعودُ

ولله در مَنْ قال:

• عباد الله، الحذر الحذر، فوالله لقد ستر، حتى كأنه قد غفر، ولقد أمْهل حتى كأنه قد أهمل!!

أطباق الثري (الكامل)

عن القبر وأحوال مَنْ فيه يحدثنا الإمام، رضي الله عنه.. فهو يتحسر على فراق من أحبهم، وأصبح وحيدًا بعد أن اختطفهم الموت. وفي القبر يستوي الجميع، بعد أصبحوا ترابًا، لا يمكن التمييز بين السيد والعبد.. إن القبر هو مصير الجميع، ومَنْ كان لا يطأ التراب بقدميه، فإنه حتمًا سيتوسَّد الترابَ في القبر بخده!! يقول الإمام، رضي الله عنه:

ذَهَبَ الَّذينَ عَلَيهِم وَجْدي ... وَبَقيتُ بَعْدَ فِراقِهِمْ وَحْدي (٢)
مَنْ كانَ بَيْنَكَ في التُّرابِ وَبَيْنَهُ ... شِبْرانِ فَهْوَ بِغايَةِ البُعْدِ
لَوْ كُشِفَتْ لِلمَرءِ أَطْباقُ الثَّرى ... لَمْ يُعرَفِ المَولى مِنَ العَبْدِ (٣)
مَنْ كانَ لا يَطَأُ التُّرابَ بِرِجْلِهِ ... يَطَأُ التُّرابَ بِناعِمِ الخَدِّ

لابد للزرع من حصاد (مخلع البسيط)

الموت نهاية كل حي.. هذه حقيقة لا مراء فيها .. وعلي الرغم من ذلك أصبح الخوف منه يؤرق النفوس ويحول بينها وبين الراحة والتنعم بلذة النوم.. إلا أنه حتمًا هو النهاية، تمامًا كما أن الحصاد هو مصير كل زرع بلغ منتهاه.. وهذا ما يصوره القرآن الكريم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا ﴾ [الحديد:٢٠] وهذه المعاني يصورها الإمام، رضي الله عنه، حيث يقول:

جَنْبي تَجافَي عَنِ الوِسادِ ... خَوفًا مِنَ المَوتِ وَالمَعادِ (٤)

(١) لا ترج : لا تؤجل ولا تؤخر.
(٢) يُقال : وجَدَ وجدًا: حزَن، ووَجَد به وجْدًا : أحبَّه.
(٣) الثري: التراب .. المولي: السيد
(٤) تجافي : تباعد، وفي القرآن الكريم: ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ [السجدة:١٦]، الوساد: المخدة.

مَـنْ خـافَ مـن سَـكْـرةِ المنايا ... لـم يـــذرِ مـا لـــذَّةُ الـرُّقَـاد
قـد بَـلـغَ الـــزَّرعُ مُـنْـتَـهـاه ... لا بُـــدَّ لـلـزرعِ مـن حَـصَـادِ

الموت نهاية كل حي (الطويل)

يتعجب الإمام من رجال يتمنون له الموت!! فإذا كان الموت مصير كل حي.. فلم التمني؟! ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[الجمعة:٨] وكل إنسان على هذه الأرض إنما هو زائر حتمًا سيرحل، طالت مدة الزيارة أم قصرت.. يقول الإمام، رضي الله عنه[١]:

تَمَنّي رِجـالٌ أَنْ أَمـوتَ وَإِنْ أَمُـتْ ... فَتِلْكَ سَبيلٌ لَسْتُ فيها بِأَوحَدِ
وَلَيسَ الَّـذي يَبْغي خِلافي يَضُرُّني ... وَلا مَوْتُ مَنْ قَدْ ماتَ قَبلي بِمُخْلِدي
وَإِنّـي وَمَـنْ قَـدْ مـاتَ قَبلي لَكَالذي ... يَـزُرُو خَليلًا أَوْ يَـرُوحُ وَيَغْتَدي

قلة الكرام وكثرة اللئام (البسيط)

جاء في الأثر: الناس كإبل مائة، لا تكاد تجد فيها راحلة. وقال حكيم: الكرام في اللئام كالغرة في الفرس. قال السموأل:

تـعـيـرنـا أَنَّـا قـلـيـلٌ عـديـدُنـا ... فـقـلـتُ لـهـا: إن الـكـرامَ قليل
ومـا ضـرُّنـا أَنَّـا قـلـيـل وجـارنـا ... عـزيـزٌ وجـار الأكـثـريـن ذلـيـل [٢]

وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه[٣]:

ما أَكْـثَـرَ الـنَّـاسِ لَا بَـلْ مَـا أَقَلَّهُمُ ... اللهُ يَعْلَمُ أَنِّـي لَـمْ أَقُـلْ فَـنَـدا [٤]
إِنِّـي لَأَفْـتَـحُ عَيْني حِـيـنَ أَفْتَحُها ... عَلى كَثيرٍ وَلَـكِـنْ لَا أَرَى أَحَـدا!!

(١) تكاد تجمع المصادر الأدبية على عدم نسبة هذه الأبيات للإمام علي، فمنهم من نسبها لطرفة بن العبد، ومنهم من نسبها ليزيد بن عبد الملك، ومنهم من ذكرها بلا عزو، وعزاها كثيرون للإمام الشافعي ، رحمه الله تعالي، راجع ديوان الإمام الشافعي، إصدار دار الطلائع، القاهرة.

(٢) العقد الفريد لابن عبد ربه (١/ ١٥٢، ١٥٣) إصدار دار ومكتبة الهلال، بيروت.

(٣) ذكر ابن عبد ربه هذه البيتين وعزاهما لدعبل ، راجع المصدر السابق، وقيل هما ليحيي بن خالد البرمكي، وهناك من ذكرهما بلا عزو.

(٤) الفند: الكذب.

سهام الموت (البسيط)

شغل الموت بال الناس جميعًا.. فهو كأس لابد وأن يتجرعه كل أحد.. والإمام عليٌّ، رضي الله عنه، يذكرنا في هذه الأبيات، بتلك الحقيقة.. إذ لا يترك الموت والدًا ولا ولدًا.. كبيرًا ولا صغيرًا.. ولو كان في الموت من استثناء لكان الأولي بذلك رسول الله ﷺ، إلا أنه مات ولقي ربه تحقيقا لقول الحق سبحانه: ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر:٣٠]. فسهام الموت لا تخطئ أحدًا.. ومن فاته سهم الموت اليوم فلن يفته في الغد.. إذ لكل أجل كتاب..

يقول الإمام ، رضي الله عنه:

الـمَـوتُ لَا وَالِـدًا يُبقِي وَلَا وَلَـدًا ... هـذَا السَّبيلُ إلـي أَنْ لَا تَـري أَحَـدَا
كَـانَ الـنَّـبـيُّ وَلَـمْ يَـخْـلُـدْ لأمَّـتِـه ... لَـوْ خَـلَّـدَ الـلـهُ خَلْقًا قَبلَهُ خَـلَـدَا
لِـلـمَـوْتِ فِينَا سِـهَـامٌ غَـيْـرُ خَاطِئَةٍ ... مَـنْ فَاتَهُ الـيَـوْمَ سَهْمٌ لم يَفُتْهُ غَدَا

الإمام يرثي أباه[1] (البسيط)

أبو طالب، هو عم رسول الله ﷺ، وأبو الإمام علي رضي الله عنه، كان من أشد المدافعين عن رسول الله ﷺ، على الرغم من أنه لم يؤمن به، وجاء في الصحيحين أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ، فوجد عنده أبا جهل، وعبد الله ابن أبي أمية ابن المغيرة، فقال رسول الله ﷺ: «ياعمِّ، قُلْ: لا إلهَ إلَّا اللهُ، كلمةً أشهدُ لك بها عند الله».

فقال أبو جهل وعبد الله بن أبي أمية: يا أبا طالب ، أترغبُ عن ملة عبد المطلب؟ فلم يزل رسولُ الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيد له تلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخرَ ما كلَّمهم: هو على ملة عبد المطلب، وأبي أن يقول :لا إله إلا الله.

وفي رواية : لولا أن تُعيِّرني قريشٌ، يقولون : إنما حمله على ذلك الجزعُ، لأقررْتُ بها عينَك، فأنزل الله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ [القصص:٥٦] يقول الإمام وهو يرثي أباه:

أَرِقْـتُ لِـنَـوحِ آخِـرَ الليلِ غَـرَّدَا ... لِشَيْخِيَ يَنْعَي وَالرَّئِيسَ المُسَوَّدا
أَبَا طَالِبٍ مَأْوَى الضَّعَالِيكِ ذَا النَّدى ... وَذَا الحِلْمِ لا خُلْفًا وَلَمْ يَكُ قَعْدَدَا [2]
أَخَا المُلْكِ هل من ثَلْمَةٍ سَيَسُدُّها ... بَنُو هَاشِمٍ أَو يُسْتَبَاحَ فَيَهْمِدَا [3]
فَـأَمْـسَـتْ قُـرَيْـشٌ يَـفْـرَحُـونَ لِفَقْدِهِ ... وَلَـسْـتُ أَرَى حَيًّا لِـشَـيءٍ مُخَلَّدَا

(١) أورد بعض هذه الأبيات سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» مع اختلاف غير يسير في الألفاظ.
(٢) الضعاليك: جمع ضُعلوك، وهو الفقير.. ذا الندي: صاحب الجود والكرم، يُقال: هو ندي الكف: جواد .. لا خلفا: لا يخلف موعدًا.. القُعدد : الجبان، الخامل الذي يقعد عن المكارم.
(٣) الثلمة : الكسر والصدع.

أَرَادَتْ أُمُـورًا زَيَّنَتْهَا حُلُومُهُمْ ... سَتُوردُهُمْ يَوْمًا مِنَ الغَيِّ مَـوْرِدَا (١)
يُـرَجُّـونَ تَـكْـذِيـبَ النَّـبِـيِّ وَقَـتْـلَـهُ ... وَأَنْ يَفْتَرُوا بَهْتًا عَلَيه، وَمَجْحَدَا (٢)
كَذَبْتُمْ وَبَـيْـتِ اللهِ، حَتَّى نُذِيقَكُمْ ... صُدُورَ العَوَالِي وَالصَّفِيحَ المُهَنَّدَا (٣)
وَيَـظْـهَـرَ مِـنَّـا مَـنْـظَـرٌ ذُو كَـرِيـهَـةٍ ... إِذَا مَا تَسَرْبَلْنَا الحَدِيدَ المُسَرَّدَا (٤)
فَـإِمَّـا تُـبِـيـدُونَـا وَإِمَّـا نُـبِـيدُكُـم ... وَإِمَّـا تَـرَوا سِلْـمَ العَشِيرَةِ أَرْشَـدَا
وَإِلَّا فَـإِنَّ الـحَـيَّ دُونَ مُـحَـمَّـدٍ ... بَنُو هَاشِمٍ خَيرُ البَرِيَّةِ مَحْتِدَا (٥)
وَإِنَّ لَـهُ فِـيكُـمْ مِـنَ اللـهِ نَـاصِـرًا ... وَلَيسَ نَبِيٌّ صَـاحَـبَ اللهَ أَوْحَـدَا
نَـبِـيٌّ أَتَـى مِـن كُـلِّ وَحـيٍ بِخُطبَةٍ ... فَـسَـمَّـاهُ رَبِّـي فِي الكِتَابِ مُحَمَّدا
أَغَـرُّ كَـضَـوءِ البَـدرِ صُـورَةُ وَجهِهِ ... جَـلَا الـغَـيـمُ عَـنـهُ ضَـوءَهُ فَـتَـوَقَّـدا
أَمِـيـنٌ عَلَى مَا اسـتَـوْدَعَ اللـهُ قَلبَهُ ... وَإِن قَـالَ قَـولاً كَـانَ فِيهِ مُـسَـدَّدَا

ما قاله الإمام بعد مقتل طلحة يوم أحد (الرجز)

على الرغم مما أصاب المسلمين من انكسار في يوم أحد، إلا أنه كان للإمام مواقف تشهد بمدى شجاعته، وصدق إيمانه، وحبه لرسول الله ﷺ.. بدأ القتال بمبارزة بين الإمام عليٍّ رضي الله عنه، وطلحة بن عثمان، وكان بيده لواء المشركين، وطلب المبارزة مرارًا، فخرج إليه الإمام وقال له: والذي نفسي بيده لا أفارقك حتى يعجلك الله بسيفي إلي النار أو يعجلني بسيفك إلي الجنة.. فضربه الإمام ضربة قطعت رجله، فوقع على الأرض وانكشفت عورته، فصاح : يا ابن عمي، أنشدك الله والرحم!! فرجع عنه ولم يجهز عليه.. يقول الإمام رضي الله عنه:

أَصُـولُ بِـاللـهِ الـعَـزِيـزِ الأَمْـجَـدِ ... وَفَـالِـقِ الإِصْـبَـاحِ رَبِّ المَسْجِدِ
أَنا عليٌّ وابنُ عَمِّ المُهْتَدي

(١) حلوم: جمع حلم، وهو العقل.
(٢) البَهْت : الكذب المفتري
(٣) صدور العوالي : صفة للرماح . الصفيح المهند: السيف الحاد المصنوع في الهند.
(٤) تسربلنا : لبسنا السربال، وهو الدرع ، وهو المراد هنا، ويطلق السربال أيضًا على كل ما يلبس ، وفي القرآن الكريم: ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١] . ويقال: سرد الدرع: نسجها فشبك طرفي كل حلقتين وسمَّرهما.
(٥) المحتد: الأصل ، يُقال: إنه الكريم المحتد.

رد الإمام على هند بعد ما بلغه من شماتتها بقتل حمزة يوم أحد (الرجز)

في يوم أحد خرجت قريش ومن تابعها من بني كنانة وأهل تهامة، خرجوا بنسائهم طمعًا في الظفر بالمسلمين، وثأرًا لما أوقعه بهم المسلمون يوم بدر. ودعا جُبير بن مُطعم غلامًا له حَبشيًا يُقال له «وَحْشِيٌّ»، اشتهر بأنه قلما تخطئ ضربته.. وقال له : اخرج مع الناس، فإن أنت قتلت حمزة عمَّ محمد بعمِّي طُعَيْمةَ بن عديٍّ فأنت عتيق. وتمكن وحشيٌّ من حمزة، فاستشهد، وحزن عليه رسول الله ﷺ والمسلمون حزنًا شديدًا ، في الوقت الذي عَمَّ فيه الفرح معسكر المشركين، وكان من بين نسائهم «هند بنت عتبة»، التي لم تُخْف شماتتها بمقتل حمزة، بل مثلت بجثته، وبقرت بطنه، ثم علت على صخرة مرتفعة وصاحت بأعلى صوتها:

نَحْنُ جَزَيْنَاكُم بيوم بدْرِ ... والحربُ بعد الحربِ ذاتُ سُعُر (١)

مَا كَانَ عَنْ عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرِ ... وَلَا أَخِي وعمّه وبَكْرِي (٢)

شَفَيْتُ نفسي وَقَضَيْتُ نَذْرِي ... شَفَيْتَ وَحْشِيَّ غَلِيلَ صَدْرِي (٣)

فَشُكْرُ وَحْشِيٍّ عليَّ عُمْرِي ... حتَّى تَرِمَّ أعظُمي في قَبْرِي (٤)

وعندما بلغ الإمام شماتة هند، قال:

أتاني أنَّ هِنْدًا أُخْتَ صخْرِ ... دَعَتْ دَرَكًا وَبَشَّرت الهُنُودَا

فإنْ تَفْخَرْ بحَمْزَةَ حِينَ وَلَّى ... مَعَ الشُّهَدَاءِ مُحتَسِبًا شَهِيدَا

فَإِنَّا قَدْ قَتَلْنَا يَوْمَ بَدْرٍ ... أَبَا جَهْلٍ وَعُتْبَةَ والوَلِيدَا

وَقَتَّلْنَا سُرَاةَ النَّاسِ طُرًّا ... وَغُنَّمْنَا الوَلَائِدَ والعَبِيدَا (٥)

وَشَيْبَةَ قد قَتَلْنَا يَومَ ذَاكُمْ ... عَلى أَثْوابِهِ عَلَقًا جَسِيدَا (٦)

فَبُوِّئَ مِنْ جَهَنَّمَ شَرَّ دَارٍ ... عَلَيْهَا لَمْ يَجِدْ عَنهَا مَحِيدَا

وما سِيَّانِ مَنْ هُو في جَحِيمٍ ... يَكُونُ شَرَابُهُ فِيهَا صَدِيدَا

ومَنْ هُو في الجِنَانِ يُدَرُّ فِيهَا ... عَلَيْهِ الرِّزْقُ مُغْتَبِطًا حَمِيدَا (٧)

(١) سعر : جمع سعير، والمعني أنها ذات التهاب كالتهاب النيران.

(٢) عتبة: هو أبوها عتبة بن ربيعة، وأخي : أخوها الوليد بن عتبة، عمّه : عمها شيبة بن ربيعة، وبكري: هو ابنها حنظلة بن أبي سفيان، وأربعتهم قتلوا يوم بدر.

(٣) الغليل: العطش وحرارة الجوف، وقولها «وحشي» : منادي أي : يا وحشي. (٤) ترِمّ : تبلى وتتفتت.

(٥) السُّراة من كل شيءٍ أعلاه، وسراة الناس: أشرافهم وساداتهم.. الطرّ: الجماعة.. الولائد : جمع وليدة، وهي الأمة والمولودة بين العرب.

(٦) الجسيد : يُقال : جَسدَ الدم: يبس، وجَسد به : لصق، فهو جسيد. (٧) مغتبطًا : منعمًا.

إلى من انشغلوا بالبناء والإستمتاع بالأهل والأولاد
(الكامل)

يحذر الإمام هؤلاء اللاهين، الذين شغلوا أنفسهم وتنافسوا في بناء البيوت والقصور، ونسوا الموت والقبور.. هؤلاء الذين شغلتهم أموالهم وأهلوهم عن ذكر الله والسعي في مرضاته.. وكأنهم يجهلون قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ﴾ [التغابن:١٤] .. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

إنَّ الَّـذيـنَ بَـنَـوا فَـطَـالَ بِـنَـاؤُهُـمْ ... وَاسْـتَـمْـتَـعُـوا بـالأَهْـلِ وَالأَولَادِ
جَـرَتِ الـرِّيـاحُ عَلى مَحَلِّ دِيَـارِهِـمْ ... فَـكَـأَنَّـهُـمْ كَـانُـوا عَـلَـى مِـيـعَـادِ

من أخلاق الإمام (البسيط)

هذه مجموعة من أخلاق الإمام، يذكرها عن نفسه، ليس فخرًا ولا تَيْهًا، وإنما هي من نِعَم الله التي أنعم بها عليه فحدَّث بها عملًا بقوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى:١١]. يقول الإمام، رضي الله عنه[١]:

مَـا وَدَّنِـي أَحَـدٌ إلَّا بَـذَلْـتُ لَـهُ ... صَفْوَ الـمَـوَدَّةِ مِنِّي آخِـرَ الأَبَـدِ [٢]
وَلَا قَـلانِـي وَإِنْ كَـانَ الْمُسِيءُ بِنَا ... إلّا دَعَـوتُ لَـهُ الرَّحمنَ بالرَّشَدِ [٣]
وَلَا ائْتُمِنْتُ عَلى سِرٍّ فَبُحْتُ بِهِ ... وَلَا مَـدَدْتُ إلى غَيرِ الجَميلِ يَدي [٤]
وَلَا أَقُـولُ: «نَـعَـمْ» يَـومًـا فَأُتْبِعَهُ ... بِـ «لَا» وَلَـوْ ذَهَبَتْ بِالْمَالِ وَالوَلَدِ

صديقُ عدوِّي[٥] (الطويل)

قالوا: من علامة الصديق أن يكون لصديق صديقه صديقًا، ولعدوِّ صديقه عدوًّا.

ويُذكر أن دحيم الكلبي وفد على أمير المؤمنين عليٍّ، رضي الله عنه، فما زال يذكر معاوية ويطريه في مجلسه، فقال عليٌّ، رضي الله عنه:

(١) عزت بعض المصادر، كما في عيون الأخبار، بعض هذه الأبيات لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر.
(٢) الصفو من كل شيء: خياره وخالصه، والمودة : المحبة، وفي القرآن الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾[الممتحنة:١].
(٣) قلاني: أبغضني وهجرني ، وفي القرآن الكريم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحى:٣].
(٤) ضرب الإمام علي رضي الله عنه، المثل الأعلى في الأمانة وكتمان السر، ومما ينسب إليه قوله: سرُّك أسيرُك، فإذا تكلمت به صرت أسيرَه.
(٥) لم يرد هذان البيتان ضمن كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما ابن عبد ربه في العقد الفريد[٢/ ٩٠ إصدار دار ومكتبة الحياة] ونسبهما للإمام عليٍّ رضي الله عنه.

صديقُ عَـدُوِّي داخـلٌ في عَداوتي ... وإنـي لِـمَـنْ وَدَّ الـصـديـقَ ودود
فـلا تـقْـربَـنْ مـنِّي وأنـت صديقُه ... فـإنَّ الـذي بـيْـن الـقـلـوبِ بعيد

صداقة لا قيمة لها! (الهزج)

قال حكيم: الصاحبُ للصاحب كالرقعة في الثوب، إذ لم تكن مثله شانته. وسُئل ابن السماك: أي الإخوان أحق ببقاء المودة؟ قال: الوافر دينه، الوافي عقله، الذي لا يملك على القرب، ولا ينساك على البعْد، إن دنوت منه داناك، وإن بعدت عنه راعاك، وإن استعنت به عضدك، وإن احتجت إليه رفدك، وتكون مودَّة فعله أكثر من مودَّة قوله.. ولكن ماذا لو فقد الصديق هذه الصفات؟

إنه لا يكون صديقًا ولا يجب الاحتفاظ بصداقته.. يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه[1]:

إذَا الـمـرْءُ لـم يـحـفـظْ ثـلاثًـا ... فـبِـعْـهُ ولـو بـكـفٍّ مـن رمـادِ
وفـاءً لـلـصـديـقِ، وبـذْلَ مـالٍ ... وكـتـمـانَ الـسـرائـر فـي الـفـؤادِ

ليت الشباب يعود يومًا!! (الوافر)

الشباب باكورة الحياة، وأطيبُ العيْش أوائله، كما أن أطْيب الثمار بواكيرها..

ولكن هل يعود الشباب إذا ولّي؟ يقول الشاعر:

عَـريـتُ من الشباب وكنتُ غُصنًا ... كـم يـعـرِّي مـن الـورق القضيبُ
ونُـحْـتُ على الشباب بدمْعِ عيْني ... فـمـا نَـفَـعَ الـبـكـاءُ ولا النحيبُ
فـيـالـيـت الـشـبـابَ يـعـودُ يـومًـا ... فـأخـبـره بـمـا فـعـلَ الـمـشـيـبُ

ومما ينسب إلي الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، في ذلك قوله[2]:

بـكـيْـتُ عـلـى شـبـاب قـد تـولّـي ... فـيـالـيْـتَ الـشـبـابَ لـنـا يـعـودُ
فـلـو كـان الـشـبـابُ يُـبـاع بيْعًا ... لأعـطـيْـتُ الـمـبـايـعَ مـا يـريـدُ
ولـكـنَّ الـشـبـابَ إذا تـولّـي ... عـلـى شـرف فـمـطـلـبُـه بـعـيـدُ

(١) لم يرد هذان البيتان ضمن كثير مما نسب للإمام من أشعار، وأوردهما الكيدري في «أنوار العقول».

(٢) ذكر هذه الأبيات الكيدري في «أنوار العقول».

وصية جامعة (الطويل)

هذه وصية جامعة أسداها الإمام علي لابنه الحسين، رضي الله عنهما، وفيها يقول الإمام[1]: يا بنيَّ إنَّ أسْعدَ الناسِ جَدًّا، وأوفاهُم عَهدًا، وأرجَحَهُم حِلْمًا، وأوْسعَهُم علمًا، وأزكاهُم عَقْلًا، وأحمَدَهُم فعلًا، وأوفرَهُم سيما، وأكرمَهُم خليقةً، وأرضاهُم طريقةً، مَنْ عَرَفَ اللهَ تعالى، وقامَ بفرضه، وحافظَ على دينه، وحظيَ ببرِّ وَالديْه، وظفر بأداء المفترض لهما عليه، وكانَ ببرهما مَوْصُوفًا، فذلكَ الآخذُ بحقِّه، الموفقُ لرُشده، المسدَّدُ في فعله، المتقدم لمعاده، الطالبُ لحسن إرشاده. وإنَّ أعجزَهُم رأيًا، وأسوأهُم حالًا، وأقساهُم قلبًا، وأدْنسَهُم ثوبًا، من استبدلَ ببرهما عقوقًا، وبرشدهما غيًّا، وبهديهما ضلالًا، وبتسديدهما خبالًا، فذلكَ الذي أورطهُ الغيُّ في سبل تَلْفه، وسلَكَ به الجهلُ في مهاوي حتفه، فإنْ حداكَ أحدٌ عن مواصلته، ورغبكَ في صداقتهِ ومرافقته ومصافاته، فأردِدْ في قرنه ردًّا، وأوْصدْ عن وصله صدًّا، وكن كما أقول:

عَلَيكَ ببرِّ الوَالدَيْنِ كِلَيْهِمَا ... وَبرّ ذَوي الْقُرْبَى وَبرِّ الأَبَاعِدِ
وَلَا تَصْحَبَنْ إلَّا تقيًّا مُهَذَّبًا ... عَفِيفًا زَكِيًّا مُنْجِزًا لِلْمَوَاعِدِ
وقَارنْ إذا قارنْتَ حُرًّا مؤدَّبًا ... فَتًى من بني الأحرار زينَ المُشاهِدِ
وَكُفَّ الأَذَى وَاحفَظْ لسَانَكَ وارْتَقِبْ ... فَدَيْتُكَ في ودِّ الْخَلِيلِ الْمُسَاعِدِ
وَنَافِسْ بِبَذْلِ الْمَالِ فِي طَلَبِ العُلَى ... بِهِمَّةِ مَحْمُودِ الْخَلَائِقِ مَاجِدِ
وَكُنْ وَاثِقًا بالله في كُلِّ حَادِثٍ ... يَصُنْكَ مَدَى الأَيَّامِ مِنْ عَيْنِ حَاسِدِ
وَبالله فَاسْتَعْصِمْ وَلَا تَرْجُ غَيْرَهُ ... وَلَا تَكُ لِلنَّعْمَاءِ مِنْهُ بِجَاحِدِ
وَغُضَّ عَنْ الْمَكْرُوه طَرْفَكَ وَاجْتَنِبْ ... أَذَى الْجَارِ وَاسْتَمْسِكْ بِحَبْلِ المَحامِدِ
وَلَا تَبْنِ لِلدُّنْيَا بِنَاءَ مُؤَمِّلٍ ... خُلُودًا فَمَا حَيٌّ عَلَيْهَا بِخَالِدِ
وَكُلُّ صَدِيقٍ لَيْسَ لِلهِ وِدُّهُ ... فَنَادِ عَلَيْهِ: هَلْ بِهِ مِنْ مُزَايِدِ؟!

قافية الذال

إنما الدهرُ ساعة (مجزوء الخفيف)

إنما الدهر ساعة، هكذا يقول الإمام، رضي الله عنه: وهل هو غير ذلك؟! فاجعله طاعة... وعلى المرء ألا يغترَّ بصحته ووقته، فسرعان ما تنقضي الأيام، ويفني العمر.. وعليه

(١) ذكر ذلك الكيدري في «أنوار العقول».

أن يتسلح دائمًا بالصبر، فهو العلاج الناجع لكل الأزمات والمصائب.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

غُضَّ عَيْنًا على القَذَى وتَصَبَّرْ عَلى الأذَى [1]
إنَّما الدَّهْرُ ساعةٌ يَقْطَعُ الدهرُ كلَّ ذا

قافية الراء

بين الإمام ومرحب اليهودي في يوم خيبر (الرجز)

كانت خيبر مستعمرة يهودية تتضمن قلاعًا حصينة ، وقاعدة حربية لليهود، وآخر معقل من معاقلهم في الجزيرة العربية.. وكانوا يتربصون بالمسلمين الدوائر، ويتآمرون مع يهود المدينة وخارجها لغزو المدينة، فأراد رسول الله ﷺ أن يستريح منهم ويأمن من جهتهم، فتوجه بجيشه إلي خيبر، ونازل حصونهم، وبدأ يفتحها حصنًا حصنًا، واستعصي حصن الغموص على المسلمين، وكان عليّ بن أبي طالب رمدًا، فقال رسول الله ﷺ: «لأعطين الراية غدًا رجلا يفتح الله على يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله».. وكان هذا الرجل هو الإمام عليًّا رضي الله عنه[2].. فانطلق حتى فتح الله خيبر على يديه.. وكان مما أظهره الإمام من بطولة في ذلك، أن خرج له مرحب ملكهم متباهيًا وهو يقول:

قَدْ عَلِمَتْ «خَيْبَرُ» أنِّي مَرْحَبُ شاكِي السِّلاحِ بَطَلٌ مُجَرَّبُ
أطْعَنُ أحْيانًا وَحِينًا أضْرِبُ إذَا اللُّيُوثُ أقْبَلَتْ تَلْتَهِبْ [3]

فأجابَهُ الإمام رضي الله عنه:

أنا الذي سَمَّتْنِي أُمِّي حَيدَرَه ضِرغامُ آجامٍ وَلَيثٌ قَسْوَرَه [4]
عَبلُ الذِّراعَيْنِ شَدِيدُ القصوره كَلِيثِ غَابَاتٍ كَرِيهِ المنظَرَه [5]
أكيلُكُم بِالسَّيفِ كَيلَ السَّندَرَه أضرِبُكُم ضَرْبًا يَبينُ الفِقَرَه [6]

---

(1) القذى جمع قذاة: ما يتكون في العين من رَمَص وغَمص وغيرهما، يُقال: هو يغضى على القذى : إذا سكت على الذل والضيم ولم يشك، ومراد الإمام هنا: الصبر على المصائب ونوائب الدهر.

(2) راجع أسنى المطالب في سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، د. علي محمد الصلابي.

(3) ورد بعض من هذا الحوار في صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب «غزوة ذي قرد وغيرها».

(4) حيدره: اسم للأسد، وكان عليّ رضي الله عنه قد سُمِّي أسدًا في أول ولادته، وكان مرحب قد رأي في المنام أن أسدًا يقتله، فذكره عليّ بذلك ليخيفه ، وسُمِّي الأسد حيدرة لغلظه، والحادر: الغليظ القوى ، ومراده : أنا الأسد في جراءته وإقدامه وقوته.. والضرغام والليث وقسورة: من أسماء الأسد. والآجام: جمع آجمة، وهي الشجر الكثيف الملتف، مأوي الأسود.

(5) العبل: الضخم من كل شيء، يُقال : هو عبل الذراعين.

(6) أكيلكم بالسيف كيل السندرة: أي أقتلكم قتلًا واسعًا ذريعًا، والسندرة: مكيال واسع، وقيل: هل العجلة، أي أقتلكم عاجلًا. وقيل: مأخوذ من السندرة وهي شجر الصنوبر يعمل منها النبل والقسي.

وَأَتْـــرُكُ الـقِـرنَ بِـقَـاعٍ جَـزَرَه ... أَضْـرِبُ بِالسَّيفِ رِقَـابَ الكَفَرَه (١)
ضَـــرْبَ غُـــلامٍ مـاجِـدٍ حَـــزوَّرَه ... مَـنْ يَـتْـرُكُ الـحَـقَّ يُـقَـوِّم صَـعَـرَهُ (٢)
أَقْـتُـلُ مِـنْكُـم سَـبْـعَـةً أَو عَـشَـرَهْ ... فَـكُـلُّـكُـمْ أَهْـــلُ فُـسُـوقٍ فَـجَـرَه

أمر منكر (الرجز)

ذكر قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في كتابه «أنوار العقول» أنه قيل للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، إن بباب المسجد قومًا يزعمون أنك ربهم، فدعاهم وقال لهم: ويْلكم، إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام وأشرب الشراب، فاتقوا الله وارجعوا، فأبوْا، فطردهم، فأتوا في اليوم الثاني والثالث، وقالوا مثل ما قالوا، فقال لهم: والله، إن تبتم وإلا قُتلتم أخبث قتلة.. ودعا قنبرًا، فأتي بقدوم، فحفر لهم أخدودًا ودعا بالحطب وأضمر فيه النار، وقال: إني طار حكم فيه أو ترجعوا، فأبوْا، فقذف بهم فيها! حتى أحرقوا.. وقيل: لم يحرقهم وإنما أدخن عليهم.. ثم أنشأ يقول:

لَـمَّـا رَأَيْـتُ الأَمْـرَ أَمْـرًا مُـنْـكَـرًا ... أَجَّـجْـتُ نَـارِي وَدَعَـوْتُ قَنْبَرا (٣)
ثُـمَّ احْـتَـفَـرْتُ حُـفَـرًا وَحُـفَـرًا ... وَقَـنْـبَـرٌ يَـحْـطِـمُ حَـطْـمًا مُـنْـكَـرَا

مخالفة النفس (الطويل)

قد يضطر الإنسان، في حال الشدة، لأن يقترض المال لحاجة ألمت به..

ولكن كيف له أن يقترض لينفق على شهوات نفسه؟!

إن هذا هو السفه بعينه!! وعلى العاقل أن يتجنب ذلك، وإذا ما أصابته فاقة فعليه بالصبر حتى يأذن الله بالفرج، فإن بعد العسر يسرًا. يقول الإمام، رضي الله عنه:

إِذا شِئتَ أَن تَستَقرِضَ المالَ مُنفِقًا ... عَلى شَهَواتِ النَّفسِ في زَمَنِ العُسْرِ
فَسَل نَفسَكَ الإِنفاقَ مِن كَنْزِ صَبْرِها ... عَلَيكَ وَإِنظارًا إِلى زَمَنِ اليُسْرِ (٤)
فَـإِنْ سَمَحَت كُنتَ الغَنِيَّ وَإِن أَبَتْ ... فَكُلُّ مَنُوعٍ بَعْدَهَا واسِعُ العُذرِ (٥)

(١) القِرن للإنسان: مثله في الشجاعة والشدة والعلم والقتال، والمعني: أترك البطل القوى مجزورًا بالأرض.
(٢) الحَزوَر: الغلام القوى
(٣) أجج النار: ألهبها.. وقنبر: اسم غلام علي رضي الله عنه.
(٤) الإنظار: التمهل والانتظار، وهو بمعني النظرة كما في قوله تعالى ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠].
(٥) المنوع: الذي يمنع غيره، وفي القرآن الكريم ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [المعارج: ٢١]

لا ينجي الحذر من القدر (الرمل)

بعد مقتل الخليفة الثالث،عثمان بن عفان رضي الله عنه، توترت العلاقة بين الإمام علي بن أبي طالب من جهة، ومعاوية بن أبي سفيان الذي كان واليًا على الشام منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، من جهة أخرى.. وتسارعت الأحداث حتى التقيا، كل منهما بجيشه، في صفين على الشاطئ الغربي للفرات.. وكان لهذه المعركة آثارها السيئة التي لا تزال الأمة الإسلامية تذوق مرارتها حتى الآن.. ومما ينسب إلي أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، أنه كان يخرج كل يوم، فيقف بين الفريقين ويقول[1]:

أَيُّ يَـومَـيَّ مِـنَ الـمَـوْتِ أفِـرّ ... يَـومَ لا يُـقـدَرُ أَمْ يَـومَ قُـدِرْ
يَـومَ لا يُـقْـدَرُ لا أرْهَـبُـه ... وَإذا قُـدِّرَ لا يُـنْـجِي الـحَـذَرْ

ومثله قول جرير:

قُـلْ لـلـجـبـانِ إذا تـأخـر سـرجُـه ... هـل أنـت مـن شـرك المنية نـاج؟!

تلكم قريش (البسيط)

انتهت معركة صفين إلي ما انتهت إليه من تصدع واضطراب في الصف الإسلامي، وكان من نتيجة ذلك مقتل الإمام علي، رضي الله عنه، على يد أحد من خرجوا عليه «الخوارج» ويُدعي عبد الرحمن بن ملجم.. شعر الإمام بالخطر الذي يهدد الأمة، والفتنة التي اشتعلت نيرانها، فقال قُبيْل قتله بأيام[2]:

تلكُم قُـرَيـشُ تَـمَـنّـانـي لتَقتُلَني ... فَـلا وَرَبِّـكَ مـا بَـرّوا وَمـا ظَـفِـروا
فَـإن بَـقـيـتُ فَـرَهـنٌ ذِمَّـتـي لَـكُـمُ ... بِـذات وَدْقَـيـن لا يَعفو لَها أَثَـرُ [3]
وَإن هلكتُ فَـإنّـي سَـوفَ أورِثُـهُـم ... ذُلَّ الحَياةِ فَقَد خَانُوا وَقَد غَـدَرُوا [4]
أَمـا بَـقـيـتُ فَـإنّـي لَـسـتُ مُـتَّـخِـذًا ... أَهلًا وَلا شيعَةً في الدِّين إذ فَجَرُوا [5]
قَـد بايَعوني وَلَـم يوفوا بِبَيْعَتِهم ... وَمـاكَـرُونـي بـالأَعْـدَاءِ إذ مَـكَـرُوا
وَنـاصَـبـونـي فـي حَـربٍ مُـضَـرَّسَـةٍ ... مَـا لَـم يُـلاقِ أَبُـو بَكرٍ وَلا عُمَرُ [6]

(١) ذكر هذين البيتين ابن عبد ربه في أكثر من موضع من كتاب العقد الفريد[١/ ٦٧، ٥/ ١٦٧، ٥/ ١٧٦ إصدار دار ومكتبة الهلال، بيروت].

(٢) أورد سبط ابن الجوزي بعض هذه الأبيات، مع اختلاف يسير، في كتابه «تذكرة الخواص».

(٣) يُقال: سحابة ذات ودقين أي مطرتين شديدتين، وشبه بها الحرب، فقيل: حرب ذات ودقين، أي حرب شديدة [راجع لسان العرب مادة ودق].. لا يعفو لها اثر: لا يُمحي أثرها.

(٤) إذ من المعلوم أنه حدث انشقاق في صفوف جيش علي رضي الله عنه، بعد قبوله مبدأ التحكيم، وخرج عليه بعض ممن كانوا معه ورأوا أن قبول عليٍّ للتحكيم ذنب يوجب الكفر، فعليه أن يتوب إلي الله تعالى، وهم من عرفوا بعد ذلك باسم الخوارج، وكان منهم عبد الرحمن بن ملجم الذي قتل الإمام.

(٥) شيعة الرجل: أتباعه وأنصاره.

(٦) حرب ضروس: شديدة مهلكة

لا تحسبنّي غرًّا (الرجز)

الغرُّ: من ينخدع إذا خُدع.. ورجل غِرٌّ وغرير: أي غير مجرب.. وهي صفة يبرأ منها الإمام، فهو الشجاع الخبير بعواقب الأمور.. يشهد له الجميع بذلك، كما تشهد له ساحات الوغي وهو يصول ويجول، متحديًا لا يهاب الموت.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

يـا ذَا الَّـذي يَـطْـلُـبُ مِـنِّـي الـوَتْـرا ... إنْ كُنْتَ تَبْغِي أنْ تَـزُورَ القَبْرا (١)
حَـقًّـا وَتَـصْـلَـى بَـعْـدَ ذاكَ الجَمْرا ... أُسْـعِـطُـكَ الـيَـوْمَ زُعـافًـا مُـرّا (٢)

لا تَحْسَبَنِّي يا بْنَ عاصٍ غِرًّا

إنَّ للحرب عُراما (الرجز)

يقول الإمام، فيما ينسب إليه، مما كتبه إلي معاوية بن أبي سفيان وهو بصفين: أما بعد:

فَـإنَّ لِـلْـحَـرْبِ عُـرامًـا شَـزِرًا ... إنَّ عَلَيْها سائِقًا عَشَنْزَرا (٣)
يُـنْـصِـفُ مَـنْ أحْـجَـمَ أوْ تَـنَـمَّـرا ... عَلى نَواحِيها مِـزَجٌّ زَمْـجَـرا (٤)

إذا وَنَيْنَ ساعَةً تَغَشْمَرا (٥)

عاقبة الصبر (البسيط)

مدح الله سبحانه وتعالى الصبر في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وأمر به، وأثني على من اتصف به، وأخبر أنه سبحانه وتعالى معه، وحث على التثبت في الأشياء ومجانبة الاستعجال فيها.. فمن ذلك قوله تعالي: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣] قال الأشعث بن قيس(٦): دخلت على أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب، رضي الله عنه، فوجدته قد أثر فيه صبرُه على العبادة الشديدة ليلًا ونهارًا، فقلت: يا أمير المؤمنين، إلي كم تصبر على مكابدة هذه الشدة؟ فما زادني إلَّا أنْ قال:

اصْبرْ على مَضَضِ الإدْلاجِ في السَّحَر ... وفي الرَّوَاحِ إلى الطاعات في البُكَر (٧)

(١) الوتر: القتل والثأر، يُقال: وَتَر فلانًا: قتل حميمه، وأدركه بمكروه.
(٢) اسعطك: أصل السعوط: دواء يُدخل في الأنف، ويُقال سُمٌّ زعاف: سريع القتل.
(٣) العُرام من الجيش: كثرته وشدته.. والشزر: الطعن عن يمين وشمال.. عشنزر: شديد الخلق.
(٤) تنمَّر: تشبه بالنمر في لونه أو طبعه.. المزج: رمح قصير في أسفله حديدة.
(٥) يقال: ونى في الأمر: فتر وضعف.. تغشمر: غضب وتنمر، وتغشمر الجيش: أقبل.
(٦) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٣٤٩.
(٧) الإدلاج السير من أول الليل، أو سير الليل كله.. السحر آخر الليل قبيل الفجر.

إنِّـي رَأَيْـتُ وفـي الأَيَّـام تَـجْـرِبَـةٌ ... لِـلـصَّـبْـرِ عـاقِـبَـةٌ مَـحْـمُـودَةُ الأَثَـرِ
وقَـلَّ مَـنْ جَـدَّ فـي أَمْـرٍ يؤَمِّلُه ... واسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إلاَّ فاز بالظَّفَرِ [1]

فحفظتها منه، وألزمتُ نفسي الصبرَ في الأمور، فوجدتُ بركة ذلك.

إليك أشكو (الرجز)

كانت موقعة الجمل أولى النتائج السيئة التى أصابت المسلمين بعد الفتنة التي أطلت برأسها بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وقتل فيها من الصحابة عدد غير قليل.. ذكر الميداني أن عليًا، رضي الله عنه، لما وقف على القتلى قال[2]:

إلَـيْـكَ أَشْـكُـو عُـجَـرِي وَبُـجَـرِي ... وَمَـعْـشَـرًا غَـشُّـوا عَـلَـيَّ بَـصَـرِي [3]
إنِّـي قَـتَـلْـتُ مُـضَـرِي بِـمُـضَـرِي ... شَـفَـيْـتُ نَـفْـسِي وَقَـتَـلْـتُ مَـعْـشَـرِي

في ليلة الهجرة (الطويل)

لما أذن الله سبحانه وتعالي، لرسول الله ﷺ، بالهجرة من مكة إلي المدينة، أمر رسول الله ﷺ عليًا أن يتخلف بعده بمكة، حتى يؤدي عن رسول الله ﷺ الودائع التى كانت عنده للناس، وكان رسول الله ﷺ ليس بمكة أحد عنده شيء يخشي عليه إلا وضعه عنده، لما يعلم من صدقه وأمانته ﷺ. وأمر ﷺ عليًا أن ينام في فراشه وقال له: «نم على فراشي، وتسَجَّ ببردي هذا الحضرميِّ الأخضر، فَنَمْ فيه، فإنه لن يخلصَ إليك شيء تكرهه منهم»، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام[4]. روي عليٌّ بن الحسين قال: إن أول من شري نفسه ابتغاء رضوان الله علي بن أبي طالب، وقد قال عند مبيته على فراش رسول الله ﷺ:

وَقَيْتُ بِنَفْسِي خَيْرَ مَنْ وَطِئَ الحَصَى ... وَمَـنْ طَـافَ بالبَيْتِ العَتِيقِ وَبالحِجْرِ
رسـول الـلـه خـاف أنْ يـمـكـروا به ... فـوقـاه ربـي ذو الـجـلال مـن المكْرِ
وَبِـتُّ أُرَاعِـيـهِـمْ ولـم يتهمونني ... وَقَد وَطَّنتُ نَفسِي عَلى القَتْلِ وَالأَسْرِ
وَبـاتَ رَسـولُ الـلَّـه فـي الـغـار آمِناً ... هُـنـاكَ وَفـي حِـفـظِ الإلَـهِ وَفـي سَتْرِ
أَقـامَ ثَـلاثًـا ثُـمَّ زُمَّـت قَـلائِـصُ ... قَلائِصُ يَفرينَ الحَصَى أَينَما يَفري [5]

---

(١) وقد أورد هذه الأبيات سبط ابن الجوزي، في كتابه «تذكرة الخواص» مع اختلاف غير يسير في الألفاظ.
(٢) راجع تذكرة الخواص لسبط بن الجوزي، وكذا تاريخ الطبري ونهاية الأرب.
(٣) عُجري وبجري: عيوبي وأمري كله، ما خفي منه وما ظهر.. غشُّوا عليَّ بصري: جعلوا عليه غشاءً فلا أكاد أبصر.
(٤) سيرة النبي ﷺ لابن هشام.
(٥) زمَّت: تقدمت في السير.. قلائص: جمع قلوص، وهي من الإبل: الفتية المجتمعة الخلْق، وذلك من حين تركب إلي التاسعة من عمرها، ثم هي ناقة.. يفرين: يشققن ويفتتن.

أَرَدتُ بِهِ نَصرَ الإِلَهِ تَبَتُّلا وَأَضمَرتُهُ حَتّى أَوَسَّدَ في قَبري [1]

دواؤك فيك... وداؤك منك (المتقارب)

قد يجهل الإنسان حقيقة نفسه.. كيف خُلق؟ ولم خُلق؟

ولعل السبب في ذلك هو غفلته عما دعا إليه الله عز وجل من التفكر والتبصر.. قال سبحانه: ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [الذاريات:٢١]. إن في خلق الإنسان من الأسرار والمعجزات والآيات ما لا ينكره إلا مكابر طمس الله على سمعه وبصره.. فلينظر كل منا في نفسه ليري تلك الأسرار والمعجزات والآيات.. يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

دَوَاؤُكَ فِيكَ وَمَا تَشْعُرُ وَدَاؤُكَ مِنْكَ وَمَا تُبْصِرُ
وَتَحْسَبُ أَنَّكَ جِرْمٌ صَغِيرٌ وَفِيكَ انْطَوَى العَالَمُ الأَكْبَرُ
وَأَنْتَ الكِتَابُ المُبِينُ الَّذِي بِأَحْرُفِهِ يَظْهَرُ المُضْمَرُ
فَلا حَاجَةَ لَكَ فِي خَارِجٍ يُخْبِرُ عَنكَ بِمَا سَطَرُوا [2]

أنا عليّ (الرجز)

في هذه الأبيات الأربعة يذكر الإمام فضائله التي حباه الله بها..

فهو الشجاع المقدام، دافع دفاع الأبطال عن دينه وعقيدته.. وهو مَنْ هو؟

فالنبي ﷺ ابن عمه.. وحمزة الخير عمه.. وجعفرُ الطيارُ أخوه.. وفاطمة الزهراء زوجته.. فهل هناك سواه جمع كل هذه الفضائل؟!

يقول الإمام، رضي الله عنه، ذاكرا نعم الله عليه:

أَنَا عَلِيٌّ فَاسْأَلُونِي تُخْبَرُوا سَيْفِي حُسَامٌ وَسِنَانِي يُزْهِرُ
مِنَّا النَّبِيُّ الطَّاهِرُ المُطَهَّرُ وَحَمْزَةُ الخَيْرِ وَصِنْوِي جَعْفَرُ [3]
لَهُ جَنَاحٌ فِي الجِنَانِ أَخْضَرُ وَفَاطِمٌ عِرْسِي وَفِيهَا مَفْخَرُ [4]

(١) ذكر ذلك أيضًا الحاكم النيسابوري في مستدركه(٣/ ٤) مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ وترتيب الأبيات، وكذا سبط ابن الجوزي في «تذكرة الحفاظ».

(٢) لم يذكر هذا البيت في معظم طبعات الديوان المتداولة، وإنما ذكره الكيدري في «أنوار العقول».

(٣) الصنو: الأخ الشقيق.. وجعفر بن أبي طالب شقيق علي رضي الله عنهما، فقد كان لأبي طالب أربعة أبناء، هم على الترتيب: طالب، وعقيل، وجعفر، وعلي.. استشهد جعفر في غزوة مؤتة، وقطعت يداه، فأخبر النبي ﷺ بأن الله عوَّض جعفر من يديه جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة.

(٤) فاطم: هي فاطمة الزهراء، ابنة رسول الله ﷺ، وزوج الإمام علي رضي الله عنهما.

هـذا لـهـذا وابـنُ هِـنْـدٍ مَـحْـجَـرُ مُـذَبْـذَبٌ مُـطَـرَّدٌ مُـؤَخَّـرُ

أنا والدَّهر (الطويل)

الأيام دول.. يوم لك ويوم عليك.. يومٌ يسرك، ويومٌ يسوؤك.. قال سبحانه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠] فالعاقل من لا يركن إليها .. قال حكيم: لا يأتي علينا زمان إلا بكيْنا منه، ولا يتولي عنا زمان إلا بكينا عليه!! وقال آخر:

أفّ لـلـدنـيـا إذا كـانـت كـذا أنـا مـنـهـا فـي بـلاء وأذي
إن صفا عـيْـشُ امـرئ فـي صبحها جـرَّعـتْـه مُـمْـسـيـا كـأس الـردي

ومما يؤثر عن الإمام قوله: ما قال الناس لشيء طُوبى إلَّا وقد خبَّأ له الدهرُ يوْمَ سوء!!

ثم هو يذكر الناس بضرورة الشكر عند السراء والصبر عند الضراء، عملًا بقوله ﷺ: «عجبًا لأمْر المؤمن، إنَّ أمْرَه كلَّه خيْرٌ، وليس ذاك لأحَد إلَّا للمؤمن، إنْ أصابتْه سرَّاءُ شكرَ، فكان خيرًا له، وإن أصابَتْه ضراءُ صبر، فكان خيْرًا له[1]». وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

لَئِنْ سَـاءَنِـي دَهْـرٌ لَقَدْ سَرَّني دَهْـرُ وَإِنْ مَسَّني عُسْرٌ فَقَدْ مَسَّنِي يُسْرُ
لِـكُـلِّ مِـنَ الأَيَّـامِ عِـنْـدِيَ عَـادَةٌ فَـإِنْ سَاءَنِي صَبْرٌ وإِنْ سَرَّنِي شُكر

أول ليلة في القبر (الكامل)

سبحانك ربي، لا رادَّ لقضائك، جعلت الموت نهاية كل حي، ولكلٍّ أجلٌ لا يتعداه، وعمرٌ لا يتخطاه ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]

ولكن، ماذا بعد الموت؟

بعد الموت قبر، ثم بعثٌ، ثم حَشْر، ثم حسابٌ فإما إلي جنة، وإما إلي نار...

ولقد حدثنا القرآن الكريم عن القبر وما وراءه، وجاءت السنة المطهرة لتلقي الضوء على ما كان خافيًا على الناس من فتن القبر، وأهواله، ونعيمه وعذابه.. فللقبر ضمة لا يسلم منه إنسان كائن من كان[2]..

والعاقل من لم تشغله دنياه عن الاستعداد للقاء الله.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزهد والرقائق، حديث رقم ٢٩٩٩.

(٢) راجع الليلة الأولي من ليالي القبر، محمد إبراهيم سليم، مكتبة القرآن، القاهرة.

إنَّ لـلـه عـبـادًا فُـطَـنـا ... طَـلَّـقـوا الـدنـيـا وخـافـوا الفِتَنا
نـظـروا فـيـهـا فـلـمَّـا عـلـمـوا ... أنـهـا لـيـسـت لـحـيٍّ وطَـنَـا
جـعـلـوهـا لُـجَّـةً واتـخـذوا ... صـالـحَ الأعـمـالِ فـيـهـا سُـفُـنـا

ثم هو بعد ذلك ينبهنا إلي ما في القبر من فتنٍ وأهوال، فيقول:

تَـاللَّـهِ لَـو عـاشَ الفَتى فـي دَهـرِهِ ... ألـفًـا مِـنَ الأعْـوامِ مَـالِـكَ أمـرِهِ
مُـتَـمَـتِّـعًـا فـيـهـا بـكُـلِّ نَـفِـيـسَـةٍ ... مُـتَـلَـذِّذًا فيها بـنُـعْـمَـى عَـصْـرِهِ
لا يَـعْـتَـريـه الـسُّـقْـمُ فيها مَـرَّةً ... كَـلّا ولا تَـرِدُ الـهُـمـومُ بـفِـكْـرِهِ
مـا كـانَ هـذا كُـلُّـهُ فـي أن يَـفِـي ... بِـمَـبِـيـتِ أولِ ليلةٍ فـي قـبـره [1]

كلامك أحبُّ إليَّ من عطائك (المنسرح)

أتي رجل إلى الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، وقال له: قد عيل صبري، فأعطني.

فقال الإمام: أفأنشدك شيئًا أمْ أعْطيك؟

فقال: كلامُك أحبُّ إليّ من عطائك.. فقال الإمام[2]:

إن عَـضَّـكَ الـدَّهـرُ فانتظِر فَـرَجًـا ... فَـإنَّـهُ نـازلٌ بـمُـنـتَـظِـرِهْ
أو مَـسَّـكَ الـضُـرُّ أو بُـلـيـتَ بـهِ ... فَـاصـبـر، فَـإنَّ الـرَّخـاءَ فـي أثَـرِهْ
كَـم مِـن مـعـافٍ عَـلـى تَـهَـوُّرِهِ ... وَمُـبـتَـلـي مـا يَـنـامُ مِـن حَـذَرِهْ
وَآمِـنٍ فـي عِـشَـاءِ لَـيـلَـتِـهِ ... دَبَّ إلَـيـهِ الـبَـلاءُ فـي سَـحَـرِهْ
مَـن مَـارَسَ الـدَّهـرَ ذَمَّ صُحْبَتَهُ ... وَنَـالَ مِـنْ صَـفْـوِهِ وَمِـنْ كَـدَرِهْ

إنها دُررٌ من الحكم، لا ينطق بها إلا مَنْ عَرِكه الدهرُ، من عَمل بها والتزمها كانت له خير عطاء..

فيا من قست عليك الأيام، عليك بالصبر، فإن فرج الله قريب، وإن مع العسر يسرًا كما وعدنا الله عز وجل في قرآنه..

فالأيام لا أمان لها، ولا يأمنها إلا غافل.. فلا يغتر الصحيح بصحته، والغني بغناه.. فالحذر الحذر!!

(١) وردت هذه الأبيات في مصادر كثيرة، مع اختلاف يسير في الألفاظ، وينسبها البعض للإمام الشافعي.

(٢) ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

هذه الدنيا (السريع)

في هذين البيتين يوضح الإمام حقيقة الدنيا.. فهي إما مقبلة، وإما مدبرة.. إن هي أقبلت على الإنسان اشتغل بها، وشغلته عن دينه.. وإن أدبرت وتولت عنه شغلته بالفقر.

وفي كلتا الحالتين هي عناء وشقاء من حيث لا يدري.

ولكن العاقل من أدرك أن الأمر كله بيد الله.. الغني والفقر بيد الله.. يعطي من يشاء ويمنع من يشاء، لحكمة لا يعلمها إلا هو.. يقول الإمام ، رضي الله عنه:

مَا هَذِهِ الدُّنْيَا لِطَالِبِهَا ... إِلَّا عَنَاءٌ وَهْوَ لَا يَدْرِي

إِنْ أَقْبَلَتْ شَغَلَتْ دِيَانَتَهُ ... أَوْ أَدْبَرَتْ شَغَلَتْهُ بِالفَقْرِ

الناس في زمن الإقبال والإدبار (البسيط)

غريب أمر كثير من الناس في هذه الدنيا.. لا يصاحبون إلا لمصلحة .. فإذا ما انتهت المصلحة فلا صحبة!! لا يصادقون إلا من أقبلت عليه الدنيا، فإن هي أدبرت أدبروا معها!!

سُئل بعض الولاة: كم لك من صديق؟

قال: أما في حال الولاية فكثير، ثم أنشد:

النَاسُ إِخوانٌ مادامت لهم نِعَمُ ... والوَيْلُ للمرء إن زلَّت به القدمُ

ولما نُكب عليُّ بن عيسي الوزير، لم يجد ببابه أحدًا من أصحابه الذين كان يألفهم في ولايته، فلما رُدَّت إليه الوزارة وقف أصحابه ببابه ثانية، فقال:

ما الناس إلَّا مع الدنيا وصاحبها ... فكلما انقلبت يومًا به انقلبوا

يُعظّمون أخا الدنيا فإن وثَبَتْ ... يومًا عليه بما لا يشتهي وثبوا

ولما غضب السلطان على الوزير ابن مقلة، وأمر بقطع يده لما بلغه أنه زوَّر عنه كتابًا إلي أعدائه، وعزله ، لم يأتْ إليه أحد من أصحابه.. ثم إن السلطان ظهر له فيما بعْد أن ابن مقلة برئ، فرده إلي وزارته، فأنشد يقول:

تحالفَ النَاسُ والزمانُ ... فحيث كان الزمانُ كانوا

عاداني الدهْرُ نصف يوم ... فانكشف الناسُ لي وبانوا

يا أيها المعرضون عنَّا ... عودوا فقد عاد لي الزمانُ

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

النَّاسُ في زَمَنِ الإقبالِ كَالشَّجَرَة ... وَحولَها النَّاسُ ما دامَت بها الثَّمَرَهْ
حَتّى إذا ما عَرَت مِن حملِها انصَرَفوا ... عَنها عُقوقًا وَقَد كانُوا بها بَرَرَه
وحاوَلوا قَطْعَها من بَعد ما شَفقوا ... دَهرًا عَلَيها مِنَ الأرْيَاحِ وَالغَبَرَه
قُلتُ مُروءاتُ أَهْلِ الأَرض كُلِّهِمُ ... إلَّا الأَقَلَّ فَلَيسَ العُشرُ مِن عَشَرَهْ
لا تَحمَدَنَّ امْرأً حَتّى تُجَرِّبَهُ ... فَرُبَّما لَمْ يُوافِق خُبرُهُ خَبَرَهْ (١)

الأرزاق بيد الله (البسيط)

لماذا الحرص على الدنيا مع أن الأمور كلها بيد الله؟

الرزق بيد الله قد ضمنه لجميع خلقه، فهو القائل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢] وقال رسول الله ﷺ: «لو توكَّلْتُم على الله حَقَّ توكله لرزقكم كما يرْزُق الطيْرَ، تَغْدو خِماصًا وتعودُ بطانًا(٢)». والتوكل يعني السعي، والضرب في الأرض، والأخذ بأسباب طلب الرزق، ثم بعد ذلك ترك الأمر لله، والرضا بقضائه. وصدق القائل:

توكَّلْ على الرحمن في الأمْرِ كُلِّه ... فما خابَ حقًّا مَن عليه توكَّلا
وكُنْ واثقًا بالله واصبر لحكمه ... تفُزْ بالذي ترجوه منه تفضُّلا

وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

للنَّاس حَرْصٌ عَلى الدُّنْيَا بِتَدْبِيرِ ... وَصَفْوُهَا مَمْزُوجٌ بِتَكْدِيرِ
كَمْ مِنْ مُلِحٍّ عَلَيْهَا لَا تُسَاعِدُهُ ... وَعَاجِزٍ نَالَ دُنْيَاهُ بِتَقْصِيرِ
لَمْ يُرْزَقُوهَا بِعَقْلٍ حِينَما رُزِقُوا ... لَكِنَّهُمْ رُزِقُوهَا بِالمَقَادِيرِ (٣)
لَو كَانَ عَنْ قُوَّةٍ أَو مُغَالَبَةٍ ... طَارَ البُزَاةُ بِأَرْزَاقِ العَصَافِيرِ (٤)
وَلُقْمَةٌ بِجَرِيشِ المِلْحِ آكُلُهَا ... أَحَبُّ مِنْ لُقْمَةٍ تُحشَى بِزُنْبُورِ (٥)
كَمْ لُقْمَةٍ جَلَبَتْ حَتْفًا لِصَاحِبِهَا ... كَحَبَّةِ القَمْحِ دَقَّتْ عُنْقَ عُصْفُورِ! (٦)

(١) ذكر هذه الأبيات، مع اختلاف يسير في الألفاظ، سبط ابن الجوزي، في كتابه «تذكرة الخواص» وقال: رأيت في كتاب «سر العالمين» للغزالي رحمه الله هذه الأبيات، وقد نسبها للإمام عليّ رضي الله عنه.
(٢) رواه أحمد في مسنده ١/ ٥٢
(٣) أي بتقدير الله عز وجل.
(٤) البزاة: جمع البازي، وهو جنس من الصقور.
(٥) يقال: جرش الملح: لم ينعَّم دقه، فهو جريش ومجروش.
(٦) ذكر هذه الأبيات، مع اختلاف غير يسير في الألفاظ، الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية(٨/ ١٢) حيث قال: وقال أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر المبرد: كان مكتوبًا على سيف عليٍّ، ثم ذكر الأبيات. كما ذكرها، أيضًا سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص».

الساعون في الشر (الرمل)

يبدي الإمام أسفه على ما أصاب المسلمين من انشقاق الصف، وسريان الفتنة بين الصحابة الكرام.. ويؤكد أنه لم يُرِدْ ولم يسع يومًا لقتال فريق من المسلمين، كما حدث يومي الجمل وصفين.. إن الأشرار ممَن أضرموا نار الفتنة هم من سعوا في ذلك، وكان من نتيجته انقسام الصحابة وقتل الكثير منهم، وعلى هذا يتحسر الإمام، فيقول، رضي الله عنه:

لَهْفَ نفْسي وَقَليلٌ ما أُسَرْ ... ما أصابَ النَّاسَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرْ (١)

لَمْ أُرِدْ فِي الدَّهْرِ يَوْمًا حَرْبَهُمْ ... وَهُمُ السَّاعونَ فِي الشَّرِّ الشِّمِرْ (٢)

إذا المشكلات تصدَّين لي!! (المتقارب)

ذكر قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في كتابه «أنوار العقول» أن رجلًا سأل عليَّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، عن سؤال، فبادر، فدخل منزله، ثم خرج فقال: أين السائل؟

فقال الرجل: ها أنا ذا يا أمير المؤمنين..

فقال: ما مسألتك؟

قال: كيت وكيت.. فأجاب عن سؤاله.

فلما سئل: لم أبطأت يا أمير المؤمنين عن جواب هذه الرجل حتى دخلت منزلك ثم خرجت فأجبته.. فقال رضي الله عنه: كنت حاقنًا، ولا رأي لثلاثة: لحاقن، ولا حازق، ولا حاقب(٣)، ثم أنشأ يقول:

إذا المُشكِلاتُ تَصَدَّينَ لِي ... كَشَفتُ غَوَامِضَها بِالنَّظَرْ

وَإن بَرَقَتْ فِي مَخِيلِ الظُنُو ... نِ عَمْيَاءُ لا يَجتَليها البَصَرْ (٤)

مُقَنَّعَةٌ بِغُيُوبِ الأُمُورِ ... وَضَعْتُ عَلَيْها صَحِيحَ الفِكَرْ

مَعِي أَصمَعٌ كَظُبَا المُرهَفا ... تِ أَفْرِي بِهِ عَن بَنَاتِ السِّيَرْ (٥)

لِسَانِي كَشِقشِقَةِ الأَرْحَبِيِّ ... أَو كَالحُسَامِ اليَمَانِي الذَّكَرْ (٦)

---

(١) اللهف: الحزن والأسي، ولهف نفسي: أتحسَّر على ما فاتني.

(٢) الشِّمر: الأمر الشديد يستوجب التشمير والاستعداد الجيد له.

(٣) الحاقن: الذي احتبس بوله فتجمع.. والحازق: من ضاق عليه خفه فحزق رجله.. والحاقب: الذي يحبس غائطه

(٤) العمياء هنا: المشكلة العويصة التي يحتار المرء في حلها.

(٥) يُقال: قلب أصمع: أي ذكي حديد.. ظبا: جمع ظُبية، وهي حدّ السيف والسنان والخنجر، وما أشبهها.. أفرى: أقطع.. بنات السير: الهموم والهواجس.

(٦) الشقشقة: شيء كالرئة يخرجه الجمل من فيه إذا هاج وهدر، يقال: فلانٌ شقشقة قومه: زعيمهم المتحدث عنهم.. الأرحبي: صفة للبعير عريض الصدر.. والذكر من الحديد: أيبسه وأشدّه وأجوده.

وَقَلْبِي إذا اِستَنطَقَتهُ الهُمومُ أَرْبَى عَلَيْهَا بِوَاهِي الدُّرَرْ [1]
وَلَستُ بِإِمَّعَةٍ فِي الرِّجا لِ أَسَائِلُ هَذا وَذَا ما الخَبَرْ [2]
وَلَكِنَّنِي مُذْرَبُ الأَصغَرَيْنِ أُبَيِّنُ مَع ما مَضى ما غَبَرْ! [3]

لا خير في لذة من بعدها النار (البسيط)

مما ينسب للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: شتان بين عملين: عمل تذهب لذَّته وتبقي تبعته.. وعمل تذهب مؤونته ويبقي أجره.. وكان يقول أيضًا: اذكروا انقطاع اللذات وبقاء التبعات[4]!! وفي هذا يقول أيضًا:

تَفْنَى اللَّذَاذَةُ مِمَّنْ نَالَ صفوتَها مِنَ الحَرامِ وَيَبقَى الإثْمُ وَالعَارُ
تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغَبَّتِها لا خَيرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

الجهل موت والعلم حياة (الطويل)

في القرآن الكريم يسأل الله عز وجل: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر:٩]

وبالطبع، فإن العاقل يجيب: لا يستوون، إذ كيف يستوي العالم والجاهل؟!

فالعلم حياة للقلوب، والجهل موت لها.

ومما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: «أقلُّ الناس قيمة أقلهم علمًا».

وقوله: «العلم نهر، والحكمة بحر، والعلماء حول النهر يطوفون، والحكماء وسط البحر يغوصون، والعارفون في سفن النجاة يسيرون».

وقوله: كفي بالعلم شرفًا أن يدَّعيه من لا يُحسنه، ويفرح به إذا نُسب إليه.. وكفي بالجهل ضعةً أن يتبرَّأ منه من هو فيه، ويغضب إذا نُسب إليه».

هكذا يري الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، ويؤكد ذلك حين يقول:

وَفي الجَهْلِ قَبْلَ الموتِ مَوْتٌ لأَهْلِهِ وَأَجْسَادُهُمْ قَبْلَ القُبُورِ قُبُورُ

(١) أربي: زاد.
(٢) الإمَّع: الذي يقول لكل أحد: أنا معك، ولا يثبت على شيء لضعف رأيه، وتُزاد التاء فيه فيصير «إمعة» للمبالغة.
(٣) مذرب الأصغرين: فصيح اللسان، حاد القلب.. والأصغران: اللسان والقلب
(٤) تذكر بعض المصادر أن بعض الشعراء أخذ هذا المعني وصاغ البيتين التاليين المنسوبين للإمام علي.. وتذكر مصادر أخرى أنهما للخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه.

وإنَّ امْـرءًا لَـمْ يَحْيَ بِالعِلْمِ مَيِّتٌ وَلَـيْـسَ لَـهُ حَـتَّـى الـنُّـشُـورِ نُـشُـورُ

الناس اثنان (البسيط)

لايزال الإمام يتحدث عن العالم والجاهل..

وهو هنا يوصي بضرورة تحصيل العلم والتعوُّد على الآداب الحسنة منذ الصغر.. فذلك أدعى لترسيخها في العقول، ويصعب على الأيام محوها وطمسها..وقد قيل: التعليم في الصغر كالنقش على الحجر.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

حَـرِّض بَنِيكَ عَلى الآدابِ في الصِّغَرِ كَيما تَـقَـرَّ بِـهِـمْ عَـيْـنَـاكَ فـي الكِبَرِ

وإنَّـمـا مَـثَـلُ الآدَابِ تَـجْـمَـعُـهَـا في عُنفُوانِ الصِّبا كَالنَّقشِ في الحَجَرِ [١]

هـيَ الـكُـنُـوزُ الَّـتِـي تَنْمو ذخَائرُها وَلا يُخافُ عَليها حَـادِثُ الغِيَرِ [٢]

إنَّ الأَدِيـــبَ إذا زَلَّـــت بِـهِ قَـدَمٌ يَهْوِي إلي فُـرُشِ الدِّيبَاجِ وَالـسُّـرُرِ [٣]

الـنَّـاسُ اثْـنَـانِ : ذُو عِلْمٍ وَمُسْتَمِعٌ وَاعٍ وَسَائِرهُمْ كَاللَّغْوِ وَالعَكَرِ [٤]

لا تعجز (البسيط)

يقول رسول الله ﷺ : «الكَيِّسُ من دانَ نفسه، وعَمِلَ لما بعد الموتِ. والعاجزُ من أتْبع نَفْسَه هواها وتمنَّي على الله الأمانيَّ»[٥].

والعرب تقول: فلانٌ وثَّاب على الفرص.. وقالوا أيضًا : من جَدَّ وجَدْ.. وقال بعضهم:

وإنِّـــي إذا بـاشـرْتُ أمـــرًا أريـده تـدانـت أقـاصـيـه وهـــانَ أشـــدُّه

وقال بعضهم في السعي:

خـاطِـر بنفسك كـي تصيبَ غنيمةً إن الـجـلـوس مـع الـعـيـال قبيحُ

(١) عنفوان الشيء: أوّله، يُقال: هو في عنفوان شبابه: أي في نشاطه وحدته.

(٢) غير الدهر: أحواله وأحداثه المتغيرة، يُقال : لا أراني الله بك غيرًا.

(٣) الأديب : الآخذ بمحاسن الأخلاق.. الديباج : ضرب من الثياب المصنوعة من الحرير.

(٤) العكر: الكدر، والراسب من كل شيء، وكذا الصدأ الذي يعلو المعادن.

(٥) رواه أحمد والحاكم وابن ماجه والترمذي، [كشف الخفاء ٢/ ٢٠٢٩].. والكيِّس : العاقل الفطن.

وقيل: من العجز والتواني تنتجُ الفاقة[1] .. وأنشد هلال بن العلاء الرفاء هذين البيتين[2]:

كـأنَّ التواني أنـكـحَ العجزَ بنْتَهُ ... وسـاق إليها حين زوَّجـهـا مَـهْـرا

فـراشًـا وَطـيـئًـا ثـم قـال لها اتَّكي ... فإنكما لابُـدَّ أن تـلـدا الـفـقـرا!!

ومما أثر عن الإمام عليٍّ رضي الله عنه، قوله: من أطاع التواني ضيَّع الحقوق، ومن العجز طلبُ ما فات مما لا يمكن استدراكه، وترك ما أمكن مما تُحمد عقباه.. وقال أيضًا:

خَـاطِـرْ بِنَفْسِكَ لا تَقْعُدْ بِمَعْجِزَةٍ ... فَلَيسَ حُـرٌّ عَلى عَجْزٍ بِمَعْذُورِ [3]

إنْ لَـمْ تَـنَـلْ فـي مَـقـامٍ مَـا تُـحـاوِلُـهُ ... فَـأَبْـلِ عُـذْرًا بِـإِدْلَاجٍ وَتَهْجِيرِ [4]

اصبر قليلا (البسيط)

مدح المولي سبحانه وتعالي الصبر وأوصي به في العديد من آيات القرآن الكريم، قال سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة:١٥٣]. فبدأ سبحانه بالصبر قبل الصلاة، ثم جعل نفسه مع الصابرين دون المصلين.. وقال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠]. ومما أثر عن أمير المؤمنين عليٍّ رضي الله عنه، قوله: واعلموا أن الصبر من الأمور بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا فارق الرأسُ الجسدَ فسدَ الجسدُ، وإذا فارق الصبْرُ الأمورَ فسدت الأمورُ.

وكان يُقال: مَنْ تبصَّر تَصبرَّ.. وإن نوائب الدَّهْرِ لا تُدفع إلا بعزائم الصبر.. ولا دواءَ لداءِ الدهر إلا بالصبر. وقال بعضهم:

إذا مـا أتـاك الـدهـرُ يـومًـا بنكبةٍ ... فأفرغ لها صبرًا ووسـع لها صَـدْرا

فـإن تـصـاريـف الـزمـان عجيبةٌ ... فيومًا تري يُسرًا ويومًا تري عُسْرا

ومما أوثر عن الإمام عليٍّ أيضًا قوله: الصبْرُ مطِيَّةٌ لا تُدْبر، وسيفٌ لا يكل!!

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

اصْـبِـرْ قَلِيلًا فَبَعْدَ العُسْرِ تَيْسِيرُ ... وَكُـلُّ أَمْـرٍ لَـهُ وَقْـتٌ وَتَـدْبِـيـرُ

وَلِلْمُهَيْمِنِ فـي حَالاتِنَا نَظَرٌ ... وَفَـوْقَ تَـقْـدِيـرِنَـا لِـلـهِ تَـقْـدِيـرُ!

(١) الفاقة: الفقر والحاجة.

(٢) يراجع المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة ابن سينا، مصر، ص٣٤٣.

(٣) لا تقعد بمعجزة: لا تقعد عاجزًا.

(٤) الإدلاج: السير في أول الليل، أو سير الليل كله.. والتهجير: السير في وقت اشتداد الحر بالنهار.

غني النفس (الطويل)

يعود الإمام ليذكرنا بالصبر ويوصينا به.. ويضيف هنا أمرًا آخر وثيق الصلة بالصبر وهو حفظ النفس وصيانتها عن ذل السؤال.. ولله در القائل:

الـدَّهْـرُ أَدَّبـنـي، والـصـبْـرُ رَبَّـانـي ... والقوتُ أقنعني، واليأس أغناني [1]

وحـنَّـكـتْـنـي مـن الأيـام تـجـربـةٌ ... حتى نهيتُ كلَّ الذي قد كان ينهاني

يقول الإمام، رضي الله عنه:

غِنَى النَّفْسِ يَكْفِي النَّفْسَ حَتَّى يَكُفَّهَا ... وإِنْ أَعْسَرَتْ حَتَّى يَضُرَّ بِهَا الفَقْرُ

فَمَا عُسْرَةٌ فاصْبِرْ لها إِنْ لَقِيتَها ... بِدَائِمَةٍ حَتَّى يَكُونَ لَهَا يُسْرُ

هوِّن عليك (المتقارب)

إذا كانت الأمور كلها بيد الله سبحانه، يصرِّفها كيف يشاء، فلم الجزع؟!

العاقل هو من يدرك ويؤمن بأن ما قدره الله سبحانه واقع لا محالة، وما عليه إلا أن يستعد لاستقبال ذلك بالشكر إن كان خيرًا، وبالصبر إن كان غير ذلك..

وقد قيل: العسر يعقبه اليسر، والشدة يعقبها الرخاء، والتعب يعقبه الراحة، والضيق يعقبه السعة، والصبر يعقبه الفرج، وعند تناهي الشدة تنزل الرحمة، والموفَّق من رُزق صبرًا وأجرًا، والشقي من ساق القدر إليه جزعًا ووزرًا. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[2]:

وَهَـوِّنْ عَـلَـيْـكَ فَـإِنَّ الأُمُـورَ ... بِـكَـفِّ الإلـهِ مَـقَـادِيـرُهَـا [3]

فَـلَـيْـسَ يـأتِـيـكَ مَـنْـهِـيُّـهَـا ... وَلاَ قَـاصِـرٌ عَـنْـكَ مَـأْمُـورُهَـا

قل للشامتين بنا (الوافر)

الشماتة خلق ذميم، نعوذ بالله منه، ومن أهله..

قال حكيم: لو نزحوا البحار، وكنسوا القفار، لوجدوها أهْون من شماتة الأعداء، خصوصًا إذا كانوا مساهمين في نسب، أو مجاورين في بلد، اللهم إنا نعوذ بك من تتابع الإثم، وسوء الفهم، وشماتة ابن العم!!

(١) المراد اليأس عما في أيدي الناس جعلني غنيّ النفس.

(٢) نسب ابن عبد ربه في العقد الفريد هذين البيتين لابن أبي حازم في معرض حديثه عن القناعة، وجاء صدر البيت هكذا: «فلا تحرصنّ».

(٣) هون عليك: لاتجزع ولا تحزن

ومم أُثر أنه قيل لأيوب، عليه السلام: أي شيء كان عليك في بلائك أشدَّ؟ قال: شماتة الأعداء[1]. وكان مما طلبه هارون من موسى عليهما السلام، كما حكى القرآن الكريم: ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف:١٥٠]

ولكن، لم الشماتة ونوائب الدهر تدور؟ يوم فرح ويوم سرور!!

يقول الإمام، رضي الله عنه:

جَمِيعُ فَوَائِدِ الدُّنْيَا غُرُورُ ... وَلاَ يَبْقَى لِمَسْرُرٍ سُرُورُ

فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا: أَفِيقُوا ... فَإِنَّ نَوَائِبَ الدُّنْيَا تَدُورُ[2]

عند صفو الليالي (البسيط)

عن الأيام وتقلبها يقول الإمام عليّ، رضي الله عنه: ما قال الناس لشيء طوبي إلا وقد خبَّأ له الدهرُ يوم سوءٍ. وقال يونس بن ميسرة: لا يأتي علينا زمان إلا بكيْنا منه، ولا يتولى عنا زمان إلا بكيْنا عليه.. ومن ذلك قوله:

رُبَّ يومٍ بكيْتُ منه فلمَّا ... صرتُ في غيره بكيت عليه

وفي هذا المعنى يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَحْسَنْتَ ظَنَّكَ بِالأَيَّامِ إِذْ حَسُنَتْ ... وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ القَدَرُ

وَسالَمَتْكَ اللَّيَالِي فَاغْتَرَرْتَ بِهَا ... وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الكَدَرُ[3]

بين الغني والفقر (الطويل)

يقول الله سبحانه: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف:٤٦]

وقال ﷺ: «إنك أن تذر ورثتك أغنياء خيرٌ من أن تذرَهم عالةً يتكفَّفون الناس[4]»

---

(١) راجع المستطرف في كل فن مستظرف، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٢٤٣

(٢) أورد قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في كتابه «أنوار العقول» بيتا بين هذين البيتين يقول:
وقد بنت الملوك بها قصورًا ... فلم يبْقَ الملوك ولا القصور

(٣) ذكر الأبشيهي هذين البيتين وزاد بيتا قبلهما، في كتابه «المستطرف في كل فن مستظرف» ونسب هذه الأبيات للإمام الشافعي، رحمه الله تعالى.. وانظر أيضا ديوان الإمام الشافعي، إعداد وتعليق محمد إبراهيم سليم، إصدار دار الطلائع، القاهرة.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٢/ ١٧٣، عن سعيد بن المسيب.

ومما أُثر عن الإمام عليٍّ رضي الله عنه، قوله: الفقر الموتُ الأكبر!!

وكان العباس رضي الله عنه عنه يقول: الناسُ لصاحب المال ألزمُ من الشعاع للشمس، وهو عندهم أعذبُ من الماء، وأرفعُ من السماء، وأحْلَى من الشَّهْدِ، وأزْكَى من الوَرْد، خطؤه صوابٌ، وسيئاته حسناتٌ، وقولهُ مقبولٌ، يُرفع مجلسُه، ولا يُمَلّ حديثُه. والمفلسُ عند الناس أكذبُ من لمعان السراب، وأثقلُ من الرصاص، لا يُسلّم عليه إن قَدِمَ، ولا يُسأل عنه إن غَاب، إن حضر ازْدَروه، وإن غاب شَتَموه، وإنْ غَضِبَ صَفَعوه، مُصافَحَتُه تنقضُ الوضوءَ، وقراءته تقطعُ الصلاةَ.(١)

وقيل: لا فقيرَ أفقر من غنيٍّ يأمن الفقر!! يقول الإمام علي، رضي الله عنه:

بَلَوتُ صُـرُوفَ الدَّهرِ ستين حِجَّةً ... وَجَرَّبْت حَالَيْهِ مِن العُسْرِ وَاليُسْرِ (٢)

فَلَمْ أَرَ بَعْدَ الدِّينِ خَيْرًا مِنَ الغِنَى ... وَلَـمْ أَرَ بَعْدَ الكُفْرِ شَـرًّا مِنَ الفَقْرِ!

هل الفقر خير من الغني؟ (الطويل)

يقول الله سبحانه ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق:٦-٧]، ويري العلماء أن في ذلك ذمًّا للغني إذا كان سببًا للطغيان.. وسئل أحدهم عن الغني والفقر، فقال: وهل طغي مَنْ طغي من خلق الله ، عز وجل، إلا بالغني، واستدل بهذه الآية.

والمحققون يرون الغني والفقر من قبل النفس لا في المال، وكان من الصحابة من يري الفقر فضيلة، لقوله ﷺ: «إنَّ فقراءَ المهاجرين يَسبقون الأغنياءَ، يومَ القيامةِ، إلي الجنَّة بأربعين خريفًا(٣)». وقال الشاعر:

وقـد يُـهـلـكُ الإنـسـانَ كـثـرةُ ماله ... كما يُذْبحُ الطاووس من أجْل ريشه!!

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه(٤):

دَليلُكَ أَنَّ الفَقرَ خَـيْـرٌ مِـنَ الغِنَى ... وَأَنَّ القَليلَ المَالِ خَيْرٌ مِنَ المُثْرِي

لِـقَـاؤُكَ مَخْلُوقًا عَصَى اللهَ لِلْغِنَى ... وَلَم تَـرَ مَخْلُوقًا عَصَى اللهَ لِلفَقْرِ!!

ورضي الله عن عمر بن الخطاب، حيث يقول: من نُبل الفقْر أنك لا تجدُ أحدًا يعصي الله ليفتقر!!

(١) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٣٢٦.

(٢) بَلوتُ: اختبرتُ.. صروف الدهر: حدثانه ونوائبه .. حِجَّة : سنة.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٩٧٩.. وأربعين خريفًا: أربعين سنة.

(٤) ذكر الماوردي في «أدب الدنيا والدين» هذين البيتين وعزاهما لابن المقفع.

من عجائب الدهر (الطويل)

من الناس من يري الغنى مدعاة للافتخار، والفقر عار.. وفي ذلك يقول القائل:

إنما قوة الظهور النقودُ ... وبها يكملُ الفتي ويسود
كم كريم أزرى به الدهر يوما ... ولئيم تسعي إليه الوفود

والحقيقة أنّ الأمر بخلاف ذلك .. فما الغني والفقر إلا من عوارض الدهر لا دوام لأحدهما.. فكم من غني ذاع صيته واشتهر ثم سرعان ما دهاه الدهر فافتقر!! وكم من فقير قسى عليه الدهر فازدراه الناس وانفضوا من حوله، ثم كانت إرادة الله فرزق من حيث لا يحتسب، فتبدل حاله، وكثرت أمواله.. هذا ما عناه الإمام، رضي الله عنه، حيث يقول[1]:

أَلَمْ تَرَ أنَّ البحْرَ ينضُبُ ماؤُه ... ويأتي على حِيتانِه نُوَبُ الدَّهْرِ [2]
أَلَمْ ترَ أن الفقْيرَ يُرجَى له الغِني ... وأن الغنيَّ يُخشَى عليه من الفَقْرِ!

ذهب الرجال (الكامل)

عاش الإمام عصر النبوة الزاهر، حيث القلوب الصافية التي التفت حول النبي ﷺ، فكان الصفاء والنقاء، وأصبحت الدنيا وكأنها جنة .. والناس كملائكة يمشون على الأرض.

وبعد أن رحل معظم هذه الكوكبة من الصحابة ، وأطلت الفتنة برأسها، شعر الإمام بالغربة، وتحسَّر على فَقْد الإخوان والخلان.. ومما اشتهر عن الإمام قوله: الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين!! يقول الإمام رضي الله عنه[3]:

ذَهَبَ الرجالُ المُقتَدى بِفِعالِهم ... وَالمُنكِرونَ لَكُلِّ أَمرٍ مُنكَرِ
وَبَقيتُ في خَلْفٍ يُزيِّنُ بَعضُهُم ... بَعضاً لِيَدفَعَ مُعْوِرٌ عَن مُعوِرِ [4]
سَلَكُوا بُنَيَّاتِ الطَّرِيقِ فَأَصْبَحُوا ... مُتَنَكِّبِينَ عَنِ الطَّرِيقِ الأَكْبَرِ [5]

(١) ذكر قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في أنوار العقول بيتا قبل هذين البيتين ، يقول فيه

ولا خير في شكوي إلي غير مُشتك ... ولا بد من شكوى إذا لم يكن صَبرْ

(٢) نوب : جمع نائبة وهي ما ينزل بالرجل من الكوارث والحوادث المؤلمة.
(٣) ذكر هذه الأبيات قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في كتابه «أنوار العقول» كما جاءت في معجم الشعراء وتاريخ بغداد باختلاف يسير في الألفاظ ونسبتها بعض المصادر لأبي الأسود الدؤلي، وذكر الأبشيهي في المستطرف البيتين الأول والثاني بلا عزو [راجع المستطرف ص٣٤٨].
(٤) المعور من الرجال: القبيح السيرة.
(٥) بنيات : جمع بُنيّة ، وبنية الطريق : طريق صغير يتشعب من الجادة.. متنكبين عن الطريق الأكبر: تركوا الطريق الصحيح وسلكوا الطرق المعوجة.

كي تصبح حرًّا (الرمل)

سأل رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوْصني وأوجزْ. فقال ﷺ: «عليك بالإياس مما في أيدي الناس، وإيَّاك والطمع فإنه الفقرُ الحاضرُ..»الحديث[1].

وكان سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، يقول : يا بني، إذا طلبت الغني فاطلبه في القناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع ، فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس[2] فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه. وقال الكندي: العبد حرٌّ ما قنع، والحر عبدٌ ما طمع!!

فيا من تحب أن تحيا حُرًّا كُنْ زاهدًا فيما في أيدي الناس، واثقًا فيما عند الله. وحول هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه:

كُـدَّ كَـدَّ الـعَـبْـدِ إنْ ... أحْـبَـبْـتَ أنْ تُـصْـبِـحَ حُـرًّا[3]

وَاقْـطَـعِ الآمَـالَ مِـنْ مَـا ... لِ بَـنِـي آدَمَ طُـرًّا

لا تَـقُـلْ: ذَا مَـكْـسَـبٌ يُـزْ ... رِي فَـقَـصْـدُ الـنَّـاس أَزْرَى

أَنْـتَ مـا اسْـتَـغْـنَـيْـتَ عَـنْ غَـيْـ ... ـرِكَ أَعْـلـى الـنَّـاس قَـدْرًا

ولله در القائل:

أيُّـهـا الـمـادحُ الـعـبـادَ لِيُعْطَى ... إن لـلـه مـا بـأيْـدي الـعـبـاد

فـاسـأل الـلـهَ مـا طـلـبـتَ إليهم ... وارْج فـرضَ الـمـقـسّـم الـجـوَاد

يا مِن تأمن الدنيا!! (الطويل)

على حين غفلة، قد يُشغل الإنسان بأهله وماله.. ويغتر بصحته وعياله، وينسى الموت، وأنه حتمًا سيلاقي الله عز وجل، وسيقف ليحاسب.. فليس للموت موعد محدد، فقد يباغت الصغير ويمهل الكبير..وقد يأتي على الصحيح ويؤجل المريض.. يقول الشاعر:

إنَّ لـلـدهـرِ صَـرعـةً فـاحـذَرَنْـهـا ... لا تـبـيـتـنَّ قـد أمِـنْـتَ الـشـرورا

قـد يبيتُ الفتى مُـعـافـى فـيـردَى ... ولـقـد كـان آمـنًـا مـسـرورًا

ومما ينسب للإمام الشافعي، رحمه الله، قوله:

أحْسَنْت ظنَّك بـالأيـام إذا حسنت ... ولـم تخفْ سُـوءَ ما يأْتي به القدرُ

(١) رواه الحاكم في مستدركه ٤/ ٣٢٦.
(٢) المراد: عليك باليأس مما في أيدي الناس.
(٣) كد : فعل أمر بمعني اشتد في العمل واطلب الرزق.

وسالمتْك الليالي فـاغْـتَـرَرْتَ بها وعند صفْو الليالي يحدث الكدر

وفي هذه الأبيات يحذر الإمام من الركون إلي الدنيا والاغترار بمحاسنها وصفو لياليها، فيقول، رضي الله عنه:

تُـؤَمِّـلُ فِي الدُّنْيا طويلًا وَلَا تَـدري إذا جَنَّ لَيْلٌ هَلْ تَعيشُ إلى الفَجْرِ؟

فَكَمْ مِنْ صَحيحٍ مَـاتَ مِنْ غَيرِ عِلَّةٍ وَكَـمْ مِنْ عَلِيلٍ عَاشَ دَهْـرًا إلى دَهْرِ

وَكَـمْ مِـنْ فَتىً يُمْسِي وَيُصْبِحُ آمِنًا وَقَـدْ نُسِجَتْ أَكْفَانُهُ وَهْـوَ لا يَـدْرِي!

إنها الدنيا فاحذرها.. واعلم أنه إذا أدبر الأمر أتي الشرُّ من حيث يأتي الخير.. وأن زمام العافية بيد البلاء، ورأس السلامة تحت جناح العطب!!

في العطف على الأطفال واليتامي (البسيط)

الإسلام دين الرأفة، ودين الرحمة.. ولم لا، وقد وصف الله سبحانه وتعالي ذاته بذلك.. فقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج:٦٥] ووصف رسوله ﷺ أيضًا بذلك، فقال سبحانه: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة:١٢٨]

وعلى هذا النهج الكريم كان صحابة رسول الله صلى الله عليه، حيث وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا﴾ [الفتح:٢٩] ومن الرحمة العطف على الأطفال والأيتام.. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

مَـا إنْ تَـأَوَّهْـتُ مِـن شَـيءٍ رُزِئْـتُ بِهِ كَمَا تَـأَوَّهْـتُ لِلأَطْفَالِ في الصِّغَرِ (١)

قَـدْ مَـاتَ والِـدُهُـمْ مَن كَـانَ يَكْفُلُهُمْ في النَّائِبَاتِ وَفي الأَسْفَارِ والحَضَرِ (٢)

وقد ذكر في بعض المراجع أن الإمام أنشأ هذين البيتين في جاريتين مات أبوهما بين يديه يوم صفين (٣).

الشَّيبُ عنوَانُ المنيَّة (مجزوء الكامل)

لاشك أن الشيب، في معظم حالاته، دليل على الوهن والضعف، وإدبار الشباب وإقبال

(١) رُزئت: أصبت (٢) النائبات: جمع نائبة، وهي ما ينزل بالرجل من الكوارث والمصائب.

(٣) وذكر في ذلك قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في كتابه «أنوار العقول» قصة طويلة.

الشيخوخة.. وهو بالتالي إشارة تحذير بدنو الأجل.. يقول الشعبي: الشيب علّة لا يُعاد منها[1]، ومصيبة لا يُعزي فيها. وما أحسن قول ابن نباتة:

تبسُّمُ الشَّيْبِ بوجه الفتى ... يُوجب سحَّ الدمع من جفنه
وكيف لا يبكي على نفسه ... من ضحك الشيْبُ على ذقنه؟!

وقال آخر:

إذا نازع الشيْبُ الشبابَ فأصْلتا[2] ... بسيفيهما فالشيب لا شكَّ غالب

يقول الإمام، رضي الله عنه:

الشَّيبُ عُنوانُ المَنيَّة ... وَهوَ تاريخُ الكِبَرْ
وَبَياضُ شَعْرِكَ مَوْتُ شَعْـ ... ـرِكَ ثُمَّ أَنْتَ عَلى الأَثَرْ
فَإِذا رَأَيْتَ الشَّيْبَ عَمَّ ... الرَّأْسَ فالحَذَرَ الحَذَرْ!!

في رثاء النبي ﷺ (مجزوء الكامل)

كم كانت مصيبة الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، في وفاة رسول الله ﷺ ففضلًا عن كونه رسول الله، وخاتم النبيين، فهو ابن عمه، ووالد زوجته فاطمة الزهراء، رضي الله عنها.. ومما قاله الإمام في ذلك[3]:

كُنْتَ السَّوادَ لِناظِري ... فَبَكَى عَلَيكَ النَّاظِرُ
مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ ... فَعَلَيكَ كُنْتُ أُحَاذِرُ

رهط النبي ﷺ (البسيط)

الرهط هم الجماعة دون العشرة. ورهطُ النبي ﷺ هم أهله وأقرب الناس إليه.. والإمام، رضي الله عنه، أحد هؤلاء الرهط الذين كان لهم شرف السبق إلي الإسلام ونصرة الدين..

(١) لا يُعاد منها: لا يُزار من حلَّت به كما يُزار المريض بعلة أخرى.
(٢) أصلتا الشيء: أبرزه، يُقال: أصلت السيف: جرَّده من غمده.
(٣) ويروي أيضًا أن هذين البيتين لفاطمة الزهراء، رضي الله عنها، ترثي أباها ﷺ. وقيل: هما لحسان بن ثابت يرثي النبي ﷺ وقيل: هما لإبراهيم بن العباس الصولي يرثي والده.
وذكر ابن عبد ربه في «العقد الفريد» أنه قيل لامرأة، أصيبت بابنها: ما أحسن عزاءك؟ قالت: إن فقدي إياه أمنني كل فقد سواه، وإن مصيبتي به هوّنت عليّ المصائب بعده، ثم أنشأت:

مَنْ شاء بعدك فليمُتْ ... فعليك كنت أحاذر
ليت المنازل والديار ... حفائر ومقابر

والإمام ، رضي الله عنه، في هذه الأبيات يذكر بعضًا من مآثر هؤلاء الرهط، فيقول : رضي الله عنه:

قَـد يَعلَمُ الناسُ أَنَّـا خَيرُهُم نَسَبًا ... وَنَـحـنُ أَفـخَـرُهُـم بَيتًا إِذَا فَـخَـرُوا
رَهـطُ النَبِيِّ وَهُـم مَـأوى كَرامَتِه ... وَناصِرو الدينِ وَالمَنصورُ مَن نَصَروا
وَالأَرضُ تَعلَمُ أَنَّـا خَيرُ ساكِنِها ... كَما بِـهِ تَشهَدُ البَطحاءُ وَالـمَـدَرُ (١)
وَالبَيتُ ذو السِّترِ لَو شاؤوا يُحَدِّثُهُم ... نادى بِذَلِكَ رُكنُ البَيتِ وَالحَجَرُ (٢)

في استشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه (الطويل)

عمار بن ياسر أصله من اليمن من بني ثعلبة، ومن السابقين للإسلام.. وكان إسلامه سببًا في تعذيبه هو وأمه وأبيه من قبل المشركين.. شهد عمار كثيرًا من المعارك مع رسول الله ﷺ، وقد قطعت أذنه يوم اليمامة.. اختاره عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، واليًا على الكوفة. وعندما أطلت الفتنة برأسها على المسلمين بعد مقتل الخليفة الثالث، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، وكان من المسلمين من ناصر عليًّا، ومنهم من ناصر معاوية، رضي الله عنهم أجمعين،وكان عمار بن ياسر ممن ناصر عليًّا، واستشهد بين يديه في موقعة صفين.. وينسب إلى الإمام، رضي الله عنه، هذان البيتان وهو يحمل عمارًا إلي خيمته وقد غطى الدم وجهه الشريف.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

وَمـا ظَبْيَةٌ تَسْبِي القُلوبَ بِطَرْفِها ... إِذَا التفَتَتْ خِلْنا بِأَجْفَانِها سِحْرَا
بِأَحْسَنَ مِنْهُ كُلَّلَ السَّيفُ وَجْهَهُ ... دَمًا في سَبِيلِ اللهِ حَتَّى قَضَى صَبْرَا (٣)

رضي الله عن عمار وعن سائر صحابة رسول الله ﷺ.

لقد عجزت (الرجز)

قضية التحكيم من القضايا المشهورة في التاريخ الإسلامي، وتمخضت عنها موقعة صفين، وكان من نتائجها أن تفرق أنصار الإمام على، رضي الله عنه، وظهر الخوارج الذين انقلبوا عليه، بل كفروه ثم كان استشهاده على يد أحدهم..

ويذكر أن الإمام لم يُر بعد تحكيم الحكمين إلا وهو يقول (٤):

(١) البطحاء: المكان المتسع يمر به السيل، فيترك فيه الرمل والحصى الصغار، ومنه بطحاء مكة.. المدر: الطين اللزج المتماسك، وأهل المدر : سكان البيوت المبنية ، خلاف البدو سكان الخيام.
(٢) الحجر: المراد الحجر الأسود بالكعبة المشرفة. (٣) كلل : غطاه وزينه.. قضى صبرًا : مات صابرًا ولم يجزع.
(٤) وردت هذه الأبيات بألفاظ متقاربة في عدة مصادر ، منها : تاريخ الشام، وتاريخ الطبري، والكامل في التاريخ لابن الأثير.. راجع في ذلك «أنوارالعقول» لقطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري.. وذكر هذه الأبيات ابن كثير في البداية والنهاية(٧/ ٢٤٨) إجابة على ما قاله المصريون عقب أول خطبة خطبها الإمام بعد بيعته.

إني عَجَزْتُ عَجْزَةً لا أَعْتَذِرْ ... سَوْفَ أكيسُ بَعْدَها وَأَسْتَمِرْ
أَرْفَعُ مِنْ ذَيلي ما كُنْتُ أَجُرّ ... وَأَجْمَعُ الأَمْرَ الشَّتِيتَ المُنْتَشِرْ
إِنْ لَمْ يُشاغِبْني العَجُولُ المُنْتَصِرْ ... أَوْ يَتْرُكوني وَالسِّلاح يُبْتَدَرْ

صبرت على مُرِّ الأمور (الطويل)

ومما ينسب إلي الإمام قوله:

صَبَرْتُ على مُرِّ الأمورِ كَراهةً ... فَهانَ علينا كلُّ صَعْبٍ من الأمْرِ
إذا كنتَ لا تدري ولم تَكُ سائلا ... عن العلمِ من يدري جَهِلْتَ ولم تدرِ!

عليك بإخوان الصفا (الطويل)

المودَّة والأخوة والزيارة سبب التآلف، والتآلف سبب القوة، وهذا مما امتن الله سبحانه به على عباده، يقول سبحانه: ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [آل عمران:١٠٣].

ومما ينسب إلي الإمام قوله: الرجل بلا أخ كشمال بلا يمين!!

وقال زياد: خير ما اكتسب المرء الإخوان، فإنهم معونة على حوادث الزمان، ونوائب الحدثان[1]، وعَوْن في السراء والضراء.. وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

عَليْكَ بإخْوانِ الصَّفا فإنَّهم ... عِمادٌ إذا استنْجَدتهم وظهور
وإنَّ قليلًا ألفُ خِلٍّ وصاحبٍ ... وإنَّ عَدُوًّا واحدًا لكثير [2]

وقريب من ذلك قول القائل:

وما المرءُ إلَّا بإخوانه ... كما يقْبضُ الكفُّ بالمِعْصَم
ولا خيْرَ في الكفِّ مقْطوعةً ... ولاخيْرَ في الساعدِ الأجْذم [3]

ويقوم الأوزاعي: الصاحب للصاحب كالرقعة في الثوب، إن لم تكن مثله شانته!

(١) الحدثان: الليل والنهار

(٢) لم يرد البيت الأول ضمن كثير مما ينسب للإمام من أشعار، وذكره الأبشيهي في كتابه المستطرف في كل فن مستظرف [ص١٤٣ إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة].

(٣) الأجذم: المقطوع.

كلّ إلى زوال (الوافر)

حقيقة الدنيا يثبتها النبي ﷺ في الحديث التالي: قال أنس، رضي الله عنه، كان للنبي ﷺ ناقةٌ تسمَّى العَضْباءَ لا تُسبق، أو لا تكاد تُسبق، فجاء أعرابي على قعود فسبقها، فشقّ ذلك على المسلمين حتى عَرَفَه، فقال: «حقٌّ على الله أن لا يَرْتفعَ شيءٌ من الدنيا إلا وضَعَه [1]».

لا استقرار فيها ولا أمان لها.. ومما يروي في ذلك ما حكاه شيخ من همدان قال: بعثني أهلي في الجاهلية إلي ذي الكلاع الحميري بهدايا، فمكثت شهرًا لا أصل إليه، ثم بعد ذلك أشرف إشرافه من كوّه له، فخرَّ له مَنْ حول القصر سجَّدًا، ثم رأيْتُه بعد ذلك وقد هاجر إلي حمص، واشترى بدرهم لحمًا، وسَمّطه خلف دابته، وهو القائل هذه الأبيات [2]:

أفٍّ للدنيا إذا كانت كذا ... أنا منها في بلاء وأذَى
إن صفا عيْشُ امْرئ في صُبْحها ... جَرّعتْه مُمسيًا كأسَ الرَّدَى
ولقد كنتُ إذا ما قيل مَنْ ... أنْعمُ العالَمِ عَيْشًا قيل: ذا

وحول هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه:

رَأَيْتُ الدَّهْرَ مُخْتَلِفًا يَدُورُ ... فَلَا حُزْنٌ يَدُومُ وَلَا سُرُورُ
وَقَدْ بَنَتِ الْمُلُوكُ بِهِ قُصُورًا ... فَلَمْ تَبْقَ الْمُلُوكُ وَلَا الْقُصُورُ

وقال مالك بن دينار [3]: مَرَرْت بقصر تضربُ فيه الجواري بالدفوف، ويقلن:

ألا يا دارُ لا يَدْخُلُك حزنٌ ... ولا يغدُرُ بصاحبك الزمانُ
فنعمَ الدارُ تأوي كل ضيفٍ ... إذا ما ضاق بالضيف المكان

ثم مررْتُ عليه بعد حين وهو خراب، وبه عجوز، فسألتها عما رأيتُ وسمعتُ، فقالت: يا عبد الله، إن الله يُغيِّر ولا يتغيَّر، والموت غالب كل مخلوق، قد ـ والله ـ دخل بها الحزن وذهب بأهلها الزمان.

وصيَّة (الطويل)

يُذكر أن الإمام، رضي الله عنه، أوصي بنيه، فقال: يا بنيّ عاشروا الناسَ بالمعروف معاشرة إن رغبْتُم حنُّوا إليكم، وإن متّمْ بكوا عليكم، ثم أنشد [4]:

أُريدُ بِذَاكُمْ أَنْ تَهَشُّوا لِطَلْعَتِي ... وأَنْ تُكْثِرُوا بَعْدِي الدُّعَاءَ عَلى قَبْرِي
وَأَنْ تَمنَحُوني في المَجَالِسِ وُدَّكُمْ ... وَإِنْ كُنْتُ عَنْكُم غائِبًا تُحْسِنُوا ذِكْرِي

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، حديث رقم ٢٨٧٢.. والقعود: البكر من الإبل إلي أن يصير في السادسة.
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ص ٣٤٦، إصدار مكتبة ابن سينا.
(٣) المرجع السابق
(٤) ذكر ذلك سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص».

ويذكر قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول» أن الإمام لما عُوتب على المزاح ذكر البيتين السابقين.

إن من الرجال بهيمة!! (الكامل)

كان من دعاء النبي ﷺ، كما روي الترمذي: «اللهم لا تجعل مصيبتنا في ديننا، ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا». وقال حكيم: من جزع من مصائب الدنيا تحولت مصيبته في دينه. ومن كانت مصيبته في دينه كان من الأخسرين أعمالا، الذين ضلَّ سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة.. ثم لعلَّه لا يفطن لشأنه، ولا يشعر بخسرانه، وقد خسر الدنيا والآخرة، ويفطن لليسير من ماله إن وَهِيَ واختل[1].. وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

أَبُنَيَّ إِنَّ مِنَ الرِّجالِ بَهيمَةً ... في صورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ المُبْصِرِ

فَطِنٌ بِكلِّ رَزِيَّةٍ في مالِهِ ... وَإِذَا أُصِيبَ بِدِينِهِ لَم يَشْعُرِ

وقريب من ذلك قول أبي العتاهية[2]:

لئن كنت في الدنيا بصيرًا فإنما ... بلاغك منها مثل زاد المسافر

إذا أبقت الدنيا على المرء دينَه ... فما فاته منها فليس بضائر!!

شجاعة (الطويل)

عُرف العرب بالشجاعة والصبر في القتال.. وقد قالوا: الشجاعة وقاية، والجُبْن مقتلة..

ومما أُثر عن الخليفة الأول، أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، وصيته لخالد بن الوليد، رضي الله عنه، وفيها يقول: احرص على الموت توهب لك الحياة!

وقال أعرابي: الله مخلف ما أتلف الناس، والدهرُ مُتلف ما جمعوا، وكم من منيةٍ علَّتُها طلبُ الحياة، وحياةٍ سببها التعرضُ للموت!!

وقد يكون الفارس الواحد خيرًا من آلاف الرجال.. وهذا معروف ومشهور في التاريخ، يقول الشاعر:

والنَّاسُ ألفٌ منهم كواحدٍ ... وواحدٌ كالألفِ إنْ أمرٌ عَنَى

---

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي (ص١٠٣ بتحقيق هاني الحاج) ثم ذكر البيتين قائلا: وأنشدني بعض أهل العلم.. وعزتهما بعض المصادر، إما لأبي الأسود الدؤلي أو عبد الله بن المبارك.

(٢) راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص ٣٤٦، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، أشجع الشجعان، وهو القائل:

إذا اجتَمَعَت عُليا مَعَدٍ وَمُذحَجٍ ... بِمَعرَكَةٍ إنِّي أكونُ أَميرَها [1]

مُسلَّمَةٌ أكفالُ خَيلي في الوَغى ... وَمَكلومَةٌ لَبّاتُها وَنُحورُها [2]

حَرامٌ عَلى أَرماحِنا طَعنُ مُدبِرٍ ... وَتَندَقُّ مِنها في الصُدورِ صُدورُها

وقريب من هذا قول العلولي[3]:

مُحرَّمةٌ أكفالُ خيْلي على القنا ... ودامية لَبَّاتُها ونحورها

ثم ذكر البيت الثالث.

إنّا أهل صبر (الرجز)

مما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، قوله يوم صفين[4].

دُبُّوا دَبيبَ النَّملِ قَدْ آنَ الظَّفَرْ ... لَا تَنْكِرُوا، فَالحَربُ تَرْمِي بالشَّرَرْ

إنَّا جَميعًا أَهْلُ صَبْرٍ لَا خَوَرْ!

عَسَى (الطويل)

ومما ينسب إلى الإمام رضي الله عنه، قوله:

عَسَى مَنْهَلٌ يَصْفُو فَيَرْوِي ظَمِيَّةً ... أَطَالَ صَداهَا المَنْهَلُ المتكدِّر [5]

عَسى بِالْجُنُوبِ الْعارِياتِ سَتَكْتَسِي ... وَبِالمُسْتَذَلِّ المُسْتَضام سَيُنْصَرُ

عَسى جابِرُ العَظْمِ الكَسِيرِ بِلُطْفِهِ ... سَيَرْتاحُ لِلْعَظْمِ الكَسِيرِ فَيُجْبَرُ

عَسَى اللهُ ـ لا تَيْأَسْ مِنَ الله ـ إنَّهُ ... يَسِيرٌ عَلَيْهِ ما يَعُزُّ وَيَعْسُرُ

يا طالب الصفو (البسيط)

عجيب أمر ذلك الذي يركن إلى الدنيا ويأمن صفوها!!

(١) مذحج: قبيلة يمنية قديمة.. وقد جاء الشطر الثاني من البيت في بعض المصادر: بمعركة يومًا فإني أميرها.

(٢) أكفال: جمع كَفَل، وهو عَجز الإنسان أو الدابة.. لَبات: جمع لَبَّة، وهو موضع القلادة من العنق. يقصد بذلك أنه كرَّار غير فرَّار، لأن الجراح من قُبل وليست من دُبر.

(٣) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي (١/ ٦٥، إصدار دار ومكتبة الهلال، بيروت).

(٤) ذكره قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».

(٥) المنهل: المورد، أي الموضع الذي فيه المشرب، والمنزل في الصحراء على طريق المسافرين لأن فيه الماء.

اسألوا التاريخ: هل دام للدنيا صفو؟ إنها تتقلب بين صفو وكدر.. فكن منها على حذر!!

يقول الأمين[1]:

يا نَفسُ قد حقَّ الحَذَرُ ... أينَ المفرُّ من القدر؟!
كُلُّ امرئٍ مما يخا ... فُ ويَرتجيه على خَطر
مَن يرتَشِف صَفوَ الزَّما ... نِ يُغَصُّ يومًا بالكَدَر

وقال بعضهم:

وقائلة: ما بالُ وجهك قد نضت ... محاسنُه والجسم بان شحوُبه[2]
فقلت لها: هاتي من الناس واحدًا ... صفا وقتُه والنائبات تنوبه!!

وهنا يعيب الإمام على من يطلب صفو الدنيا ويأمن كدرها، فيقول، رضي الله عنه:

يَا طَالِبَ الصَّفْوِ في الدُّنيا بلا كَدَرٍ ... طَلبتَ مَعدومَةً فَايأَسْ مِنَ الظَّفَرِ
وَاعْلَم بِأَنَّكَ ما عُمِّرْتَ مُمتَحَنٌ ... بالخَيرِ والشرِّ وَالمَيْسُورِ وَالعُسرِ
أَنَّى تَنَالُ بِها نَفعًا بِلا ضَرَرٍ ... وَإِنَّها خُلِقَت لِلنَّفعِ وَالضَّرَرِ
في الجُبنِ عارٌ وَفي الإِقدامِ مَكرُمَةٌ ... وَمَن يَفِرُّ فَلَن يَنْجُوَ مِنَ القَدَرِ

إن محن الزمان كثيرة لا تنقضي، بينما السرور كالأعياد أيامه معدودة.. يقول الإمام الشافعي، رحمه الله تعالي:

مِحَنُ الزمانِ كثيرةٌ لا تنقضي ... وسُرورُه يأتيك كالأعيادِ!!

قل للذي يعيب الزمان (المتقارب)

كثيرون هؤلاء الذين يرجعون أسباب إخفاقاتهم إلي الدنيا والزمان!! يقول الشاعر:

كُلُّ مَنْ تلْقَاه يَشكو دَهْرَه ... ليْتَ شِعْري هذه الدنيا لمن؟!

ويقول آخر:

يقولون: الزمانُ به فسادُ ... وهم فَسَدوا وما فَسد الزمان!

وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

ويقول الإمام علي، رضي الله عنه: وايْمُ الله ما كان قوم قط في خفض عيش، فزال عنهم، إلا بذنوب اقترفوها، لأن الله تعالى ليس بظلام للعبيد، ولو أن الناس حين يَنزل بهم الفقر، ويزول عنهم الغني، فزعوا إلي ربهم بصدق نياتهم لردَّ عليهم كُلَّ شارد، وأصلح لهم كل فاسد.

(١) راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص٣٤٨، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة. (٢) نضت محاسنه: ذهبت

ويقول أيضًا:

يعيبُ رجالٌ زماناً مضى ... وما لزمانٍ مضى من غيرْ [1]
أرى الليلَ يجري كعهدي به ... وأنَّ النهارَ علينا يكرْ
ولم تحبسِ القطرَ عنّا السَما ... ولم تنكسفْ شمسُنا والقمرْ
فقُل للذي ذمَّ صرفَ الزمانِ: ... ظلمتَ الزمانَ فذُمَّ البشرْ [2]

ما الذي تغير؟ الليل هو الليل، والنهار هو النهار، يتعاقبان بنظام دقيق كما أراد الله عز وجل.. لم تحبس السماء عنا المطر، ولم تنكسف الشمس والقمر.. فلم نعيب الزمان؟!

نعيب زماننا والعيب فينا ... وما لزماننا عيبٌ سوانا!!

تضرع واعتراف بالذنب (الوافر)

يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] وسأل أبو بكر الصديق، رضي الله عنه، رسول الله ﷺ: يا رسول الله، علمني دُعاءً أدعو به في صلاتي.. فقال ﷺ: «قُلْ: اللهمَّ إنِّي ظلمتُ نَفْسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفرُ الذنوبَ إلا أنت، فاغْفِرْ لي مَغْفِرةً من عِنْدِك، وارْحَمني ، إنك أنت الغَفورُ الرحيمُ» [3]. وعندما يظلم الإنسان نفسه ويرتكب إثمًا، فعليه أن يعود سريعًا إلي ربه معترفًا بذنبه طالبًا منه العفو والمغفرة..

وهل يغفر الذنوب إلا الله؟! يقول الإمام، رضي الله عنه، مبتهلاً [4]:

أيا مَن ليسَ لي منهُ مُجيرُ ... بعَفْوكَ من عقابكَ أستجيرُ
أنا العَبدُ المُقِرُّ بكُلِّ ذَنبٍ ... وأنتَ السَيِّدُ الصَمدُ الغَفورُ [5]
فإن عَذَّبتَني فبسوءِ فِعلي ... وإن تَغفِرْ فأنتَ بهِ جَديرُ

مساكين أهل الفقر (الطويل)

عن الفقر يقول الإمام: لقد مارستُ كل شيءٍ فقهرته، ومارسني الفقرُ فقهرني.. الفقر داءٌ دويّ، إن كتمتُه قتلني، وإن أظهرتُه فضحني!!

وله رضي الله عنه: كاد الفقرُ أن يكون كفرًا، بل هو الكفر بعينه .. ثم أنشأ يقول [6]:

مَساكينُ أهلُ الفقر حتى قبورهمْ ... عليها تُرابُ الذُّلِّ بينَ المقابرِ

(١) غير الدهر: أحواله وأحداثه المتغيرة. (٢) صرف الزمان: نوائبه ومصائبه.
(٣) رواه البخاري في الدعوات، حديث رقم ٦٣٩٨، ومسلم في الذكر والدعاء حديث رقم ٢٧٠٥.
(٤) نسبت هذه الأبيات لأبي نواس، كما جاءت في ديوانه.
(٥) الصمد: المقصود لقضاء الحاجات. (٦) راجع أنوار العقول لقطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري.

وكأن الإمام يعيش بيننا، فيري قبورًا قد شيدت وحصنت، وارتفعت، وكأنها قصور، وليست بيتًا للبلي والدود!! بينما هناك قبور أخرى اندثرت معالمها، ولم يبق منها سوي التراب!!

سبحان رب العباد (المنسرح)

يُنسب للإمام أنه رأي حيوانًا كبيرًا ذا وبر كثيف، فقال هذين البيتين:

سُبْحَانَ رَبِّ العِبادِ يَا وَبَرَهْ ... وَرَازِقِ المُتَّقِينَ والفَجَرَهْ

لَوْ كَانَ رِزْقُ العِبَادِ عَن جَلَدٍ ... ما نال مِن رزقِ رَبِّنا مَدَرَهْ

وتذكر بعض المراجع أن «وبره» اسم رجل مغضوب عليه له مال وفير[1].

بين البلاء والسرور (الطويل)

كثيرًا ما يذكرنا الإمام بالدهر وتقلباته بين بلاء وسرور، وأنه لا دوام لأحدهما.. يقول الشاعر[2]:

إذا ما أتاك الدهرُ يومًا بنكْبةٍ ... فأفرغْ لها صبرًا ووسِّع له صدرًا

فإن تصاريفَ الزمانِ عجيبةٌ ... فيومًا تري يُسْرًا ويومًا تري عسرًا

ولذا خلص الإمام، بعد أن عركه الدهر، أنه لا علاج للبلاء سوي الصبر، فهو حتمًا إلي زوال.. وأنه لا قيمة لسرور لا يدوم، وهكذا الأيام بين هذا وذاك.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

لَئِنْ سَاءَنِي دهْرٌ عَزَمْتُ تَصَبُّرًا ... فَكُلُّ بَلاءٍ لا يَدُومُ يَسِيرُ

وَإِنْ سَرَّنِي لَمْ أَبْتَهِجْ بِسُرُورِهِ ... فَكُلُّ سُرُورٍ لا يَدومَ حَقِيرُ

وما أحسن قول القائل[3]:

الدَّهْرُ لا يبقي على حالةٍ ... لابدَّ أن يُقْبلَ أو يُدبر

فإن تلقاك بمكْروهِهِ ... فاصبْرِ فإنَّ الدهرَ لا يَصْبر

العار (الكامل)

ما هو العار؟ العار هو كلُّ ما يلزمُ منه سُبَّةٌ أو عيبٌ أن نقيصة.. يُقال عيَّره: نسبه إلي العار وقبَّح عليه فعله.

والإمام هنا يعدِّد أنواعًا من العيوب والرزايا التي تُلحق العارَ بصاحبها، ويؤكد أن النفس الأبيَّة تري أن النار أهْوَنُ من ارتكاب تلك العيوب والرزايا..

(١) راجع «أنوار العقول» للكيدري.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ص٣٥١، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

(٣) راجع المصدر السابق.

ـ أليس من العار أن يبيت الرجل شبعان وجاره جائع؟!
ـ أليس من العار أن يهضم القوي حق الضعيف؟!
ـ أليس من العار أن يكون الرجل جبانًا مع أعدائه أسدًا على أقربائه؟!
ـ أليس من العار أن يكون شجاعًا في السلم جبانًا في الحرب؟!

يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

النارُ أهونُ من رُكوبِ العار ... وَالعارُ يُدخِلُ أهلَهُ في النَّار
وَالعارُ في رَجُلٍ يَبيتُ وَجارُهُ ... طاوي الحَشا مُتَمَزِّقُ الأَطْمَار[2]
وَالعارُ في هَضمِ الضَّعيفِ وَظُلمه ... وَإقامةِ الأَخْيَارِ بالأَشْرَار
والعارُ إن يُجْدي عَليكَ صنيعةً ... فتكونَ عندكَ سهلَةَ المقدار
والعارُ في رجلٍ يحيدُ عن العدا ... وعلى القرابةِ كالهزبرِ الضار[3]
والعارُ إن تكُ في الأنامِ مَقدمًا ... وتكونُ في الهَيْجا من الفُرَّار[4]
جاهدْ على طلبِ الحَلالِ ولَا تكنْ ... تغذوهُ بالإسرافِ والتبذار
إلَّا لأهلكَ أو لضيفكَ أو لِمن ... يشكو إليكَ مخافةَ الإعسار

عزاء (الطويل)

العزاء، الصبر.. التعزية: التصْبير والحمل على الصبر بذكر ما يسلي المصابُ «المعزَّى» ويخفف حزنه، ويهوِّن عليه مصيبته. وقد حث النبي ﷺ عليها وبين فضلها، فقال: «ما من مؤمن يعزِّي أخاه بمصيبة إلا كساه الله عز وجل من حُلَل الكرامة يوم القيامة[5]». وعلى المعزِّي أن تكون مخلصًا في ذلك لينال الأجر الذي وُعد به من الله سبحانه.. والإمام عليٌّ، رضي الله عنه، يعيب على مَنْ هو بريءٌ من الصبر كيف يدعو إلي التصبر؟ يقول الإمام، رضي الله عنه:

أيعزُونني قومٌ بَراءٌ مِنَ الصَّبْر ... وَفي الصَّبْرِ أَشْيَاءُ أَمَرُّ مِن الصَّبْر
يُعَزِّي المُعَزِّي ثُمَ يَمضِي لِشَأْنِهِ ... وَيَبْقَى المُعَزَّى في أَحَرّ مِنَ الجَمْر

ينصرني ربي (الرجز)

مما ينسب إلي الإمام، قوله يوم خيبر، حين بارز بعض اليهود:

(١) معظم مصادر الديوان لم تذكر سوى الأبيات الثلاثة الأولي، أما الأبيات الخمسة التالية فقد ذكرها قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) الأطمار: جمع طِمر، وهو الثوب الخَلَق البالي.
(٣) الهزبر: من أسماء الأسد.
(٤) الهيجاء: الحرب.
(٥) رواه ابن ماجة والبيهقي.

يَـنْـصُـرُنِـي رَبِّـيَ خَـيْـرُ نـاصِـرِ آمَـنْـتُ بـالـلـه بِـقَـلْـبٍ شـاكِـرِ
أَضْـرِبُ بِالسَّيْفِ عَـلَـى المغافِرِ مَـعَ النَّبِيِّ المُصْطَفَي المُهاجِرِ [1]

وأغمض عيني (الطويل)

هذه الأبيات ينسب قولها للإمام عندما بويع بالخلافة.. وينسب البعض قولها للإمام عندما بويع مَنْ قبله بالخلافة.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

وأُغَـمِّـضُ عَيْنِي عَـنْ أُمُـورٍ كَثِيْرَةٍ وَإِنِّـي عَلَى تَـرْكِ الغُمُوضِ قَـدِيْرُ
وَمَـا مِـنْ عَمًى أُغْضِي وَلَكِنْ لَرُبَّمَا تَعَامَى وَأَغْـضَى المَرْءُ وَهْـوَ بَصِيرُ
وَأَسْكُتُ عَنْ أَشْيَاءَ، لو شِئْتُ قُلْتُها وَلَـيْـسَ عَلَيْنَا فِـي الـمَـقَـالِ أَمِـيـرُ
أُصَـبِّـرُ نَفْسِي بِاجْتِهَادِي وَطَاقَتِي وَإِنِّـي بِـأَخْـلَاقِ الجَمِيعِ خَبِيْرُ

قال حكيم [2]: وجدتُ أكثر أمور الدُنيا لا تجوز إلَّا بالتغافل.

وقال آخر: من شدَّدَ نفَّر، ومن تراخي تآلف، والشرف في التغافل.

وقال ثالث: العاقل هو الفطنُ المتغافل. ولله در الطائي حين يقول:

لـيـس الـغـبـيُّ بـسـيِّـد قـومـه لـكـنَّ سـيِّـد قـومـه الـمـتـغـابـي!!

في ورع الإمام [3] (الرجز)

ذكر الحافظ ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» أن أمير المؤمنين عليًّا، رضي الله عنه، خطب الناس فقال: أيها الناس، والله الذي لا إله إلَّا هو ما رزأتُ [4] من مالكم قليلًا ولا كثيرًا إلا هذه، وأخرج قارورة من كم قميصه فيها طيب. وقال: أهداها إليَّ الدِّهقان [5]. ثم أتي بيت المال فقال: خذوا، وأنشأ يقول:

أفـلَـحَ مـن كـانـت لـه قَـوْصَـرَّة يـأكـل منها كـل يـومٍ تـمـرة [6]

وفي رواية «مرَّة» .. وفي رواية: «طوبي لمن كانت له قوصرة [7]».

(١) المغافر: جمع مِغْفَر، وهو زرد يُنسج من الدروع على قدر الرأس، يُلبس تحت القلنسوة. وزاد بعضهم: تبًّا وتعسًا لك يا ابن الكافر.
(٢) راجع في ذلك أدب الدنيا والدين بتحقيق هاني الحاج ص ١٨٣.
(٣) لم يرد ذلك في كثير مما هو متداول مما ينسب للإمام من أشعار.
(٤) ما رزأت من مالكم: ما أصبتُ منه.
(٥) الدِّهقان والدُّهقان: رئيس القرية أو الإقليم.
(٦) القوصرّة: وعاء للتمر من قصب.
(٧) راجع البداية والنهاية ٨/ ٣.

العلم بالله والجهل به (الرجز)

يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

العِلْمُ باللهِ جِماعُ الشُّكْرِ
والجهلُ باللهِ جِماعُ الكُفْرِ

الناس أربعة (السريع)

الناس في هذه الدُّنيا على دروب أربعة:

- منهم من اشتغل بدنياه وجعلها أكبر همه ومبلغ علمه، ونسي آخرته، فكان عاقبة أمره خسرًا.
- ومنهم من كان حظه من الدُّنيا قليلًا، إلا أنه عمل لآخرته، ففاز فوزًا عظيمًا.
- ومنهم من وازن بين الأمرين فلم يَنْسَ نصيبه من الدنيا، وجعله سببًا للارتقاء في الآخر، ففاز بنعيم الدارين..
- ومنهم من خسر الدارين، فلم ينل من أيهما خيرًا!!

وفي هذا يقول الإمام[2]، رضي الله عنه:

رُبَّ فتىً دُنياهُ مَوْفورةٌ ... ليسَ لَهُ مِن بَعْدِها آخِرهْ
وآخَرٌ دُنياهُ مذمومةٌ ... تَتبَعُها آخِرةٌ فاخِرهْ
وآخَرٌ قَدْ حازَ كلتيهما ... قَدْ جَمعَ الدُّنيا مَعَ الآخِرهْ
وآخَرٌ يُحْرَمُ كلتيهما ... ليسَ لَهُ الدُّنيا ولا الآخِرهْ

وجاءت هذه الأبيات في نفس المصدر كما يلي:

أربعةٌ في الناسِ ميزَتُهُم ... أحوالُهُم مكشوفةٌ ظاهِرهْ
فواحِدٌ دُنياهُ مقبوضةٌ ... تَتْبَعُهُ آخِرةٌ فاخِره
وواحِدٌ دُنيَّاهُ مَحمودةٌ ... ليسَتْ لَهُ مِنْ بعدِها آخِرهْ
وواحِدٌ فازَ بكِلْتَيْهِما ... قَدْ جمعَ الدُّنيا مَعَ الآخِرهْ
وواحِدٌ من بينِهِم ضائعٌ ... ليسَتْ لَهُ دُنْيا ولا آخِرهْ

(١) لم يرد هذان البيتان في كثير مما يتداوله الناس من شعر الإمام، وذكرهما قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي في كتابه «أنوار العقول».

(٢) لم ترد هذه الأبيات، في معظم الطبعات المتداولة من أشعار الإمام، وذكرها قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول» ونسبها إلي بعض المصادر منها: حماسة الظرفاء، وشعر الحكم.

لا يَبلُغ المرْء بالإحجَام همّته [1] (البسيط)

ذكر قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري الأبيات التالية ونسبها للإمام عليٍّ، رضي الله عنه:

لا يَبْلُغُ المَرْءُ بالإحْجَام هِمَّتَهُ ... حَتَّى يواصِلَها مِنْهُ بتَغْرِير

حتى يواصِلُ في أفنانِ مَطلَبِه ... غَوْرًا بنجدٍ وأعنانًا بتغْوِير

خَاطِر بنَفْسكَ لا تقْعُدْ بمعْجزة ... فَلَيْسَ حُرٌّ عَلَى عَجْز بمَعْذُور [2]

إنْ لَمْ تَنَلْ في مُقَامٍ مَا تُحاوِلُهُ ... فَأَبْلِ عُذْرًا بإدْلاجٍ وَتَهْجِير

بينما قال أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي في كتابه «الأمالي»: وأنشدنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة.. وذكر الأبيات مع تقديم البيتين الثالث والرابع على البيتين الأول والثاني، واختلاف يسير في بعض الألفاظ [3].

دنيّا (مجزوء الكامل)

مما نُسب إلى الإمام، رضي الله عنه، وهو يخاطب الدنيا قوله [4]:

دُنَيّا عدمْتُك ما أمَرّك ... للمُكثرين فما أضرَّك

ما ذاق خيْرَكِ ذائقٌ ... إلَّا صَبَبْتِ عليه شرَّك

ولله درّ سليمان الضحاك حيث يقول:

والمالُ حلْوٌ حسنٌ جيِّد ... على الفتى لكنه عاريه

ما أحسنَ الدنيا ولكنها ... مع حُسْنها غدَّارة فانيه

كثير المال (الوافر)

جُبِلَ الناسُ على حبِّ المال.. وحادوا عن الجادة عندما نسبوا إليه العزَّ والسؤدَدَ، وجعلوا الفقر قرين الذل والمهانة.. كما قال القائل [5]:

الفقْرُ يُزري بأقوامٍ ذوي حسبٍ ... وقد يُسوِّدُ غيْرَ السيِّد المالُ

وقال ابن الأحنف:

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما هو متداول ومنسوب للإمام من أشعار.

(٢) سبق ذكر هذا البيت والذي يليه تحت عنوان (لا تعجز) فراجعه.

(٣) راجع أمالي القالي ٢/ ٣٠٤، ضمن سلسلة الذخائر، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة.

(٤) لم يرد هذان البيتان في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».

(٥) راجع المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٣٢٧.

يمْشِي الفقيرُ وكلُّ شيءٍ ضدَّه ... والناسُ تُغلقُ دونه أبوابَها
وتراه مَبْغوضًا وليس بمُذنب ... ويَرَي العداوة لا يَري أسْبابَها
حتى الكلاب إذا رأتْ ذا ثَرْوَةٍ ... خضَعَتْ لَديْه وحرَّكت أذنابَها
وإذا رأت يومًا فقيرًا عابرًا ... نبحَتْ عليه وكَشَّرت أنيابَها

وفي ذلك يقول الإمام[1]، رضي الله عنه:

كثيرُ المالِ ليسَ لَهُ عَوارُ ... ولا في كُلِّ ما يأتيه عارُ
لأنَّ المالَ يَستُرُ كُلَّ عيبٍ ... وفي الفقرِ المذلةُ والصغارُ
كذاكَ الفقرُ بالأحرارِ يُزْري ... كما أزرَتْ بشاربِها العُقارُ[2]

كل امرئ يأتي بما هو أهله (الطويل)

يُنسب للإمام هذان البيتان، حيث يقول[3]:

وما آثرَ التقْصيرَ إلَّا مقصرٌ ... رأي نَفْسَهُ حلَّتْ مَحَلَ المُقصرِ
وكُلُّ امرئٍ يأتي بما هُو أهلهُ ... فأهلٌ بمعروفٍ وأهلٌ بِمُنْكَرِ

الشجاع البطل (السريع)

يُنسب للإمام، رضي الله عنه، قوله لأحد مبارزيه يوم أحد[4]:

لَسْتُ أرَى ما بيْننا حَاكمًا ... إلَّا الذي في الكفِّ بتَّار
وصَارِمًا أبيضَ مثلَ المَهَا ... يبرقُ في الراحةِ ضرَّار[5]
مَعِي حسامٌ، قاطعٌ، باترٌ ... تسطعُ من تضْرابِه النارُ
إنَّا أناسٌ ديننُنا صادقٌ ... إنَّا على الحَربِ لَصُبَّارُ

وفي مناسبة أخري قال له مبارزه متحديًا: (الرجز)

أنا أبو الليْث واسمي عنْتَر
شاكي السلاحِ وبلادي خيْبَر

(١) لم ترد هذه الأبيات في معظم ما يُتداول من أشعار الإمام، وذكرها قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) العقار: الخمر
(٣) ذكرهما قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول»، وقيل: روي عن النبي ﷺ أنه قال لأمير المؤمنين علي، رضي الله عنه: «أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة».. فقال أمير المؤمنين: وذكر البيتين.
(٤) لم ترد هذه الأبيات في معظم ما هو متداول من شعر الإمام، وذكرها قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في أنوار العقول».
(٥) الذي في الكف بتار هو السيف.

أشجع، مفضال، هزبر، أزور
جَهْم، عبوسٍ، بارز، مبرّر[1]
عند الليوث لليوث قسور[2]

فأجابه أمير المؤمنين، رضي الله عنه، قائلا:

أنا عليٌّ البطلُ المظفرُ
غشمشمُ القلب بذاك أذكرُ[3]
وفي يميني لَلِّقاء أخضرُ
يلمعُ من حافَيه برقٌ تزهرُ
بالطعن والضرب الشديد مخضرُ
معي النبيُّ الطاهرُ المطهرُ
اختارَهُ اللهُ العليُّ الأكبرُ
اليومَ يُرضيه ويخزي عنترُ

أنا عليٌّ هازم العساكر (الرجز)

وعندما بارزه يهودي من خيبر يُدعى «ياسر» قائلا[4]:

قد عَلِمَت خَيبرُ أني ياسرُ
شاكي السلاح بطلٌ مُغامِرُ
إذا الليوثُ أقبَلَت تُبادرُ
وأحْجَمَت عن صَولة المحاجرُ
إن طعاني فيه موتٌ حاضِرُ

فأجابه أمير المؤمنين، رضي الله عنه، قائلًا:

تَبًّا وتَعْسًا لكَ يابنَ الكافر
أنا عليٌّ هازمُ العَساكر
أنا الذي أضربُكم ونَاصري
إلهُ حقٍّ ولهُ مهاجري
أضربُكم بالسيف في المَصاغر
أجودُ بالطعن وضَرب ظاهر
معَ ابن عمي والسراج الزاهر
حتى تَدينوا للعليِّ القادر
ضربَ غُلامٍ صارمٍ مُماهر

(١) جهم: عابس الوجه كريه المنظر. (٢) القسور: الأسد.
(٣) غشمشم: الجريء الماضي فيما يريد لا يثنيه شيء.
(٤) لم ترد هذه الأبيات في معظم ما يتداوله الناس من شعر الإمام، وأوردها قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».

الندم على التفريط (الطويل)

جعل الله سبحانه وتعالي الدنيا مزرعة للآخرة.. والعبد وما يزرعه في دنياه، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.. والعاقل من يعمل ليوم الحساب، يوم لا تملك نفس لنفس شيئًا.. يقول الحق سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ [البقرة:٢٥٤]. فليتزود العبد من دنياه لآخرته، والتقوى هي خير زاد، يقول سبحانه: ﴿ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[البقرة: ١٩٧]. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[١]:

إذا أنتَ لم تزرعْ وأبصرتَ حاصدًا ... ندمتُ على التفريطِ في زمنِ البذرِ
وما أنْ ليومِ البعثِ زادٌ سوي التُقي ... تزوّد بهِ حتى القيامةِ والحشرِ

وصدق من قال[٢]:

وما أقبحَ التفريطَ في زمنِ الصِّبا ... فكيف به والشَّيبُ في الرأسِ شاعِلُ؟!
ترحَّل من الدنيا بزاد من التقَى ... فعمرك أيامٌ تُعدُّ قلائل

أمرٌ على المقابر (الوافر)

في القرآن الكريم، يقول الله سبحانه وتعالي: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤]. وأنشد محمد بن الحسن:

ومتعب الروح مرتاح إلي بلدٍ ... والموت يطلبه في ذلك البلد

وقال بعضهم في هذا المعني:

إذا ما حِمامُ المرءِ كان ببلدةٍ ... دَعَتْه إليها حاجةٌ فيطير [٣]

وكثير منا يفرح إذا ما ازداد ماله يومًا بعد يوم، وقد أنسته الدنيا، وشغله جمع ماله أن كل يوم يمر إنما هو نقصان في عمره.. هذا ما يؤكده الإمام، رضي الله عنه، حيث يقول[٤]:

أمرُّ على المقابرِ كلَّ يومٍ ... ولَمْ أدرِ بأيِّ الأرضِ قبري
وأفرحُ كلَّما يزدادُ مالي ... ولَمْ أبكِ على نُقصانِ عُمري

(١) لم يرد هذان البيتان ضمن كثير مما يتداول من أشعار الإمام، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول» .. وهناك من نسبهما إلي خالد بن معدان.
(٢) راجع المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ص٥٧٦.
(٣) الحمام، بكسر الحاء: قضاء الموت وقدره.
(٤) لم يرد البيتان في كثير مما ينسب للإمام من أشعار ، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».

قافية الزاي:

مساجلة بين الإمام وعمرو بن عبد ود (الكامل)

في يوم الخندق خرج عمرو بن عبد وُد، وهو مقنع بالحديد، فنادي : مَنْ يبارز؟

فقام علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فقال: أنا لها يا نبي الله.. فقال: «إنه عمرو، اجلس». ثم نادي عمرو: ألا رجل يبرز؟أين جنتكم التي تزعمون أنه من قُتل منكم دخلها؟ أفلا تبرزون إليَّ رجلا؟ فقام عليٌّ فقال: أنا يا رسول الله.. فقال: «اجلس»، ثم نادي عمرو الثالثة وقال[1]:

وَلَقَدْ بُحِحْتُ مِنَ النِّدَا ... ءِ بِجَمْعِكُمْ هَلْ مِنْ مُبَارِزْ؟ [2]
وَوَقَفْتُ إِذْ جَبُنَ الشُّجَا ... عُ بِمَوْقِفِ الْقِرْنِ الْمُنَاجِزْ [3]
إِنِّي كَذَلِكَ لَمْ أَزَلْ ... مُتَسَرِّعًا نَحْوَ الْهَزَاهِزْ [4]
إِنَّ الشَّجَاعَةَ وَالسَّمَا ... حَةَ فِي الْفَتَى خَيْرُ الْغَرَائِزْ

فقام علي، رضي الله عنه، بعد أن أذن له رسول الله ﷺ ومشي إليه حتى إتَاه وهو يقول[5]:

يَا عَمْرُو وَيْحَكَ قَدْ أَتَا ... كَ مُجِيبُ صَوْتِكَ غَيْرُ عَاجِزْ
ذُو نِيَّةٍ وَبَصِيرَةٍ ... وَالصِّدْقُ مُنْجِي كُلَّ فَائِزْ

ثم أجهز عليه الإمام ، رضي الله عنه، وقتله، وقال[6]:

ولقد دعوْتَ إلي البروز ... فَتًى يجيب إلي المبارز
يُعليك أبيضَ صارمًا كا ... لملح حتْفًا للمناجز
إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أُقِيـ ... ـمَ عَلَيْكَ نَائِحَةَ الْجَنَائِزْ
مِنْ ضَرْبَةٍ نَجْلاءَ يبْـ ... ـقَي صِيتُها بَعْدَ الْهَزَاهِزْ [7]

(١) البداية والنهاية ٤/ ١٠٦.
(٢) بححت : أصبت بالبحة في صوتي من كثرة الصياح.
(٣) القِرن للإنسان: مثله في الشجاعة والشدة والعلم والقتال وغير ذلك.. يُقال : ناجزه الحرب ونحوها: نازله وقاتله، فهو مُناجز.
(٤) الهَزاهز: جمع هزْهزة، وهي الفتنة والشدة والمصيبة.
(٥) راجع في ذلك المستدرك على الصحيحين للحاكم ٣/ ٣٢، ٣٣ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.
(٦) البيت الأول والذي يليه لم يذكرا في كثير مما هو متداول من شعر الإمام.
(٧) ضربة نجلاء : واسعة.

قافية السين:

سلام على أهل القبور (الطويل)

الموت مصير كل حي.. وفي القبر يتساوي الجميع، الكل صار ترابًا، والتراب واحد.. فلا فرق بين تراب غني وتراب فقير!! وصدق من قال:

عن قليل أصيرُ كوْم تراب ... وتقول الرفاق: هذا فلان
صار تحت التراب عظمًا رميمًا ... وجفاه الأحباب والخلان

ويقول آخر:

يا واقفين ألم تكونوا تعلموا ... أن الحِمام بكم علينا قادم [1]
لو تنزلون بِشِعْبنا لعرفتمو ... أن المفرِّط في التزودِ نادِم
لا تستعزوا بالحياة فإنكم ... تبنون والموت المفرِّق هادم
ساوَى الردَي ما بيننا في حفرة ... حيث المخدّم والخادم

وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه[2]:

سَلامٌ عَلى أَهْلِ القُبورِ الدَّوارِسِ ... كَأَنَّهُمُ لَمْ يَجلِسُوا فِي المَجَالِسِ [3]
ولَمْ يَشْرَبوا مِنْ بارِدِ المَاءِ شَرْبَةً ... وَلَم يأْكلوا مِنْ كُلِّ رَطْبٍ وَيابِسِ
أَلَا خَبِّرونِي: أَيْنَ قَبْرُ ذَلِيلِكُمْ ... وَقَبْرُ العَزِيزِ البَاذِخِ المُتَنَافِسِ؟!

سلام على أهل القبور من المؤمنين في قبورهم، أنتم لنا سلف، ونحن لكم تبع، وعما قليل بكم لاحقون، اللهم اغفر لنا ولهم، وتجاوز عنا وعنهم.

لكلِّ همٍّ فرج (السريع)

نوائب الدهر كثيرة، ولا علاج لها إلَّا الصبر، فإن دوام الحال من المحال.. فلا دوام لعسر أو يسر.. فإن أصابتك سراء فاشكر، وإن أصابتك ضراء فاصبر.. يقول القائل[4]:

إنَّ الأمور إذا اسْتدت مسالكُها ... فالصبر يفتح منها كل ما رُتجا [5]
لا تيْأسَنَّ وإن طالت مطالبة ... إذا استعنْت بصبر أن تري فرجا

(١) الحمام: بكسر الحاء، قضاء الموت وقدره.. راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص٥٧٣.
(٢) تنسب بعض كتب الأدب هذه الأبيات لأبي العتاهية، وقيل: وجدت هذه الأبيات مكتوبة على قبر يعقوب بن ليث.
(٣) الدوارس: ذاهبة الأثر.
(٤) راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص٥٣٠.
(٥) رتج: أغلق، يُقال: رتج الباب: أغلقه، ويقال: سكَّة رتج: مغلقة لا منفذ لها.

ومن أحسن ما قيل في ذلك:

وإذا مَسَّكَ الزمانُ بضُرٍّ ... عظُمت دونَه الخطوبُ وجلَّت [1]
وأتت بعده نوائبُ أخرى ... سئمت نفسُك الحياةَ وملّت
فاصطبر، وانتظرْ بلوغَ الأماني ... فالرزايا إذا توالت تولّت
وإذا أوْهنَتْ قُواك وجَلّت ... كُشفت عنك جملةً وتخلّت

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

لا تَتَّهِمْ رَبَّكَ فِيمَا قَضَى ... وَهَوِّنِ الأَمْرَ عَلَى النَّفْسِ [2]
لِكُلِّ هَمٍّ فَرَجٌ عَاجِلٌ ... يأتي عَلَى المُصْبِحِ والمُمْسِي

والعبد المؤمن عليه أن يصبر على ما يصيبه من شدة، ويحمد الله تعالى، ويعلم أن النصر مع الصبر، وأن مع العسر يسرًا، وأن المصائب والرزايا إذا توالت أعقبها الفرج.

ألا تراني كيْسا (الرجز)

يُذكر أن أمير المؤمنين عليًّا، رضي الله عنه، بني سجنًا من قصب[3] وسماه «نافعا» لتأديب المحبوسين، إلا أن هذا البناء كان ضعيفًا، حيث نقبه المحبوسوّن وفروا، فأعاد بناء السجن من مَدَر[4] وسمَّاه «مخيَّسا[5]». ثم أنشأ يقول:

أما تراني كَيْسًا مُكَيَّسًا ... بَنَيْتُ بعد «نافع» «مخيَّسا»

بابًا حصينًا وأمينًا كيِّسًا[6]

العلم والأدب (البسيط)

في فضل العلم يقول رسول الله ﷺ: «.. ومَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ[7]». وما أحسن قول الشاعر:

العِلْمُ أَنْفَسُ شيء أنت داخِرُه ... مَنْ يدرس العلم لم تُدْرس مفاخِرُه [8]

(١) الخطوب: جمع خطب، وهو الأمر الشديد.. جلّت: عظمت.
(٢) في بعض المصادر: وهوّن الأمر وطِبْ نَفْسا.
(٣) القصب: كل نبات كانت ساقه أنابيب وكعوبًا، ومنه قصب السكر، والغاب البلدي.
(٤) المدر: الطين اللزج المتماسك
(٥) المخيس: السجن، وسمي بذلك لأنه يُخيِّسُ المحبوسين، أي يذلّلهم.
(٦) ذكر هذه الأبيات ابن عبد ربه في العقد الفريد ٤/ ٢٦٦، باختلاف يسير في الألفاظ.
(٧) رواه مسلم في الذكر والدعاء ٢٠٧٤.
(٨) لم تدرس: لم تندثر.

أقبلْ على العلم واستقبل مقاصدَه فأول العلم إقبالٌ وآخره

وعن الأدب يقول القائل:

لكلِّ شيءٍ زينةٌ في الورى وزينةُ المرءِ تمامُ الأدب
قد يشرُفُ المرءُ بآدابه فينا وإن كان وضيعَ النسب

وفي العلم والأدب يقول الإمام موصيًا ابنه الحسن، رضي الله عنهما:

العلمُ زَينٌ فكُن للعلم مُكتَسِبًا وكُن لَهُ طالبًا ما عشتَ مُقتَبِسًا
ارْكن إليه وثِق باللهِ واغْنَ به وكُن حليماً رَزينَ العَقلِ مُحترَسًا
لا تسْأمَنَّ فإمَّا كُنتَ مُنهَمِكًا في العلم يومًا وإمَّا كُنتَ مُنغَمِسا
وكُن فتىً ناسكًا مَحضَ التُّقى وَرِعًا للدِّينِ مُعتَنِماً للعلم مُفتَرِسا
فَمَن تَخلَّقَ بالآداب ظَلَّ بها رَئيسَ قَومٍ، إذا ما فارَقَ الرُّؤَسا
واعلَم ـ هُديتَ ـ بأنَّ العِلمَ خيرُ صفيٍّ أضحى لِطالِبِهِ مِن فَضلِهِ سَلِسا

لا تركن إلي من تخاف دنسه (المنسرح)

مما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، ومما أوصي به، هذه الأبيات .. التي يقول فيها[1]:

الحَمْدُ للهِ لا شَريكَ لَهُ دَأْبي في صُبْحِه وَفي غَلَسِه [2]
لَمْ يَبْقَ لي مُؤْنِسٌ فَيُؤْنِسُني إلَّا أنيسٌ أخافُ من أنَسِهْ
فَاعْتَزِلِ النَّاسَ مَا اسْتَطَعْتَ وَلا تَرْكَنْ إلى مَن تخافُ من دَنَسِهْ
فَالعَبْدُ يَرْجُو مَا ليْسَ يُدْرِكُهُ وَالموتُ أدْنَى إلَيْهِ مِنْ نَفْسِهْ

إن السفينة لا تجري على اليبس (البسيط)

يقول الله تعالي في القرآن الكريم ﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾ [النساء:٧٨]. وإذا كان الموت مصير كل حي، فلم التجاهل والتقصير؟

فالعاقل من يغتنم دنياه فيجعلها مزرعة لأخراه..قال بعض السلف: مَنْ عمل للآخرة أحرزها والدنيا، ومَنْ آثر الدنيا حُرمها والآخرة.

(١) ذكر محقق «أنوار العقول» أن هذه الأبيات تنسب لبشر بن الحارث (الحافي) كما جاء في تاريخ بغداد، وتاريخ دمشق.
(٢) الدأب: العادة والشأن ، وفي القرآن الكريم: ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ ﴾ [غافر:٣١] والغلس : ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصبح.

وما أحسن قول الحسن البصري، رحمه الله تعالي: نهارُك ضيْفك فأحسن إليه، فإنك إن أحسنت إليه ارتحل بحمدك، وإن أسأت إليه ارتحل بذمِّك، وكذلك لَيْلُك. يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

لَا تَأْمَنِ المَوْتَ في طَـرْفٍ ولا نَفَسٍ ... وَلَـو تَمَنَّعتَ بالحُجَّابِ وَالحَرَسِ

وَاعْـلَـمْ بِـأَنَّ سِـهـامَ الـمَـوْتِ نَـافِـذَةٌ ... فِـي كُـلِّ مُـدَّرِعٍ مِـنَّـا ومُـتَّـرِسِ[2]

مَـا بَـالُ دِينُـكَ تَـرضـي أَنْ تُدَنِّسَهُ ... وَثَوبُك نفْسك مَغْسُولٌ مِنَ الدَّنَسِ

تَرْجُو النَّجَاة وَلَـمْ تَسْلُكْ مَسَالِكَهَا ... إنَّ السَّفِينَةَ لاَ تجْرِي عَلى اليَبَسِ!

فاحرص على دينك، ولا تبع آخرتك بدنياك، واعلم أن الموت ليس نهاية المطاف، وإنما بعده بعث ونشور وحساب.

أولاد الجهالة (الطويل)

إذا ذُكرت الشجاعة ذُكر الإمام علي، رضي الله عنه، فهو مثبت قواعد الإسلام ومرسيها، وهو المتقدم على ذوي الشجاعة كلهم بلا مرية ولا خلاف. يُنسب إلي الإمام، رضي الله عنه، قوله: والذي نفس ابن أبي طالب بيده، لألف ضربة بالسيف، أهْوَنُ عليَّ من موتة على فراش!! وقال بعض العرب: ما لقينا كتيبة فيها على بن أبي طالب، رضي الله عنه، إلا أوصي بعضنا على بعض!! وساحات الوغي شاهدة بذلك.. وهذا ما يذكره الإمام، ويؤكد عليه، حيث يقول، رضي الله عنه:

أَيَـحْـسَـبُ أَولادُ الـجَـهـالَـةِ أَنَّـنَـا ... عَلى الخيلِ لَسنا مِثلَهُم في الفَوارِسِ

فَـسـائِـل بَنِي بَـدرٍ إذا مـا لَقيتَهُم ... بِقَتلي ذَوي الأَقـرانِ يَومَ التَمارُسِ[3]

وَهَـذا رَسـولُ الـلَّـهِ كَـالـبَـدرِ بَيْنَنا ... بِهِ كَشَفَ اللَّهُ العِدَى بِالتَناكُسِ[4]

وَإِنَّـا أُنـاسٌ لا نَـرى الـحَـربَ سُبَّةً ... وَلا نَنْثَني عِندَ الرِّماحِ المداعِسِ[5]

فَما قيلَ فينا بَـعـدَهـا مِـن مَقالَةٍ ... فَما غـادَرَت مِنَّا جَـديـدًا لِـلابَـسِ

(١) ذكر الماوردي هذه الأبيات، باستثناء البيت الثالث، في كتابه «أدب الدنيا والدين» ونسبها إلي أبي العتاهية.

(٢) المدرع: من احتمي بالدرع .. والمترس : من احتمي بالترس.

(٣) تمارس القوم الحرب: التحموا وتضاربوا.

(٤) العدى : الأعداء.

(٥) السُّبَّة : العار.. الرماح المداعس: الغليظة الشديدة، التى لا تنثني.

في الشجاعة (الرجز)

مما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، قوله يوم أحد، وهو يبارز طلحة بن أبي طلحة[1]:

إِنِّـــي أَنَـــا الـلَّـيـــثُ الـهـزبـرُ الأشـــوسُ[2]
والأســـــدُ الـمُـسْـتـأسِـدُ الـمـعـرِّسُ[3]
إذا الـحـــروبُ أُقـبـلَـتْ تَـضْـرِسُ[4]
واخـتـلـفَـتْ عـنـدَ الـنـزالِ الأَنـفـسُ[5]
وهـــابَ مـن وقـــعِ الـرمـــاحِ الأشْـــرَسُ

وقال أيضًا[6]:

كـيـفَ يَـري الجمعُ ضـرابَ الـفـاتـكِ الـحـادِسِ[7]
وطـعـنـةً قَـدْ شَـدَّهـا لـكـبـوةِ الـفَـوَارِسِ
الـيـومَ أضـرمُ نـارَهـا بـجـذوة لِـقـابِـسِ[8]
حـتـى تُـري فـرسـانُـهـا تَـخـرُّ لـلـمـعـاطِـسِ[9]

أرض الله واسعة (الخفيف)

في القرآن الكريم،جاءت الدعوة الصريحة للضرب في الأرض ابتغاء الرزق، قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك:١٥]

وقالت العرب: الحركة وَلود، والسكون عاقر.

وقال حكيم: السفر يُسْفر عن أخلاق الرجال.

ومما قيل في ترك الإقامة بدار الهوان:

وإذا الـبـلادُ تـغـيَّـرتْ عـن حالها ... فـدْع الـمـقـامَ وبـادر التحويلا
ليس المقامُ عليك فرضًا واجبًا ... فـي بـلـدة تـدعُ الـعـزيـز ذلـيـلا

(١) لم ترد هذه الأبيات ضمن كثير مما هو متداول من أشعار الإمام، وذكرها قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) الأشوس: الجريء الشجاع.
(٣) المعرس: الملازم للقتال لا يبرحه.
(٤) تضرس: تعض، ويقال حرب ضروس: شديدة مهلكة.
(٥) نازله في الحرب: قابله وجهًا لوجه ليقاتله.
(٦) راجع المصدر السابق.
(٧) يُقال: حدس فلانًا بسهم: رماه به، فهو حادس.
(٨) يقال: قبس النار: أوْقدها، فهو قابس.
(٩) المعاطس: جمع مَعْطس، وهو الأنف.

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[١]:

كثرةُ المُكْث في المنازل ذلٌّ ... فاغتنمْ غربةً ولا تتجسَّسْ

أولُ الماءِ في الغديرِ زُلالٌ ... فإذا طالَ مكثُهُ يَتَدنسْ[٢]

وقريب من ذلك قول الإمام الشافعي، رحمه الله تعالي[٣]:

ما في المُقام لِذي عَقْلٍ وذي أَدَبٍ ... مِنْ رَاحَة فَدعِ الأَوْطَانَ واغْتَرِب

سَافِرْ تجدْ عِوَضًا عَمَّن تُفَارقهُ ... وَانْصبْ فَإنَّ لَذِيذَ الْعَيْشِ فِي النَّصَب

إنِي رَأَيْتُ وُقُوفَ الماءِ يُفسِدهُ ... إنْ سَاحَ طَابَ وَإنْ لَمْ يَجْرِ لَمْ يَطِب

والأُسْدُ لوْلَا فِراقُ الغابِ ما افترسَتْ ... والسَّهْمُ لَوْلا فِراقُ القَوسِ لم يُصِب

والشَّمْس لو وَقَفَت في الفُلكِ دائمةً ... لَمَلَّهَا النَّاسُ مِنْ عُجْم وَمِن عَرَب

والتِّبْرَ كالتُّرْبَ مُلْقًى في أَمَاكِنِه ... والعُودُ في أرضِه نَوْعٌ من الحَطَب

فإن تغرَّب هذا عَزَّ مَطْلبُهُ ... وإنْ تَغَرَّبَ ذَاكَ عَزَّ كالذَّهَب

قافية الصاد

أتمّ الناس (الوافر)

مَنْ أتمُّ الناس؟ ليس أتمهم خَلْقًا، وإنما أتمهم خُلُقًا.. أتمهم علمًا وحلمًا وعقلًا..

هذا ما أجاب عنه الإمام، رضي الله عنه، في الأبيات التالية[٤]:

أَتَمُّ النَّاسِ أَعْرَفُهُمْ بِنَقْصِهْ ... وَأَتْمَعُهُمْ لِشَهْوَتِهِ وَحِرْصِهْ

فَدَانِ عَلى السلامَةِ مَنْ يُدَانِي ... وَمَنْ لَمْ تَرْضَ صُحْبَتَهُ فَأَقْصِهْ[٥]

وَلَا تَسْتَغْلِ عَافِيَةً بِشَيءٍ ... وَلَا تَسْتَرْخِصَنَّ أَذى لِرُخْصِهْ

وَخَلِّ الفَحْصَ مَا اسْتَغْنَيتَ عَنْهُ ... فَكَمْ مُسْتَجْلِبٍ عَيْبًا لِفَحْصِهْ

فهل عرفتم مَنْ أتم الناس؟

(١) لم يرد هذان البيتان في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».

(٢) الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل.. الزلال: الماء الصافي البارد السلس.

(٣) راجع ديوان الإمام الشافعي، بتحقيق محمد إبراهيم سليم، إصدار دار الطلائع، القاهرة.

(٤) ذكر محقق كتاب «أنوار العقول» أن هذه الأبيات نسبها صاحب «بهجة المجالس» لمحمود الوراق.

(٥) دان: فعل أمر بمعني قرُب.. أقْصه: أبعده

إنه أعرفهم بنفسه، وبمواضع القوة والضعف منها.. يعرف كيف يقمع شهوته.. يعرف مَنْ يُصاحب من الناس ويقرِّب ومَنْ يباعد.. يعرف أن العافية قيمة غالية لا تدانيها قيمة أخري.. وأن الأذى أذي.. لا يستقصي في البحث عن عيوب الناس.. فمن منا يخلو من العيوب؟!

في يوم صفين (الرجز)

مما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، في يوم صفين، أنه كتب إلي عمرو بن العاص يقول[1]:

لأُوردَنَّ العاصي ابْنَ العاصي ... سَبْعِينَ أَلْفًا عاقِدِي النَّواصي [2]
مُسْتَحْلِقِينَ حَلَقَ الدِّلاصِ [3] ... قَدْ جَنَّبُوا الخَيْلَ مَعَ القِلاصِ [4]
آسادَ غِيلٍ حِينَ لا مَناصِ [5]

قافية الضاد

سأمنح مالي (الطويل)

قيل: إن الجود والسخاء والإيثار بمعني واحد..

وقيل: من أعطي البعضَ وأمسك البعض، فهو صاحب سخاء.. ومن بذل الأكثر فهو صاحب جود.. ومن آثر غيره بالحاضر، وبقي هو يقاسي الضرر، فهو صاحب إيثار..

وقال بعض العرب لولده[6]: يا بنيَّ لا تزهدنَّ في معروف، فإن الدهر ذو صروف، فكم راغب كان مرغوبًا إليه، وطالب كان مطلوبًا ما لديه، وكن كمن قال:

وعِدّ من الرحمن فضلاً ونعمةً ... عليك إذا ما جاء للخير طالب
ولا تمنعنَّ ذا حاجةٍ جاء راغبًا ... فإنك لا تدري متى أنت راغب؟!

وقال بعضهم:

أبيتُ خميص البطن عُريان طاويًا ... وأوثر بالزاد الرفيقَ على نفسي [7]

(١) ذكر ذلك الكيدري في «أنوار العقول» وذكر محقق الكتاب نسبة هذه الأبيات للإمام على كما جاء في تاريخ الطبري والكامل لابن الأثير، وغيرهما من المصادر.
(٢) في بعض النسخ: «لأَصْبَحن».
(٣) الدلاص: الدروع اللينة.
(٤) القلاص: الإبل الفتية.. وجنبو الخيل مع القلاص: جعلوا الخيل بجانب الإبل وساروا بها.
(٥) آساد: جمع أسد، الغيل: موضع الأسد، والشجر الكثيف الملتف الذي يستتر فيه.. لا مناص: لا مفر.
(٦) راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص١٨٣، ١٨٩.
(٧) خميص البطن: مَنْ أضعفه الجوع وأدخل بطنه في جوفه.. طاويًا: مضمر البطن من شدة الجوع.

وأَمْنَحُهُ فرشي وأفترشُ الثري ... وأجعلُ ستر الليل من دونه ستري

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

سَأَمْنَحُ مَالي كُلَّ مَنْ جَاءَ طَالبًا ... وَأَجْعَلُه وَقْفًا على القَرْضِ وَالفَرْضِ
فإمّا كريمٌ صُنْتُ بالمالِ عِرْضَهُ ... وَإمّا لَئِيمٌ صُنْتُ مِنْ لُؤْمِهِ عِرْضِي

ومما يؤثر عن الإمام قوله: لا تَسْتحِ من عطاء القليل، فالحرمان أقلّ منه!!

الأمر كله لله (المتقارب)

جاء في وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لابن عباس، رضي الله عنهما: «... وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ، لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لك، وَلَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ. رُفِعَتْ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[1]. فما شاء كان.. وما لم يشأ لَم يكن. ورحم الله من قال:

إذا كان سَعْدُ المرْءِ في الدهْرِ مقبلا ... تدانَتْ له الأشياءُ من كل جانب

وقال آخر:

ما سلم الله هو السالم ... ليس كما يزعُمه الزاعم
تجري المقادير التي قُدِّرت ... وأنفُ من لا يرتضي راغم

وفي هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه:

إذَا أَذِنَ اللهُ في حَاجَةٍ ... أَتَاكَ النَّجاحُ بِها يَرْكُضُ
وإن أَذِنَ اللهُ في غَيْرِهَا ... أَتَى دُونَها عَارِضٌ يَعْرِضُ

الله بيننا وبينكم (الوافر)

يخاطب الإمام، رضي الله عنه، مَنْ جحدوا حقه فيقول:

لَنا ما تَدَّعونَ بِغَيْرِ حَقٍّ ... إذا مِيزَ الصِّحاحُ مِنَ المِراض[2]
عَرَفْتُمْ حَقَّنا فَجَحَدْتُمُوهُ ... كَما عُرِفَ السَّوادُ مِنَ البَياض
كِتابُ اللهِ شاهِدُنا عَلَيْكُمْ ... وَقاضِينَا الإلهُ فَنِعْمَ قاضِ

(١) رواه أحمد في مسنده، برقم ٦٦٩، تحقيق أحمد شاكر.
(٢) المراض: جمع مريض، وهو عكس الصحيح.

إن حقه واضح وضوح الشمس لا يحتاج إلي بيِّنة، ولذا فهو يفوِّض أمَره إلي الله سبحانه ليقضي بينه وبين خصومه.. وهل هناك أعدل وأحكم من الله؟!

قافية الطاء:

الوسطية (الرجز)

ينسب للإمام، رضي الله عنه، في بيان المنهج المعتدل الذي يسلكه بلا إفراط أو تفريط، قوله:

نَحْنُ نَؤُمُّ النَّمَطَ الأَوْسَطَا[1] لَسْنَا كَمَنْ قَصَّر أَو أَفْرَطَا

اصبر ولا تغضب (البسيط)

يُقال: لا دواء لنوب الدهر إلَّا بالصبر. ونُوَبُ الدهر كثيرة.. وقد أجاد مَنْ قال:

وإن امرئ قد جرَّبَ الدهر لم يخفْ تقلب عصريْه لغيْرُ لبيبِ
وما الدهر والأيام إلا كما ترى رَزِيَّة مالٍ أو فراقُ حبيبِ

فإذا ما شعر المرء بضيق في الرزق فلا يضجر، وعليه أن يسعي في أرض الله الواسعة، عملًا بقول الحق سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

اصْبِرْ عَلى الدَّهْرِ لا تَغضَبْ عَلى أَحَدٍ فَلا تَرى غَيرَ ما في اللَّوحِ مَخطُوط
وَلا تُقِيمَنْ بِدَارٍ لَا انْتِفَاعَ بِها فَالأَرضُ واسِعَةٌ وَالرِزقُ مَبسوطُ

قافية الظاء:

متي يكون النوم خيرًا من اليقظة؟ (الرجز)

في القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:١٨]

ويقول رسول الله ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقُلْ خيرًا أو ليصمتْ[2]».

(١) نؤم: نقصد ونتقدم.. النمط: الطريقة والأسلوب، وكذا الجماعة من الناس أمرهم واحد.

(٢) رواه مسلم في صحيحه كتاب «اللقطة» باب «الضيافة ونحوها».

فعلي العاقل أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلام تظهر المصلحة فيه، ومتى استوي الكلام وتركه في المصلحة فالأوْلي الإمساك عنه، لأنه قد يجر الكلام المباح إلي ما هو غير مباح، وهذا كثير وغالب في العادة، والسلامة لا يعادلها شيء.

ومما ينسب إلي الإمام قوله: إذا تم العقل نقص الكلام.

وقال أعرابي: رُبَّ منطق صدع جمعًا، وسكوتٍ شَعَبَ صدعًا[1].

ومما أوصي به لقمان ولَده: يا بني، إذا افتخر الناس بحسن كلامهم، فافتخر أنت بحسن صمتك. ولذا يري الإمام،رضي الله عنه، أن النوم خير من يقظة يكثر فيها اللغط والأفعال المستقبحة.. فيقول ، رضي الله عنه:

نَـوْمُ امْـرِئٍ خَـيْرٌ لَـهُ مِـن يَـقْـظَـهْ لَـمْ يُـرْضِ فِيهَا الكَاتِبِينِ الحَفَظَهْ

وَفي صُرُوفِ الدَّهْرِ للمَرْءِ عِظَهْ[2]

قافية العين:

العقل عقلان (الهزج)

قالوا: العقل نوعان: مطبوع ومسموع.. فالمطبوع منهما كالأرض، والمسموع كالبذر والسماء، ولا سبيل للعقل المطبوع أن يخلص له عمل محصول دون أن يرد عليه العقل المسموع، فينبهه من رقدته، ويطلقه من مكامنه.. فالعقل الطبيعي من باطن الإنسان بموضع عروق الشجرة من الأرض، والعقل المسموع من ظاهره كتدلي ثمرة الشجرة من فروعها..

يقول الإمام، رضي الله عنه[3]:

رَأَيْـتُ الـعَـقْـلَ عَـقْـلَـيْـنِ فَـمَـطْـبُـوعٌ وَمَـسْـمُـوعُ

وَلا يَـنْـفَـعُ مَـسْـمُـوعٌ إذا لَـمْ يَـكُ مَـطْـبُـوعُ

كَـمَـا لَا تَـنْـفَـعُ الـشَّـمْـسُ وَضَـوْءُ الـعَـيْـنِ مَـمْـنُـوعُ

الأخوة الصادقة (الرجز)

قيل لابن السماك: أي الإخوان أحقُّ ببقاء المودة؟

فقال : الوافر دينُه، الوافي عقله، الذي لا يملُّك على القُرْب، ولا ينساك على البُعْد، وإذا

(١) الصدع : الشق.. والشعب : الإصلاح، يُقال : شعب الصدع : لمّه وأصلحه، وهو من الأضداد.

(٢) صروف الدهر : نوائبه.

(٣) أورد هذه الأبيات الإمام الغزالي في الإحياء، الباب السابع في العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه ونسبها للإمام علي، ونسبها غيره لمحمد بن إسحاق بن حبيب الوسطي: وذكرها الماوردي في «أدب الدنيا والدين» بلا عزو.

دنوْت منه داناك، وإن بعدت عنه راعاك، وإن استعنت به عضدك، وإن احْتجْت إليه رَفَدك[1]، وتكون مودّة فعله أكثر من مودَّة قوله. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

إنَّ أَخَاكَ الصّدْقَ مَن كانَ مَعَك ... وَمَن يَضرُّ نَفسَهُ لِيَنفَعَك
وَمَن إذا رَيْبُ الزَمانِ صَدَعَكْ ... شَتَّتَ فيكَ شَملَهُ لِيَجمَعَك[2]

وقريب من ذلك قول القائل:

وليس أخي مَنْ ودَّني بلسانه ... ولكن أخي من ودَّني وهو غائب
ومَنْ مالُه لي إذا كنت مُعْدِما ... ومالي له إن أعْوزَتْه النوائب

القناعة والتقوي (الوافر)

أوصي سعد بن أبي وقاص ابنه فقال[3]: يا بني إذا طلبت الغني فاطلبه في القناعة، فإنها مال لا ينفد، وإياك والطمع فإنه فقر حاضر، وعليك باليأس فإنك لم تيأس من شيء إلا أغناك الله عنه. وأنشد المبرد:

إنْ ضنَّ زيْدٌ بما في بطن راحَته ... فالأرض واسعةٌ والرزق مبسوط
إن الذي قدَّر الأشياء بحكمته ... لم ينْسَني قاعدًا والرحل محْطوط

وصدق من قال:

إن القناعة مَنْ يحلل بساحتها ... لم يلْقَ في ظلِّها همًّا يؤرِّقه

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَفادَتني القَناعَةُ كُلَّ عِزٍّ ... وَهَل عِزٌّ أَعَزُّ مِنَ القَناعَهْ
فَصَيِّرها لِنَفسِكَ رَأسَ مالٍ ... وَصَيِّر بَعدَها التَّقوى بِضَاعَهْ
تَحُز رِبْحًا وَتَغْنَي عَن بَخيلٍ ... وَتَنعَمْ في الجِنانِ بِصَبرِ ساعَهْ!

فعليك بالقناعة.. الزمها تعش عزيزًا.. وقد أحسن من قال:

وإن القناعة كنز الغني ... فصرتُ بأذْيالها متمسك
فلا ذا يراني على بابه ... ولا ذا يراني له منْهَمك
فصرتُ غنيًّا بلا دِرْهمٍ ... أمُرُّ على الناسِ شبه الملك

(١) رفَدك: أعانك وأعطاك.
(٢) الريْب: صَرْف الدهر، وريب المنون: حوادث الدهر.. وذكر الأبشيهي هذين البيتين في كتاب «المستطرف» ولم يعزهما للإمام علي.
(٣) انظر المستطرف في كل فن مستظرف، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٨٦.

العبد.. والحر (الكامل)

صنفان من الناس يحدثنا عنهما الإمام: صنف جعل تحصيل شهواته ونزواته جلَّ همه، فأذل نفسه وأضاع هيبته فعاش بين الناس ذليلًا. وصنف آخر صان نفسه عن السؤال فعاش حرًّا كريمًا قانعًا بما قسم الله.

قال شقيق بن إبراهيم البلخي: قال لي إبراهيم بن أدهم، رحمه الله: أخبرني عما أنت فيه.

قلت: إن رُزِقْتُ أكلتُ، وإن مُنعتُ صبرت.

قال: هكذا تعملُ كلابُ بلخ!!

فقلت: كيف أنت؟

قال: إن رُزقت آثرت، وإن مُنعتُ شكرت.. وقال بعضهم:

هي القناعةُ فالْزمها تعشْ ملكًا ... لو لم يكن منك إلا راحة البدن

وانظر لمن مَلَكَ الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن؟!

يقول الإمام، رضي الله عنه:

وَمِنَ البَلاءِ لِلبلاءِ عَلَامةٌ ... أَنْ لَا يُرى لَكَ عَنْ هَواكَ نُزُوعُ [1]

العَبْدُ عَبْدُ النَّفْس في شَهَوَاتِها ... وَالحُرُّ يَشْبَعُ تارة وَيَجُوعُ

وَكَفَاكَ مِنْ عِبَرِ الحوادِثِ أَنَّهُ ... يَبْلي الجَدِيدُ وَيُحْصَدُ المَزْرُوعُ

وقد أحسن من قال:

إذا ما نازعتك النفسُ حرصًا ... فأمسكها عن الشهوات أمْسِك

ولا تحرص ليوم أنت فيه ... وعُدْ فرِزْقُ يومك رزقُ أمْسك [2]

صاحب الدنيا (الطويل)

يقول الله سبحانه وتعالي: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧]. فوصف الحق سبحانه جميع متاع الدنيا بأنه قليل.. وأنت أيها الإنسان تعلم أنك ما أوتيت من القليل إلا القليل.. ثم إن هذا القليل ما هو إلا لعب ولهو كما قال سبحانه ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].. فلم الحرص على هذا القليل الفاني؟! ألم تعلم أن الآخرة خير وأبقي؟! قال سبحانه: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنبكوت:٦٤].

(١) النزوع: الإقلاع والهجر.. وقد ورد ذكر البيتين الأول والثاني في «تذكرة الخواص» و«أنوار العقول»، ولم يذكرا البيت الثالث.

(٢) هناك جناس حقيقي بين «أمسك» الأولي و«أمسك» الثانية، فالأولي فعل أمر من الإمساك، والثانية اسم، وهو اليوم الذي قبل يومك.

وقيل: إن الدنيا مثلُ ظل الإنسان، إن طلبته فرَّ، وإن تركته تبعك!!

ولو قيل للدنيا: صِفي نفسك، ما عدت ما وصفها به أبو نواس بقوله:

وما النَّاسُ إلا هالكٌ وابنُ هالكٍ ... وذو نسبٍ في الهالكين عريق

إذا امْتحَنَ الدنيا لبيبٌ تكشَّفت ... له عن عدُوٍّ في ثياب صديق

وعن الدنيا ومن يأمن لأحوالها، يقول الإمام، رضي الله عنه:

وَمَنْ يَصْحَبِ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ ... عَلى المَاءِ خَانَتْهُ فُرُوجُ الأَصَابِعِ [1]

التوسط في الحب والبغض (الطويل)

يروي أن أمير المؤمنين عليًّا، رضي الله عنه، سأل كبيرًا من كبراء الفرس: أي شيءٍ لملوككم كان أحمدَ عندكم؟!

قال: كان لأردشير فضل السبق في المملكة، غير أن أحمدَهم سيرة أنوشروان.

قال: فأي أخلاقه كان أغلب عليه؟

قال: الحلم والأناة.

قال الإمام: هما توأمان ينتجهما علوُّ الهمة[2].. ومما ينسب إليه في ذلك قوله:

وَكُنْ مَعْدِنًا لِلحِلْمِ وَاصْفَحْ عَنِ الأَذى ... فَإِنَّكَ لاقٍ مَا عَمِلْتَ وَسَامِعُ[3]

أَحِبَّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مُقَارِبًا ... فَإِنَّكَ لا تَدري مَتَى أَنْتَ نَازِعُ![4]

وَأَبْغِضْ إذا أَبْغَضْتَ بُغْضًا مُقَارِبًا ... فإنَّك لا تَدري مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ[5]

طبائع البشر (مجزوء الكامل)

الفضل هو الإحسان ابتداءً بلا علَّة، وهو من شيم الكرام. يقول الله سبحانه ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ﴾ [النور:٢٢]. والمن هو المفاخرة بالعطاء، وهو أذي حذر منه الله سبحانه وتعالي في القرآن الكريم، حيث يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم

(١) ذكر هذا البيت سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» وذكر قبله: ومن المنسوب إليه في ذم الدنيا.. وذكره الأبشيهي في المستطرف ضمن حكاية عن المأمون، ولم ينسب للإمام علي.. راجع المستطرف ص ٥٧٥.

(٢) العقد الفريد ٢/ ١٤٣.

(٣) في العقد الفريد «فإنك راء».

(٤) نازع: مفارق.

(٥) في العقد الفريد: «وأبغضْ إذا أبغضت غير مباين».

بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿ [البقرة:٢٦٤] هذا ما يعنيه الإمام في الأبيات التالية، ثم هو يذكرنا بالخير ويوصينا به، والشر ويحذرنا منه.. ثم يحثنا الإمام على ضرورة تعاهد الصديق، ويحذر من قطيعته.. وكذا تجنب الوقيعة بين الناس فهذا من شيم اللئام.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

الفَضْلُ مِنْ كَرَمِ الطَّبِيعَهْ ... وَالمَنُّ مَفْسَدَةُ الصَّنِيعَهْ
وَالخَيرُ أَمْنَعُ جَانِبًا ... مِنْ قِمَّةِ الجَبَلِ المَنِيْعَهْ
والشَّرُّ أَسْرَعُ جِرْيَةً ... مِنْ جَرْيَةِ المَاءِ السَّرِيعَهْ
تَرْكُ التَّعَاهُدِ لِلصَّدِيـ ... ـقِ يكونُ داعيةَ القَطِيعَهْ
لَا تَلْتَطِخْ بِوَقِيعَةٍ ... فِي النَّاسِ تَلْطَخُكَ الوَقِيعَهْ
إِنَّ التَّخَلُّقَ لَيْسَ يَمْـ ... ـكُثُ أَنْ يَؤُولَ إِلَى الطَّبِيعَهْ
جُبِلَ الأَنَامُ مِنَ العِبَا ... دِ عَلَى الشَّرِيفَةِ وَالوَضِيعَهْ

لا تضع المعروف في ساقط (السريع)

يقول رسول الله ﷺ: «لا تصاحب إلا مُؤمنًا، ولا يأكلْ طعامَك إلَّا تقي»[1].

ومما ينسب إلى الإمام عليٍّ، رضي الله عنه قوله:

لَا تَضَعِ المَعرُوفَ فِي سَاقِطٍ ... فَذَاكَ صُنْعٌ سَاقِطٌ ضَائِعُ[2]
وَضَعْهُ فِي حُرٍّ كَرِيمٍ يَكُنْ ... عُرْفُكَ مِسْكًا عَرْفُهُ ضَائِعُ[3]

ولله درّ القائل:

ومَنْ يصنعْ المعروفَ في غير أهله ... يُجازي كما جوزي مُجير أم عامر

(١) حديث حسن رواه أحمد والترمذي وأبو داود.
(٢) ضائع: مفقود ومهمل، فعلها: ضاع يضيع.
(٣) العُرْف: المعروف والإحسان.. العَرف: الرائحة مطلقًا، وأكثر ما يستعمل في الطيِّبة منه.. يُقال: ضاعت (يضوع) الرائحة: طابت وفاحت.

اصبر ثقة بالله (البسيط)

يتحسر الإمام على ما صار إليه حال الناس من ضياع الوفاء بينهم.. آه .. تري ماذا كان سيقول الإمام لو كان حيًّا بيننا الآن ؟ ورأي ما أصبح عليه الناس من تباغض وتحاسد وتضاغن؟ ثم يدعو الإمام إلي الصبر ثقة بما عند الله، فيقول، رضي الله عنه:

مَـاتَ الـوَفَـاءُ فَـلا رِفْـدٌ وَلَا طَمَعُ ... فِي النَّاسِ لَمْ يَبْقَ إِلَّا اليَأْسُ والجَزَعُ [1]

فَـاصْبِـرْ عَلى ثِـقَـةٍ باللهِ وَارْضَ بِهِ ... فَـالـلـهُ أَكْـرَمُ مَـنْ يُـرْجَـى وَيُـتَّـبَـعُ

وقريب منه قول القائل [2]:

توكَّلْ على الرحمن في الأمر كلِّه ... فما خاب حقًّا مَنْ عليه توكَّلا

وكُنْ واثقًا بالله واصبر لحكمه ... تفُزْ بالذي ترجوه منه تفضلا

اصبر ولا تجزع (البسيط)

ذكر الله سبحانه وتعالي الصبر في أكثر من تسعين آية، وذلك لعظم شأنه، وأمر به نبيه ﷺ في قوله سبحانه: ﴿ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [الأحقاف:٣٥]. فمن هداه الله بنوره وتوفيقه ألهمه الصبر في مواطن طلباته، والتثبت في حركاته وسكناته.. وكثيرًا ما أدرك الصابر مرامه أو كاد، وفات المتعجل غرضه أو كاد. وقد قيل : الصبر ستر الكروب، وعَوْنٌ على الخطوب [3].. ومما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، قوله: الصبرُ مطيَّةٌ لا تُدْبر، وسيف لا يكل.. وقال أيضًا:

لَا تَـجْـزَعَـنَّ إِذَا نَـابَـتْـكَ نَـائِـبَـةٌ ... وَاصْبِرْ فَفِي الصَّبْرِ عِنْدَ الضِّيقِ مُتَّسَعُ

إِنَّ الـكَـرِيـمَ إِذَا نَـابَـتْـهُ نَـائِـبَـةٌ ... لَـمْ يَبْدُ مِنْهُ على عِـلَّاتِـهِ الهَلَعُ [4]

وما أحسن قول القائل [5]:

ما أحسَنَ الصبرَ في الدُّنيا وَأَجْمَلَه ... عـنـد الإلـه وأنـجـاه مـن الـجـزَع

مـن شـدَّ بالصبر كفًّا عند مُؤْلمةٍ ... ألْـوتْ يـداه بـحـبلٍ غـير منقطع

---

(١) الرفد: العطاء والصلة، وفي القرآن الكريم: ﴿ وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ ﴾ [هود:٩٩] بئس العطاء المعطي.

(٢) المستطرف في كل فن مستظرف ص٨٨. إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

(٣) المصدر السابق ص٢٤٩.

(٤) الهلع: الجزع الشديد.

(٥) راجع المصدر السابق.

دع الحرص على الدنيا (الهزج)

الدنيا فانية، متاعها قليل، يقول الله سبحانه وتعالي: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء:٧٧].

ويقول ابن عياض: لو كانت الدنيا ذهبًا يفني، والآخرة خزفًا يبقي، لوجب علينا أن نختار ما يبقي على ما يفنى.

ثم تأمل أيها العاقل: هل أتاك الله من الدنيا مثل ما أوتي سليمان، عليه السلام، حيث ملكه الله تعالي جميع الدنيا، من إنس وجن، وسخر له الريح والطير والوحوش، ثم زاده الله تعالي أحسن منها حيث قال: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص:٣٩] فوالله ما عدَّها نعمةً مثل ما عددتموها، ولا حسبها رفعةً مثل ما حسبتموها، بل خاف أن يكون استدراجًا من حيث لا يعلم، فقال: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِيٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠]،، وهو فصل الخطاب لمن تدبر هذا[1]. وإذا كان هذا هو حال الدنيا.. فلم الحرص على جمع المال وأنت حتما مفارقه؟!

وذي حرصٍ تراه يلمّ وفرا ... لوارثه ويدفع عن حماه
ككلب الصيد يمسكُ وهو طاوٍ[2] ... فريستَه ليأكلها سواه

ثم لماذا الهرولة وجمع المال من حلاله وحرامه، مع أن الرزق مقسوم قد ضمنه الله تعالي، فالعاقل من يوقن أن الغني كله في القناعة، وأن الفقر كله في الطمع، وصدق رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَضِ، ولكن الغنى غنى النفس»[3]. يقول الإمام، رضي الله عنه:

دَعِ الحِرْصَ على الدُّنْيَا ... وَفي العَيْشِ فَلا تَطْمَعْ
وَلا تَجْمَعْ مِنَ المَالِ ... فَلاَ تَدْرِي لِمَنْ تَجْمَعْ
وَلا تَدْرِي أفي أرْضِـ ... ـكَ أمْ في غَيْرِها تُصْرَعْ[4]
فإنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ ... وَسوءُ الظَّنِّ لا يَنْفَعْ
فَقيرٌ كُلُّ مَنْ يَطْمَعْ ... غَنِيٌّ كُلُّ مَنْ يَقْنَعْ!

(١) المستطرف للأبشيهي ص ٥٧٢، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.
(٢) طاو: جائع.
(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب الغنى غنى النفس، ومسلم في الزكاة ٢/ ٧٢٦.. والعرض هو المال.
(٤) وصدق الله العظيم: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان:٣٤].

لك الحمد (المتقارب)

الحمد هو الثناء بالجميل.. وبه أمرنا الله سبحانه وتعالى في كثير من آيات القرآن الكريم، يقول سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النمل:٥٩]، ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾ [الإسراء:١١١] .. وقد استهل الله سبحانه وتعالى القرآن الكريم بالحمد فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة:٢] وسأل عمر بن الخطاب الإمام عليًّا رضي الله عنهما: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، قد عرفناها، فما الحمد لله؟ فقال الإمام: كلمة أحبَّها الله تعالى لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحبَّ أن تُقال[1]. يقول الإمام، رضي الله عنه:

لَكَ الْحَمْدُ إِمَّا عَلَى نِعْمَةٍ ... وَإِمَّا عَلَى نِقْمَةٍ تُدْفَعُ
تَشَاءُ فَتَفْعَلُ مَا شِئْتَهُ ... وَتَسْمَعُ مِنْ حَيْثُ لَا يُسْمَعُ

سعيي لوجه الله (الطويل)

كان رسول الله ﷺ أحبَّ الناس إلي قلب الإمام عليٍّ، رضي الله عنه.. ولم لا؟

فرسول الله ﷺ ابن عمه، الذي تكفل برعايته، وكان على يديه هدايته، فكان من السابقين للإسلام، ثم هو بعد ذلك والد زوجته، فاطمة الزهراء، رضي الله عنها. وتروي كتب السير كيف جعل الإمام حياته فداءً لرسول الله ﷺ ليلة الهجرة، حين نام في فراشه ﷺ حتى خرج سالمًا من مكة في طريقه إلي المدينة.. ويروي بعضها أن الإمام، رضي الله عنه، كان قد نام قبل ذلك في فراش النبي ﷺ وهو بالشِّعب، وقد أوصاه أبوه، أبو طالب، بالصبر.. فقال الإمام لأبيه:

أَتَأْمُرُنِي بالصَّبْرِ في نَصْرِ أحمد ... فوالله ما قلتُ الذي قلتُ جَازِعا
ولكنَّني أَحْبَبْتُ أنْ ترى نُصْرَتي ... لِتعْلَمَ أَنِّي لم أَزَلْ لكَ طائعا
وسعيي لوجهِ اللهِ في نصْرِ أحمد ... نبيِّ الهدى المَحْمودِ طفلًا ويافِعا[2]

مداراة العدى (الطويل)

قال لقمان لابنه: استعذ بالله من شرار الناس، وكُن من خيارهم على حذر!!

وقيل لإبراهيم بن أدهم: لِمَ تجتنب الناس؟ فأنشأ يقول:

ارْضَ بالله صاحبًا ... وذَرْ الناس جانبا
قلِّب الناسَ كيف شئت ... تجدهم عقاربا

(١) تفسير ابن كثير عند تفسير سورة الفاتحة.

(٢) اليافع: من شارف الاحتلام، وهو دون المراهق.

وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

وَدَاوِ عَدُوًّا داءه لا تُدَارِه ... فَإِنَّ مُدَاراةَ العِدَى لَيْسَ تَنْفَعُ
فَإِنَّكَ لَوْ دَارَيْتَ عَامَيْنِ عَقْرَبًا ... وَقَدْ مُكِّنَتْ يَومًا مِنَ الدَّهْرِ تَلْسَعُ

ذنوبي كثيرة!! (الطويل)

يقول الله تعالى ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] ويقول سبحانه: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقال رسول ﷺ: «لما خلق الله الخلْق، كتب في كتاب، فهو عنده فوق العرش: إن رحمتي سبقت غضبي»[1]. والإمام علي، رضي الله عنه، يعترفُ بذنوبه، ويطمع في رحمه ربه، لأنه يعلم أن الله سبحانه، أرحم الراحمين، فيقول:

ذُنوبي إِن فَكَّرتُ فيها كَثيرَةٌ ... وَرَحمَةُ رَبّي مِن ذُنوبي أَوسَعُ
فَما طَمَعي في صالِحٍ قَد عَمِلْتُهُ ... وَلَكِنَّني في رَحمَةِ اللَهِ أَطمَعُ
فَإِن يَكُ غُفرانٌ فَذاكَ بِرَحمَةٍ ... وَإِن لَم يَكُن أُجزَى بِما كُنتُ أَصنَعُ
مَليكي وَمَولاي وَرَبّي وَحافِظي ... وَإِنّي لَهُ عَبدٌ أَقِرُّ وَأَخضَعُ

يكفيك من شرٍّ سماعه (مجزوء الكامل)

عجيب أمر هذه الدنيا... وأعجب منه أمر مَنْ يركن إليها إذا ما أقبلت ، جاهلًا حالها.. فإقبالها إلي إدبار.. ووصلها إلي انقطاع .. واجتماعها إلي تفرق.. والتئامها إلى انصداع، يقول الإمام، رضي الله عنه، واصفًا حال الدنيا:

قَصرُ الجَديدِ إِلى بِلى ... وَالوَصلُ في الدُّنيا انقِطاعُهْ
أَيُّ اجتِماعٍ لَم يَصِرْ ... لِتَشَتُّتٍ مِنهُ اجتِماعُهْ؟!
أَم أَيُّ شَعبٍ لالتِئا ... مٍ لَم يُفَرِّقهُ انصِداعُهْ؟!
أَمْ أَيُّ مُنتَفِعٍ بِشَيءٍ ... ثَمَّ تَمَّ لَهُ انتِفاعُهْ؟!
يا بُؤسَ لِلدَّهرِ الَّذي ... ما زالَ مُختَلِفًا طِباعُهْ
قَد قيلَ في أَمثالِهِم ... «يَكفيكَ مِنْ شَرٍّ سَماعُهْ»

[1] رواه الشيخان: البخاري في التوحيد، حديث رقم ٧٤٢٢، ومسلم في التوبة ٤/ ٢١٠٨.

إلهي (الطويل)

في مناجاة لله عز وجل، يقول الإمام، رضي الله عنه:

لَكَ الحَمْدُ يَا ذَا الجُودِ وَالمَجْدِ وَالعُلَى ... تَبارَكْتَ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمنَعُ

إلهي وخَالقي وَحِرْزِي وَمَوْئِلي إلَيكَ ... لَدَى الإعْسَارِ واليُسْرِ أَفْزَعُ (١)

إلهي لَئِنْ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتي ... فَعَفْوُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ (٢)

إلهي لَئِنْ أَعْطَيْت نَفْسِي سُؤْلَهَا ... فَهَا أَنَا في أَرْضِ النَّدامَةِ أَرْتَعُ

إلهي تَرى حَالي وَفَقْرِي وَفَاقَتي ... وَأَنْتَ مُنَاجَاتي الخَفِيَّةَ تَسْمَعُ (٣)

إلهي فَلا تَقْطَعْ رَجَائي وَلا تُزِغْ ... فُؤَادِي فَلِي في سَيبِ جُودِكَ مَطْمَعُ (٤)

إلهي لَئِنْ خَيَّبْتَنِي أَوْ طَرَدْتَني ... فَمَنْ ذَا الَّذي أَرْجُو وَمَنْ لِي يَشْفَعُ؟!

إلهي أَجِرْنِي مِنْ عَذَابِكَ إنَّني ... أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ

إلهي فَآنِسْنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتي ... إذَا كَانَ لي في القَبْرِ مَثْوِي ومَضْجَعُ

إلهي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ ... فَحَبلُ رَجَائي مِنْكَ لا يَتَقَطَّعُ (٥)

إلهي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لا ... بَنُونٌ ولا مَالٌ هُنالِكَ يَنْفَعُ

إلهي إذا لَمْ تَرْعَنِي كُنْتُ ضَائِعًا ... وإنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أُضَيَّعُ

إلهي إذَا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيرِ مُحْسِنٍ ... فَمَنْ لِمُسِيءٍ بالهوى يَتَمَتَّعُ؟!

إلهي لَئِنْ فَرَّطْتُ في طَلَبِ التُّقَى ... فَهَا أَنَا إثْرَ العَفْوِ أَقْفُو وَأَتْبَعُ!

إلهي لَئِنْ أَخْطَأْتُ جَهْلاً فَطَالَما ... رَجَوْتُكَ حَتَّى قِيلَ: هَا هُوَ يَجْزَعُ

إلهي ذُنُوبي جَازَتِ الطَّوْدَ وَاعْتَلَتْ ... وَصَفْحُكَ عَنْ ذَنْبِي أَجَلُّ وأَرْفَعُ (٦)

إلهي يُنَجِّي ذِكْرُ طَوْلِكَ لَوْعَتِي ... وَذِكْرُ الخَطَايا العَيْنُ مِنِّي تَدْمَعُ (٧)

إلهي أَنِلْنِي مِنْكَ رَوْحًا وَرَحْمَةً ... فَلَسْتُ سوى أَبْوَابِ فَضْلِكَ أَقْرَعُ (٨)

إلهي لَئِنْ أَقْصَيْتَنِي أَوْ طَرَدْتَنِي ... فَمَا حِيلَتي يا ربُّ أَمْ كَيفَ أَصْنَعُ؟

---

(١) الحرز: الملاذ والحصن.. الموئل: المرجع.
(٢) جمَّت: تكاثرت وتجمعت.
(٣) الفاقة: الحاجة والفقر
(٤) السَّيب: العطاء والمعروف.
(٥) الحجة: السنة والجمع حجج، وفي القرآن الكريم ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ ﴾ [القصص: ٢٧].
(٦) الطود: الجبل العظيم الشاهق، وفي القرآن الكريم ﴿ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الشعراء:٦٣].
(٧) الطوْل: الفضل والغنى واليسر، وفي القرآن الكريم، ﴿ وَمَن لَّمۡ يَسۡتَطِعۡ مِنكُمۡ طَوۡلًا أَن يَنكِحَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنِكُم ﴾ [النساء:٢٥].. اللوعة: حرقة في القلب، وألم يجده الإنسان من حب أو همّ أو حزن أو نحو ذلك.
(٨) الرَّوْح: الراحة والرحمة.

إلهي حَليفُ الحُبِّ باللَّيلِ ساهِرٌ ... يُنادي وَيَدْعُو وَالمُغَفَّلُ يَهْجَعُ؟
وَكُلُّهُمُ يَرْجُو نَوالَكَ راجِيًا ... لِرَحْمَتِكَ العُظْمَى وَفي الخُلْدِ يَطْمَعُ
إلهي يُمَنِّيني رَجائي سَلامَةً ... وَقُبْحُ خَطيئاتي عَلَيَّ يُشَيِّعُ
إلهي فَإنْ تَعْفُ فَعَفْوُكَ مُنْقِذي ... وَإلَّا فَبالذَّنْبِ المُدَمِّرِ أُصْرَعُ
إلهي بِحَقِّ الهاشِمِيِّ وَآلِهِ ... وَحُرْمَةِ إبْراهيمَ خِلِّكَ أَضْرَعُ
إلهيَ فَأَنْشُرْني على دِيْنِ أَحْمَدٍ ... تَقِيًّا نَقِيًّا قانِتًا لَكَ أَخْشَعُ
وَلا تَحْرِمَنِّي يا إلهي وَسَيِّدي ... شَفاعَتَهُ الكُبْرَى فَذاكَ المُشَفَّعُ
وَصَلِّ عَلَيهِ ما دَعاكَ مُوَحِّدٌ ... وَناجاكَ أَخْيارٌ بِبابِكَ رُكَّعُ!

وصايا غالية (الكامل)

هذه مجموعة من الوصايا، التي تجمع للمرء دينه ودنياه، يسديها الإمام، مذكرًا وناصحًا بها.. عملا بقول الله تعالي: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات:٥٥]. وبقول الرسول ﷺ: «الدين النصيحة...»[١] الحديث.. يقول الإمام، رضي الله عنه في وصاياه:

قَدِّم لِنَفْسِكَ في الحَياةِ تَزَوُّدًا ... فَلَقَدْ تُفارِقُها وَأَنْتَ مُوَدِّعُ
وَاهْتَمَّ لِلسَّفَرِ القَريبِ فَإنَّهُ ... أَنْأَى مِنَ السَّفَرِ البَعيدِ وَأَشْسَعُ[٢]
وَاجْعَل تَزَوُّدَكَ المَخافَةَ وَالتُّقَى ... وَكَأَنَّ حَتْفَكَ مِنْ مَسائِكَ أَسْرَعُ[٣]
وَاقْنَعْ بِقُوتِكَ فالقَناعُ هُوَ الغِنَى ... وَالفَقْرُ مَقْرُونٌ بِمَنْ لا يَقْنَعُ
وَاحْذَرْ مُصاحَبَةَ اللِّئامِ فإنَّهُمْ ... مَنْعُوكَ صَفْوَ وِدادِهِمْ وَتَصَنَّعُوا
أَهْلُ التَّصَنُّعِ ما أَنالَتْهُمُ الرِّضَى ... وَإذا مَنَعْتَ فَسُمُّهم لَكَ مُنْقَعُ[٤]
لا تُفْشِ سِرًّا ما اسْتَطَعْتَ إلى امْرِىءٍ ... يُفْشي إلَيْكَ سَرائِرَ تُسْتَوْدَعُ
فَكَما تَراهُ بِسِرِّ غَيْرِكَ صانِعًا ... فَكَذا بِسِرِّكَ لا مَحالَةَ يَصْنَعُ

(١) رواه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة.
(٢) أشسع: أبعد
(٣) في بعض المصادر «وكأن صُبحك مسائك أسرع».
(٤) في بعض المصادر «أهل المودة» سُم منقوع: عتيق شديد الفتك.

لا تَبْدَأَنَّ بِمَنْطِقٍ فِي مَجْلِسٍ ... قَبْلَ السُّؤَالِ فَإِنَّ ذَاكَ يَشْنَعُ
فَالصَّمْتُ يُحْسِنُ كُلَّ ظَنٍّ بِالفَتَى ... وَلَعَلَّهُ خَرِقٌ سَفِيهٌ أَرْقَعُ (١)
وَدَعِ المُزَاحَ فَرُبَّ لَفْظَةِ مَازِحٍ ... جَلَبَتْ إليكَ مَسَاوِئًا لا تُدْفَعُ (٢)
واحْفَظْ لِجَارِكَ لا تُضِعْهُ فإنَّهُ ... لاَ يَبْلُغُ الشَّرَفَ الجَسِيمَ مُضَيِّعُ
وإذا استقالكَ ذو الإساءة عَثْرَةً ... فَأَقِلْهُ، إنَّ ثَوابَ ذلكَ أوسَعُ (٣)
وَإِذَا ائْتُمِنْتَ عَلَى السَّرائِرِ فَاخْفِهَا ... وَاسْتُرْ عُيُوبَ أَخِيكَ حِينَ تَطَّلِعُ
لا تَجْزَعَنَّ مِنَ الحَوَادِثِ إِنَّما ... خُرقُ الرِّجَالِ مِنَ الحَوَادِثِ يَجْزَعُ
وَأَطِعْ أَبَاكَ بِكُلِّ مَا أَوْصَى بِهِ ... إِنَّ المُطِيعَ أَبَاهُ لَا يَتَضَعْضَعُ (٤)

تجنب صغار الذنوب!! (الكامل)

وفي هذين البيتين مزيد من الوصايا!

تجوّعْ فإنَّ الجُوع من عملِ التُّقي ... وإنَّ طويلَ الجوع يومًا سَيَشْبَعُ
وجانبْ صغارَ الذَّنْبِ لا تركبَنَّها ... فإنَّ صِغارَ الذنبِ يَومًا سَتُجْمَعُ

تواضع (الطويل)

يقول رسول الله ﷺ: «وما تواضع أحَدٌ لله إلَّا رفعه»(٥). ولذا قيل: التواضعُ سُلَّم الشرف. في المقابل هناك الكبر والإعجاب .. يقول الأحنف بن قيس: ما تكبَّر أحدٌ إلا من ذِلَّة يجدها في نفسه. يقول الشاعر:

قولا لأحْمق يلْوي التِّيهُ أخدعه ... لو كُنت تعلَمُ ما في التيه لم تته (٦)

(١) الخرق والسفيه والأرقع: متقاربة في المعني ويشملها الحمق والسماجة.
(٢) في بعض المصادر جاء بعد هذا البيت، البيت التالي:
والضَّيفَ أكْرِمْه تجدْه مُخبرًا ... عمَّن بجودُ ومَنْ يَضِنُّ ويمنع
وسيأتي ذلك في النص التالي.
(٣) في بعض المصادر «إن ثواب ربك أوسع».
(٤) لا يتضعضع: لا يُذل.
(٥) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٠٠١، والترمذي حديث رقم ٢٠٢٩.
(٦) التيه: التكبر.. لم تته: لم تتكبر.

البيتُ مفسدةٌ للدين منقصةٌ للعقل مهلكة للعرض فانتبه!!

وقيل: لا يتكبر إلَّا كل وضيع، ولا يتواضع إلَّا كل رفيع.. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

تَواضَعْ تَكُنْ كالنَّجْم لاَحَ لِناظِر على صفحات الماءِ وَهُوَ رَفِيعُ
ولا تَكُ كالدُّخَانِ يَرْفَعُ نَفْسَهُ إلى طبقاتِ الجَوِّ وَهُوَ وَضِيعُ

قافية الفين:

الدنيا سراب (الطويل)

في القرآن الكريم يقول الله عز وجل: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف:٤٥] فالدنيا شأنها حقير، حذَّر الرسول ﷺ من الاشتغال بها، فقال: «لا تتَّخذوا الضيْعةَ فترغبوا في الدنيا»[2]. وقال ﷺ: «لو كانت الدنيا تعدلُ عند الله جناح بعوضة، ما سقي كافرًا منها شربة ماء»[3]. وفي مثال صادق وواضح وصريح، يصور الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، حال الدنيا مع من اشتغل بها فيقول:

أرَى المرْءَ والدنيا كمالٍ وحاسبٍ يضُمُّ عليه الكفَّ والكَفُّ فارغهْ

فما الإنسان والدنيا إلا كمن يحسب مالًا ثم يضم كفَّه، والكفُّ فارغ، فإذا فتح كفه ماذا سجد؟ لا يجد شيئًا، هكذا الدنيا.. إنها سراب!!

قافية الفاء:

إجلاء بني النضير (المتقارب)

ما إن انتهت معركة أحد حتى كشفت قبيلة بني النضير اليهودية عن حقدها الدفين للمسلمين، ونقضوا عهدهم مع رسول الله ﷺ، بل إنهم تآمروا لقتله ﷺ، ولذا حاصرهم الرسول ﷺ، حتى استسلموا، فصالحهم الرسول ﷺ على أن يخرجوا من المدينة إلي خيبر مخلفين وراءهم مغانم كثيرة من عتاد وسلاح.

(١) لم يرد هذان البيتان في كثير مما هو متداول من شعر الإمام، وذكرهما قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».

(٢) رواه الترمذي: قال: حديث حسن.. والضيعة: ما يكون من معاش الرجل من مال وحرفه وصناعة، أي لا تشغلكم هذه الأشياء من أمور الدنيا عن أمور الآخرة.

(٣) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

قال ابن إسحاق في السيرة: وقال على بن أبي طالب يذكر إجلاء بنى النضير وقتل كعب ابن الأشراف[1]:

عَرَفتُ وَمَن يَعتَدِل يَعرِفِ ... وَأَيقَنتُ حَقًّا فَلَم أَصدِفِ[2]

عَنِ الكَلمِ الصِّدقِ يأتي بها ... مِنَ اللَّهِ ذي الرَأفَةِ الأَرأَفِ

رَسائِلُ تُدرَسُ في المُؤمِنينَ ... بِهِنَّ اصطَفى أَحمَدَ المُصطَفى

فَأَصبَحَ أَحمَدُ فينا عَزيزًا ... عَزيزَ المَقامَةِ وَالموقِفِ[3]

فَيا أَيُّها الموعِدوهُ سَفاهًا ... وَلَم يَأتِ جَورًا وَلَم يَعنُفِ[4]

أَلَستُم تَخافونَ أَمرَ العَذابِ ... وَما آمِنُ اللَهَ كَالأَخوَفِ[5]

وَأَن تُصرَعوا تَحتَ أَسيافِنا ... كَمَصرَعِ كَعبِ أَبي الأَشرَفِ

غَداةَ تَراءى لِطُغيانِهِ ... وَأَعرَضَ كَالجَمَلِ الأَجنَفِ[6]

فَأَنزَلَ جِبريلَ في قَتلِهِ ... بِوَحيٍ إِلى عَبدِهِ المُلطَفِ

فَدَسَّ الرَسولُ رَسولًا لَهُ ... بِأَبيَضَ ذي ظُبَّةٍ مُرهَفِ[7]

فَباتَت عُيونٌ لَهُ مُعوِلا ... تِ مَتى يُنعَ كَعبٌ لَها تَذرِفِ[8]

فَقالوا لِأَحمَدَ: ذَرنا قَليلا ... فَإِنّا مِنَ النَوحِ لَم نَشتَفِ

فَأَجلاهُمُ ثُمَّ قالَ: اظعَنوا ... دُحورًا عَلى رَغمَةِ الآنِفِ[9]

وَأَجلى النَضيرَ إِلى غُربَةٍ ... وَكانوا بِدارَةِ ذي زُخرُفِ

إِلى «أَذرِعاتٍ» رُدافًا هُمُ ... عَلى كُلِّ ذي دَبَرٍ أَعجَفِ[10]

---

(١) قال ابن هشام: قالها «أي هذه الأبيات» رجل من المسلمين غير على بن أبي طالب، فيما ذكر لي بعض أهل العلم بالشعر، ولم أر أحدًا منهم يعرفها لعليٍّ.راجع السيرة النبوية بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد٣/ ١٠١

(٢) لم أصدف: لم أعرض، تقول: صدف فلان عن الحق، إذا أعرض عنه وتركه، ويتعلق بقوله «ولم أصدف» قوله في البيت التالي: «عن الكلم الصدق» وكان هذا أحد عيوب الشعر. [في السيرة النبوية:

عن الكلم المحكم اللاء من ... لدي الله ذي الرأفة الأرأف]

(٣) المقامة : موضع الإقامة.. والموقف: مكان الوقوف.

(٤) الموعدوه : الذين يتوعدونه ويهددونه.. والسفاه، بفتح السين: الضلال. ولم يعنف : لم يأت بالعنف.

(٥) في السيرة، «ألستم تخافون أدني العذاب».

(٦) الأجنف: المائل إلي جهة. وفي السيرة: غداة رأى الله طغيانه.

(٧) الأبيض: المراد به السيف.. الظُبَّة : حد السيف والسنان والخنجر وما أشبهها.. والمرهف: المحدد القاطع.

(٨) مُعولات : باكيات مع ارتفاع الصوت.. يُنع : بالبناء للمجهول : يذكر خبر موته..

(٩) الدحور: الذل والهوان .. الآنف : جمع أنف. وفي السيرة: «فخلاهم».

(١٠) أذرعات، موضع بالشام، وقيل هي مدينة درعا السورية، ردافا: بعضهم رديف بعض، أي راكب خلفه على ركوبته.. على كل ذي دبر: يريد الجمل، والدبر جرح يكون في البعير ، والأعجف: الهزيل الضعيف.

الكوفة (الرجز)

الكوفة مدينة عراقية شهيرة، أسسها سعد بن أبي وقاص، رضي الله عنه، عام ٦٣٨م بعد معركة القادسية، في خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، لتكون قاعدة لجيش المسلمين. وقد اتخذها الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، لتكون عاصمة للدولة إبان خلافته.. قال ابن عبد ربه في العقد الفريد، وكان عليٌّ بن أبي طالب، كرم الله وجهه، إذا سار بأرض الكوفة يرتجز ويقول[١]:

يا حَبَّذَا مُقَامُنَا بالكُوفَهْ [٢] أرْض سَوَاد سَهْلة مَعْرُوفَهْ [٣]
تطْرُقُها جِمَالُنا المَعْلُوفَهْ [٤] عِمي صَبَاحًا واسْلَمِي مَألُوفَهْ [٥]

لا تقنطن (المتقارب)

يقول الله عز وجل في القرآن الكريم: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣]. وقال سبحانه: ﴿قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر:٥٦] فالله عز وجل يغفر الذنوب جميعا لمن تاب منها ورجع عنها، وإن كثرت وكانت مثل زبد البحر. وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَلا صَاحِبَ الذَّنْبِ لَا تَقْنَطَنَّ فَإِنَّ الإلهَ رَؤوفٌ رَؤوفْ
وَلَا تَرْحَلَنَّ بِلا عُدَّةٍ فَإِنَّ الطَّرِيق مَخُوفٌ مَخُوف! [٦]

جزي الله الموت عنا خيرا (الطويل)

كتب الله الموت على جميع الخلائق، قال سبحانه: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران:١٨٥] وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة:٨] وقد جُبل الناس على كراهية الموت، إلا من شاء الله تعالى.. عن عائشة، رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لقاءَ اللهِ أحبَّ اللهُ لقاءَه، وَمَنْ كرِهَ لقاءَ الله كره اللهُ لقاءَه».

(١) انظر العقد الفريد لابن عبد ربه٦/ ١٣٧.
(٢) حبَّذا: أسلوب للمدح .. في العقد الفريد: يا حبذا السير بأرض الكوفة.
(٣) في بعض المصادر: «أرض لنا مألوفة معروفة».
(٤) في العقد الفريد: «تعرفها جمالنا».
(٥) لم يرد في العقد الفريد
(٦) العُدَّة: المراد بها العمل الصالح.

فقلت: يا نبيَّ الله أكراهيةُ الموت؟ فكلُّنا نكره الموت.

فقال: «لَيْسَ كذلك، ولكنَّ المؤمنَ إذا بُشِّرَ برحمة الله ورضوانه وجَنَّته، أحبَّ لقاءَ الله فأحب اللهُ لقاءَه، وإن الكافر إذا بُشِّرَ بعذاب الله وسَخَطه كرِهَ لقاءَ الله وكره الله لقاءَه»(١).

فمن أحب لقاء الله رأي الموت خيرًا، فهو السبيل إلي ذلك. يقول الإمام، رضي الله عنه:

جَزَى اللهُ عَنَّا الموتَ خَيْرًا فإنَّهُ ... أَبَرُّ بِنَا مِنْ كُلِّ شَيءٍ وَأَرْأَفُ

يُعَجِّلُ تَخْلِيصَ النُّفوسِ مِنَ الأذي ... وَيُدْنِي مِنَ الدَّارِ التي هِيَ أَشْرَفُ

أنا راضٍ (المنسرح)

هل يقع في ملك الله إلا ما أراد الله؟ بالطبع لا.. سبحانه وتعالى بيده الأمر وهو على كل شيء قدير.. فلم الجزع ؟وليس من المكتوب بُدٌّ؟

يقول الله عز وجل: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس:١٠٧] والإنسان بحكم بشريته جُبل على العجلة.قال تعالي: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء:١١]، فقد يبدو الأمر في ظاهره شرًّا إلا أن في باطنه خيرًا كثيرًا.. يقول سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ﴾ [النور:١١] ويقول الإمام، رضي الله عنه:

مَا لي عَلي فَوْتِ فائتٍ أَسَفُ ... وَلا تَرَانِي عَلَيْهِ أَلْتَهِفُ

ما قَدَّرَ اللهُ لي فَلَيْسَ لَهُ ... عَني إلي سِوايَ مُنْصَرَفُ

فَالحَمدُ للهِ لا شَرِيكَ لَهُ ... مَا لي قُوَّةٌ وَهَمِّيَ الشَّرَفُ

أَنَا راضٍ بِالعُسْرِ وَاليسرِ فَمَا ... تَدْخُلُنِي ذِلَّةٌ وَلا صَلَفُ (٢)

الدنيا بين الإقبال والإدبار (البسيط)

كان سعيد بن العاص يقول على المنبر: مَنْ رزقه الله رزقًا حسنًا فلْيُنْفق منه سرًّا وجهرًا، حتى يكون أسعد الناس به، فإنما يترك ما يترك لأحد رجلين: إما لمصلح فلا يقل عليه شيء، وإما لمفسد فلا يبقي له شيء.. قال الشاعر:

اسْعد بمالك في الحياة فإنَّما ... يبقي خِلافَك مصلح أو مُفْسِدُ

فإذا جمعت لمفسدٍ لم يُغنِه ... وأخو الصلاحِ قليلُه يتزيَّدُ

(١) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم ٢٦٨٤.

(٢) الصلف: الكبر والغرور.

وقال بُزُرجمهر الفارسي: إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفقْ منها، فإنها لا تفنى.. وإذا أدبرت عنك فأنفق منها فإنها لا تبقي[1]! يقول الإمام، رضي الله عنه:

لا تَبْخَلَنَّ بِدُنْيا وَهي مُقْبِلَةٌ فَلَيْسَ يُنقِصُهَا التَّبْذِيرُ وَالسَّرَفُ
وَإن تَوَلَّتْ فَأَحْري أَنْ تَجُودَ بِهَا فَالجودُ فِيها إذَا مَا أَدْبَرَتْ خَلَف[2]

وقال يحيي البرمكي: أعط من الدنيا وهي مقبلة، فإن ذلك لا ينقصك منها شيئًا.. وأعط منها وهي مُدْبرة فإن منعك لا يبقيَ عليك منها شيئًا.. فكان الحسن بن سهل يتعجب من ذلك ويقول: لله دره، ما أطبعه على الكرم، وأعلمه بالدنيا[3]!!

كم من عليم (البسيط)

سبحانك ربي: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران:٢٦-٢٧] فالعاقل يعلم يقينًا أن طلب الرزق ليس بالاحتيال، وإنما بالسعي وصدق التوكل على الله، وقد أحسن من قال:

ولا تَجْزَعْ إذا أعْسَرْتَ يومًا فقد أيْسرت في الزمَنِ الطويل
ولا تظُنَنَّ بربِّك ظنَّ سوءٍ فإن الله أوْلَى بالجميل
وإن العسر يتبعُه يسارٌ وقول الله أصدقُ كلِّ قيل
فلو أن العقول تسوق رزْقًا لكان المالُ عند ذوي العقولِ

وفي هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه[4]:

كَمْ مِن عَليمٍ قَوي فِي تَقلبِه مُهذَّب اللُبِّ عَنْهُ الرزْقُ مُنْحَرِفُ
ومن ضعيفٍ ضَعِيفُ العَقْلِ مُختلطٌ كَأَنَّهُ من خليجِ البحرِ يَغْتَرِفُ

ورحم الله القائل[5]:

مصائبَ الدهْرِ كُفِّي إن لم تكفِّي فعِفِّي

(١) ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ثم قال: أخذ الشاعر هذا المعني فقال؛ ولم ينسب الأبيات إلي الإمام علي، رضي الله عنه.
(٢) في العقد الفريد «فالحمد منها إذا ما أدبرت»، وفي «أنوار العقول: فالشكر منها» ونسب الأبشيهي في «المستطرف» هذين البيتين إلي يحيي البرمكي.
(٣) راجع المستطرف ص١٩٠، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.
(٤) لم يرد هذان البيتان في معظم ما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول» وذكر محققه أنهما ذكرا في كثير من المصادر بلا عزو.
(٥) المستطرف للأبشيهي ص٥٤٩، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

خـرجـتُ أطـلـبُ رزقـي ... وجـدت رزقـي تُـوفّـي
فـلا بـرزقـي أحـظـي ... ولا بـصـنـعـةِ كَـفّـي
كـم جـاهـلٍ فـي الـثـريّـا ... وعـالـم مـتـخـفـي!

يامن أذنب.. أبشر!! (الكامل)

في القرآن الكريم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٥-١٣٦] ويقول أيضًا: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النحل: ١١٩]. علم الإمام هذه الآيات وما فيها من بشريات لمن تاب وأناب، فقال رضي الله عنه في ذلك[1]:

يا مَـنْ عَـدَى ثم اعْتدي ثم اقْترفْ ... ثـم ارْعَـوي ثـم انتهي ثـم اعْترف
أبـشـرْ بـقـول الـلـه فـي آيـاتـه ... إن يَنْتهوا يُغفرْ لهم مـا قـد سلف

مجالسة الأشراف (الكامل)

العاقل مَنْ يحرص على مصاحبة الأشراف ومجالستهم، فإن الإنسان مَوْسومٌ بسيماء من قارب، ومنسوب إليه أفاعيل من صاحب .. وصدق رسول الله ﷺ حيث يقول: «المرءُ مع مَنْ أحبّ[2]». وهو في ذات الوقت حريص على تجنب مصاحبة ومجالسة أهل السوء والأنذال، ليكون موفور العرض، فلا يُلام بملامة غيره.. وفي هذا يقول الإمام، رضي الله عنه[3]:

مَـنْ جالس الأشـراف شُـرِّف قـدره ... ومَـنْ جالس الأنْـذالَ ليس مُشرَّف
أو مـا تـرى الجلْدَ الحقيرَ مُقبَّلا ... بالثغر لمَّا صـارَ جـلْـدَ المصحف

ولله درّ عدي بن زيد حيث يقول:

عن المرْء لا تسْأل وسل عن قرينه ... فـكـل قـريـن بـالـمـقـارن يقتدي
إذا كنت في قـومٍ فصاحبْ خيارهم ... ولا تـصـحـبْ الأرْدي فـتـرْدَى

(١) لم يرد هذان البيتان ضمن كثير مما هو متداول من أشعار الإمام، وذكرهما الكبدري في «أنوار العقول».
(٢) رواه الشيخان: البخاري في الأدب برقم٦١٦٨، ومسلم في البر والصلة ٢٦٤١.
(٣) لم يرد هذان البيتان في كثير مما هو متداول من أشعار الإمام، وذكرهما الكبدري في «أنوار العقول».

قافية القاف

ليس غير الله من رازق (السريع)

فضل الله عظيم، يرزق من يشاء بغير حساب.. ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ:٢٤].. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴾ [فاطر:٣] فلم الوقوف بباب العباد؟! وقد أحسن من قال:

أيا مالك لا تسأل الناسَ والتمسْ ... بكفَّيْك فضل الله فالله أوْسع
ولو تسأل الناسَ الترابَ لأوْشكوا ... إذا قيل هاتوا أن يملوُّا ويمنعوا

وأنشد الأبشيهي في المستطرف:

توكَّل على الرحمن في الأمْر كلِّه ... فما خاب حقًّا من عليه توكلا
وكُنْ واثقًا بالله واصبر لحكْمه ... تَفُزْ بالذي ترجوه منه تفضلا

وفي هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه:

اغْنَ عَنِ المَخلُوقِ بالخَالِقِ ... وَاغْنَ عَنِ الكَاذِبِ بالصَّادِقِ
وَاسْتَرْزِقِ الرَّحمنَ مِنْ فَضْلِهِ ... فَلَيْسَ غَيْرُ اللهِ مِنْ رَازِقِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ في كَفِّهِ ... فَلَيْسَ بالرَّحْمنِ بالوَاثِقِ
أَوْ ظَنَّ أَنَّ النَّاسَ يُغْنُونَه ... زَلَّتْ بِهِ النَّعْلان مِنْ حَالِقِ [1]

نعم .. ليس غير الله من رازق!!

قيل لراهب [2]: من أين تأكل؟

فأشار إلى فِيه وقال : الذي خلق هذه الرَّحَى يأتيها بالطحين!!

وأنشد الشاعر:

كَسَوتُ جميلَ الصبْر وجْهي فصانَه ... به اللهُ عن غِشيان كلِّ بخيلِ
فما عِشْتُ لم آت البَخيل ولم أقُم ... على بابه يومًا مقامَ ذليلِ
وإنَّ قليلًا يَسْتُر الوجْهَ أن يُرى ... إلى الناس مبذولًا لغير قليل

(١) الحالق : المكان المرتفع المنيف. وذكر هذه الأبيات، مع اختلاف يسير في الألفاظ سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص.

(٢) راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص ٩٠، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

رضيت بما قسم الله لي (المتقارب)

جاء في وصية رسول الله ﷺ لأبي هريرة، رضي الله عنه: «اتَّقِ المحارمَ تكُنْ أعْبدَ النَّاس، وارْضَ بما قَسم اللهُ لك تكن أغْنى الناس...»[1] الحديث. فعَلى المسلم أن يعمل بذلكَ ويتحلى به، ثم بعد ذلك يفوض أمره إلى خَالقه، كما نصحنا القرآن الكريم: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [غافر:٤٤] هذا ما عناه الإمام، رضي الله عنه، في البيتين التاليين:

رضيتُ بما قسم اللّه لي ... وَفَوَّضتُ أمري إلى خالقي
كمَا أحْسَنَ اللهُ فيما مَضَى ... كَذلكَ يُحْسِنُ فِيمَا بَقِي

حال الدنيا (الوافر)

هذه الدنيا التي تكالب الناس عليها، وكأنهم مخلدون فيها، ونسوا أنهم إلي ربهم راجعون، وأنهم محاسبون على ما قدموه فيها.. هذه الدنيا يقول عنها الحق سبحانه وتعالى، محقرًا لشأنها: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [النساء:٧٧]. وقال عنها رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تزن عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ»[2]. وإذا كان هذا حالها وشأنها، فلم التكالب عليها؟! وما أحسن قول القائل[3]:

يا مَنْ تملكُ مُلكا لا بقاءَ له ... حمَّلْت نفسك آثامًا وأوزارا
هل الحياةُ بذي الدنيا وإن عذبت ... إلا كطيف خيالٍ في الكَرَى زارا[4]

يقول الإمام،رضي الله عنه:

أَرَى الدُّنيا سَتُؤْذِنُ بانطلاقٍ ... مُشَمِّرَةً عَلى قَدَمٍ وَسَاقِ[5]
فَلاَ الدُّنْيَا بِبَاقِيَةٍ لِحَيٍّ ... وَلاَ حَيٌّ على الدُّنيا بِبَاقِ[6]

فاعمل أيها العاقل للدار الباقية ولا تشغلنك الدار الفانية.

وغايةُ هذي الدار لذَّةُ ساعة ... ويعقُبها الأحزانُ والهمُّ والندمُ

(١) ذكره الخرائطي في مكارم الأخلاق وحسنه الألباني.
(٢) رواه الترمذي والطبراني وأبو نعيم.
(٣) المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ص٥٧٣.
(٤) الكرى: النوم.
(٥) شمَّر عن ساعده أو ساقه: جدَّ في الأمر.
(٦) وفي بعض المصادر زيد هذان البيتان:

فيا مغرور بالدنيا رويْدا ... ألا تأخذ لنفسك بالوثاق
كأن الموت والحدثان فيها ... إلي نفس الفتى فرسا يساق

والحدثان: الليل والنهار

وهاتيك دارُ الأمْـنِ والـعـزِّ والتُّقي ورحمةُ ربِّ الناسِ والجودُ والكرم

أفٍّ على الدنيا وأسبابها (السريع)

ولا يزال حديث الإمام، رضي الله عنه، عن الدنيا وأحزانها فيقول:

أفٍّ عَـلـى الـدُّنـيـا وَأَسْـبَـابِـهـا فَـإِنَّـهـا لِـلْـحُـزْنِ مَـخْـلُـوقَـهْ

هُـمُـومُـهـا مـا تَـنـقَـضِـي سَـاعَـةً عَـنْ مَـلِـكٍ فيهَا وَعَـنْ سُـوقَـه (١)

وقد أحسن الحسن البصري، رحمه الله في قوله: الدنيا كُلُّها غمٌّ، فما كان منها من سرور فهو ريحٌ!! وقال حكيم: الدنيا إمَّا مصيبةٌ موجعةٌ، وإما منيَّةٌ مفجعة!! وقال بعض الحكماء: الدنيا كثيرةُ التغيير، سريعة التنكير، شديدةُ المكرِ، دائمةُ الغدر، فاقطع أسباب الهوى عن قلبك، واجعل أبعُدَ أمَلِكَ بقية يومك، وكن كأنك ترى ثواب أعمالك(٢).

في يوم خيبر (الرجز)

مما ينسب إلي الإمام قوله في يوم خيبر، وقد أجهز على أحد المشركين:

دونَـكَـهـا مُـتْـرَعَـةً دِهـاقـا (٣) كَـأْسًـا زُعـافًـا مُـزِجَـتْ زُعـافًـا (٤)

إنَّـا لَـقَـوْمٌ مـا نَـرى مـا لاقـا أقُـدُّ هـامـا وأقُـدُّ سـاقـا (٥)

ما تركت بدر لنا صديقا (الرجز)

ومما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، في بدر قوله:

مَـا تَـرَكَـتْ بَـدْرٌ لَـنَـا صَـدِيـقًـا وَلَا لَـنَـا مِـنْ خَـلْـفِـنَـا طَـرِيـقًـا

بناء المسجد من مال حرام (الطويل)

يقول رسول الله ﷺ: «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ

(١) السُّوقة: الرعية، وأوساط الناس.
(٢) أدب الدنيا والدين ص١١١.
(٣) دون: اسم فعل بمعنى خُذ، وتوصل بكاف الخطاب فيقال: دونك الدِّراهم أي: خُذها.. يقال: كأس دهاق: مترعة ممتلئة.
(٤) الزعاق: المر الغليظ لا يطاق شربه، وذكر هذان البيتان في لسان العرب مادة «زعق» نسبة للإمام علي رضي الله عنه.
(٥) أقد: أكثر قطعا، وقدّ: قطع وشق، وفي القرآن الكريم: ﴿وَٱسْتَبَقَا ٱلْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ [يوسف:٢٥] الهام: الرأس.

المُؤمنينَ بمَا أَمَرَ به المُرْسَلينَ، فقالَ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًا ﴾ [المؤمنون:٥١] وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴾[البقرة:١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بالحَرَام، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[1]. وذكر سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» أن رجلًا أتي أمير المؤمنين عليًا، رضي الله عنه، فقال: أريد أن أبني مسجدًا ، فقال: من حلالك؟ فسكت، ثم مضي فبني مسجدًا، فكتب ، رضي الله عنه، في الحائط: بني مسجدًا لله من غير حله.. وفي رواية أنه أنشد:

سمعْتُك تبني مَسْجدًا من جناية ... وأنتَ بحمدِ اللهِ غيرُ مَوَفَّقِ
كمُنْفِقَةِ الأمْوالِ من كسبِ فَرْجِها ... جَرَتْ مثلًا للخائنِ المتصَدِّقِ[2]
فقال لها أهْلُ البصيرة والتُّقى: ... لَكِ الويْلُ لا تزني ولا تتصدَّقِ

هل للحظ نصيب في حياتنا؟ (الكامل)

يقول الشاعر:

الجَدُّ في الجدِّ والحرمانُ في الكسل ... فانْصبْ تُصب عن قريبٍ غايةَ الأملِ

والجَدُّ هو الرزق، وهو لا يأتي من فراغ، بل يتطلب سعيًا واجتهادًا... فالسماء لا تمطر ذهبًا أو فضة فوق الكسالى الخاملين... ولكن قد يحدث، ونادرًا ما يحدث، أن تجد خاملًا قد أصاب من الدنيا دون سعي منه أو اجتهاد، فإذا رأيت ذلك فلا تعجب، وقل:

ملكُ المملوكِ إذا وهَبْ ... لا تسألَنَّ عن السَّبب

وفي هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه:

لَوْ كانَ بالحيلِ الغِنَى لَوَجَدْتَني ... بِنُجُومِ أَقْطَارِ السَّمَاءِ تَعَلُّقي
لَكِنَّ مَنْ رُزِقَ الحِجا حُرِمَ الغِنى ... ضِدَّانِ مُفْتَرِقَانِ أَيَّ تَفَرُّقِ[3]

والبيتان كثيرًا ما ينسبان للإمام الشافعي، رحمه الله تعالي، ضمن ثمانية أبيات ذكرت في ديوانه المسمي «الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس» يقول فيها:

فَإذا سَمِعْتَ بِأَنَّ مَجْدُودًا حَوَى ... عودًا فأثمرَ في يديه فصدِّقِ[4]
وَإذا سَمِعْتَ بأنَّ مَحْرُومًا أَتَى ... مَاءً لِيَشْرَبَهُ فَغَاضَ فَحَقِّقِ

(١) رواه مسلم وأحمد والترمذي.
(٢) ضبطت هذه الأبيات من كتاب «أنوار العقول» لقطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري.
(٣) الحجا: العقل، والجمع : أحجاء
(٤) المجدود : صاحب الحظ.

ثم ذكر البيتين المنسوبين للإمام علي، رضي الله عنه[1].

هل من صديق صدوق؟! (المتقارب)

يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه: لا يكونُ الصديقُ صديقًا حتى يحفظَ أخاه في ثلاث: في نكبته، وغيبته، ووفاته.. فهل هناك مَنْ يتحقق فيه ذلك؟ يري كثيرون، ومنهم الإمام، أن الصديق الصدوق أصبح نادرًا، ولذا أصبح الحذر واجبًا، يقول الإمام، رضي الله عنه: إذا كان الغدْر طبعًا فالثقة بكل أحدٍ عجز!! وقيل لبعضهم: ما الصديق؟

قال: اسم وُضع على غير مسمي، وحيوان غير موجود.. قال الشاعر[2]:

سَمِعْنا بالصديق ولا نراه ... على التحقيق يوجد في الأنام
وأحسبه مُحالًا نمقوه ... على وجه المجاز من الكلام

وفي هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه:

تَغَرَّبْتُ أَسْأَلُ مَنْ عَنَّ لي ... مِنَ النَّاس: هَلْ مِنْ صَدِيق صَدُوق؟![3]
فَقَالُوا: عَزِيزَانِ لَا يُوجَدَانِ: ... صَدِيقٌ صَدُوقٌ وبَيْضُ الأَنُوقِ[4]

وقريب من ذلك قول القائل:

لما رأيتُ بني الزمانِ وما بهم ... خِلٌ وفيٌّ للشدائد أصْطفي
فعلمتُ أن المستحيلَ ثلاثةٌ: ... الغولُ والعنقاءُ والخِلُّ الوفيّ

علمي معي (البسيط)

قال بعض الحكماء: أكمل الراحة ما كانت عن كدِّ التعب، وأعزُّ العلم ما كان عن ذُلِّ الطلب.. وقد يستثقل المتعلمُ الدرس والحفظ ويتكل بعد فهم المعاني على الرجوع إلي الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة، فلا يكون إلا كمن أطلق ما صاده ثقةً بالقدرة عليه بعد الامتناع منه، فلا تُعقبه الثقةُ إلا خجلًا، والتفريط إلَّا ندمًا[5]!!

والعرب تقول : لا خير في علم لا يعبرُ معك الوادي، ولا يُعَمِّرُ بك النادي.. وفي ذلك يقول الإمام[6]، رضي الله عنه:

(١) راجع ديوان الإمام الشافعي ، إعداد وتعليق محمد سليم، إصدار دار الطلائع، القاهرة.
(٢) المستطرف في كل فن مستظرف، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص١٤٧.
(٣) عَنَّ: بدا وظهر. (٤) الأنوق، بفتح الهمزة وضمها: العُقاب أو الرَّخمة.
(٥) أدب الدنيا والدين، للماوردي ص٥٥، تحقيق هاني الحاج.
(٦) لم يرد هذان البيتان في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما قطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري في «أنوار العقول».. كما ذكرها الماوردي في «أدب الدنيا والدين» وباختلاف يسير في الألفاظ، ونسبها للإمام الشافعي، رحمه الله تعالي.

عِلْمي مَعي أيْنما قد كنتُ يتْبعُني قلبي وعـــاءٌ لاجَـــوْفَ صـنُـدوقِ
إنْ كنتُ في البيْت كان العلمُ فيه معي أو كنتُ في السُّوقِ كان العلمُ في السوق

أنفق ولا تخش إقلالا!! (البسيط)

ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه قوله[1]:

أنفق ولا تخْشَ إقـلالا فقد قُسِمت بيـن الـبـريَّـة آجـال وأرزاق [2]
لا ينفعُ الـشُـحُّ مـع دُنـيـا مولِّيةٍ ولا يـضُـرُّ مـع الإقـبـال إنـفـاق [3]

قافية الكاف:

لا شيء إلَّا الله (الرجز)

روي أن الإمام عليًّا، رضي الله عنه، لما هاجر من مكة إلي المدينة ومعه الفواطم، جعل أبو واقد الليثي يسوق الرواحل سَوْقًا عنيفًا، فطلب منه الإمام أن يسوق برفق لأجل النسوة، فقال أبو واقد: أخاف أن يدركنا الطلب.. فقال الإمام: ارجع.. وجعل يسوق بهن سوقًا رفيقًا وهو يرتجز[4]:

لا شـيءَ إلَّا الـلـهُ فـارفـع ظَنَّكا يكفيك ربُّ الـنـاس مـا أهَـمَّـكـا

لا تجزعنَّ من الموت (الهزج)

جاء في الإحياء: لما كانت الليلة التي أصيب فيها عليٌّ، كرمَّ الله وجهه، أتاه ابن التياح حين طلع الفجر يؤذنه بالصلاة وهو مضطجع متثاقل، فعاد الثانية وهو كذلك، ثم عاد الثالثة فقام عليّ يمشي وهو يقول [وأنشد البيتين الأوليين]. فلما بلغ الباب الصغير شدَّ عليه ابن ملجم، فضربه[5].

وذكر سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» وغيره، أن الإمام، رضي الله عنه، جمع الناس للبيعة، فجاء عبد الرحمن بن ملجم المرادي، فردَّه مرتين أو ثلاثا ثم بايعه، وقال عند

(١) لم يرد ذلك في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكره الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) الإقلال : الفقر.
(٣) وقريب من ذلك ما سبق أن ذكرناه للإمام تحت عنوان «الدنيا بين الإقبال والإدبار» فراجعه.
(٤) راجع في ذلك «أنوار العقول» للكيدري.
(٥) إحياء علوم الدين، كتاب الموت وما بعده ذكر وفاة علي كرم الله وجهه، ٤/ ٥٠٩، كما ذكرهما ابن رشيق القيرواني في كتابه «العمدة» تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد١/ ١٢٠.

بيعته له: ما يحبس أشقاها، فوالذي نفسي بيده لتخضبنَّ هذه من هذا، ووضع يده على لحيته ورأسه، فلما أدبر ابن ملجم منصرفًا تمثل الإمام بهذين البيتين.

قال سبط ابن الجوزي: وهذا البيتان لأحيحة الأنصاري، ولهما بيت ثالث ثم ذكر البيت الثالث[1]:

اشْـــدُدْ حَـيـازيـمـك للمو ت فـإنَّ الـمـوتَ لاقـيـكـا [2]
وَلاَ تَـجْـزَعْ مِـنَ الـمَـوْتِ إذا حـلَّ بـواديـكـا
فَـإنَّ الـدرْعَ والـبَـيْـضَـ ـةَ يَـوْمَ الـرَّوْع يَكفيكَا
كَـمَـا أَضْـحَـكَـكَ الـدَّهْـرُ كَـذاكَ الـدُّهْـرُ يُبْكِيكَا
فَـقَـدْ أَعْـرِفُ أَقْـوامًـا وَإنْ كـانـوا صَـعَـالـيـكَـا
مَـسَـارِيـعَ إلـى الـنَّـجْـدَ ةِ لـلـغَـيِّ مَـتَـارِيـكَـا!

كاتب ومكتوب (مجزوء الرمل)

ومما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، قوله:

أيُّـهـا الـكـاتِـبُ مَـا تَـكْـ ـتُـبُ مَـكْـتُـوبٌ عَـلَـيْـكْ
فَـاجْـعَـلِ الـمَـكْـتُـوبَ خَـيْـرًا فَـهْـوَ مَـرْدُودٌ إلَـيْـكْ

شجاعة قومي (مجزوء الكامل)

يذكر الإمام في البيتين التاليين شجاعة قومه، إنهم أشجع الناس، لا يهابون الموت، تراهم دائمًا على استعداد لمواجهة العدو لابسين دروعهم فوق صدورهم.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

قَـوْمِـي إذا اشْـتَـبَـكَ الـقَـنَـا جَعَلُوا الـصُـدُورَ لها مَـسَـالِـكْ [3]
الـلَّابِـسُـونَ دُرُوعَـهُـمْ فَـوقَ الـصُـدورِ لأَجْـلِ ذَلِـكْ

(١) تذكرة الخواص، في وفاة الإمام، ص١٤٩.
(٢) اشدد حيازيمك: أي وطن نفسك على الأمر.
(٣) القنا: جمع قناة، وهي الرمح

إليك ربِّي (الرجز)

يُذكر أن هذه الأبيات مما قاله الإمام في يوم خيبر.. وهو هنا يتوجه إلي الله سبحانه داعيًا إياه بما دعا به أيوب عليه السلام ربه.. فبم دعا أيوب؟ يقول القرآن الكريم: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] إن أيوب، عليه السلام، هنا لم يدْعُ، وإنما وصف حاله، وهو يعلم أن الله عز وجل أعلم بحاله.. فكانت الاستجابة من الله عز وجل على الفور.. يقول القرآن الكريم عقب الآية السابقة ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ﴾ [الأنبياء:٨٤]. يقول الإمام، رضي الله عنه:

إِلَيكَ رَبِّي لا إلى سِواكَا ... أَقْبَلْتُ عَمْدًا أَبْتَغِي رِضاكَا
أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ بِما دَعاكَا ... «أَيُّوبُ» إِذْ حَلَّ بِهِ بَلاكَا
إِنْ يَكُ مِنِّي قَدْ دَنا قَضاكَا ... رَبِّ فَبارِكْ لي في لِقاكَا

العجز عن درك الإدراك إدراك (البسيط)

مما يوثر عن الإمام، رضي الله عنه، قوله: مَنْ أَيَّنَ الأين لا يُقال له أين.. ومن كيَّف الكيْف لا يُقال له كيف.. وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك.. وقريب من ذلك قوله، رضي الله عنه:

الْعَجْزُ عَنْ دَرَكِ الإِدْرَاكِ إِدْراكُ ... وَالبَحْثُ عَنْ سِرِّ ذاتِ السِّرِّ إِشْراكُ!
وَفي سَرائِرِ هِمَّاتِ الوَرَي هِمَمٌ ... عَنْ دَرْكِها عَجِزَتْ جِنٌّ وَأَمْلاكُ

في القناعة (مجزوء الهزج)

جُبل الإنسانُ على حب المال، وصدق رسول الله ﷺ: «لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَان مِنْ مالٍ لابْتَغَى واديًا ثَالِثًا، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[1].

وحتى ينأي الإنسان بنفسه عن هذا الحرص المذموم، عليه أن يتحلَّي بالقناعة، التي هي رأس الغني.. فكم من إنسان عاش عبدًا للمال، وأضاع عمره في شقاء وطمع طلبًا لهذا المال.. ومما ينسب للإمام علي، رضي الله عنه قوله: ما الخمر صِرْفًا[2] بأذهب لعقول الرجال من الطمع!!

(١) رواه مسلم في صحيحه، حديث رقم ١٠٤٨.. «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب»: أي أنه لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت ويمتلئ جوفه من تراب قبره. «ويتوب الله على من تاب»: أي أن الله يقبل التوبة من الحرص المذموم، وغيره من المذمومات.

(٢) صِرفًا: غير مشوبة بالماء، أي خالصة.

ولقد أحسن أبو العباس أحمد بن مروان في قوله:

وذي حرصٍ تراه يلُمُّ وفْرًا ... لوارثِه ويدفعُ عن حماه
ككلب الصيْدِ يمسكُ وهو طاوٍ ... فريسته ليأكُلَها سواه

وعن الطمع يقول الإمام رضي الله عنه[1]:

إنْ كان لا يُغْنيك ما يَكْفيكا ... فكُل ما في الأرْضِ لا يُغْنيكا

في الزهد (الهزج)

يا مَنْ تفرح بالدنيا وقد أقبلت عليك.. ويا مَنْ ملكت الدنيا بأسرها .. أليس الموت في انتظارك؟! إلي هؤلاء الذين شغلتهم الدنيا ونسوا أنهم ملاقو ربهم ليحاسبهم على أفعالهم في دنياهم.. : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

ماذا قدموا من خير.. وماذا اقترفوا من شرٍّ؟ إلي هؤلاء يدقُّ الإمام ناقوس الخطر ليوقظهم من غفلتهم ، وليعودوا إلي رشدهم ،فيقول ، رضي الله عنه[2]:

هَبِ الدُّنيا تُواتيك ... ألَيْس الموتُ يأتيك؟!
وما تصنعُ بالدُّنيا ... وظلُّ الميلِ يكفيك؟![3]

كُنْ مُحسنا (الطويل)

في القرآن الكريم يقول الله عز وجل: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ﴾ [الإسراء:٧].. ويقول سبحانه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾ [الكهف٣٠]... ورسول الله ﷺ يقول :» إنّ اللهَ يُحبّ إذَا عَمِل أحَدُكُمْ عَمَلاً أنْ يُتْقِنَهُ». ولم لا نتقن العمل إذا كنا سنحاسب عليه؟

هذا ما يذكّر به الإمام في البيت الأول، ثم يلفت النظر إلي حقيقة قد يغفل عنها البعض.. وهي أن الأيام لا أمان لها، فكم قصمت من عظيم ملكها واطمأن إليها، فغدرت به، وأتت عليه من حيث لا يحتسب.. يقول الإمام، رضي الله عنه[4]:

إذا كُنتَ في أمْرٍ فكُنْ مُحسنًا ... فعمَّا قليل أنت ماضٍ وتاركُه
وكمْ دَحَتِ الأيامُ أربابَ دولةٍ ... وقد ملكوا أضْعافَ ما أنت مالكُه[5]

(١) لم يرد هذان البيتان فيما هو متداول من شعر الإمام، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول»،ونسبها صاحب «مجاني الأدب» لأبي العتاهية.
(٢) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما اشتهر من أشعار الإمام، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول» وجاء نسبها في «مروج الذهب» لأبي العتاهية، وكذا في الأغاني.
(٣) الميل، المراد به هنا: ما يجعل به الكحل في العين.
(٤) ذكر هذان البيتان الكيدري في «أنوار العقول» ولم نجدهما ضمن كثير مما نسب إلي الإمام من أشعار.
(٥) دحت الأيام: رمت وقذفت.

دنيا عدمتك (مجزوء الكامل)

يخاطب الإمام الدنيا، مظهرًا حقيقتها التي قد تخفي على كثيرين.. فلا أمان لها.. وكم ممن أطمأن إليها وركن إلي نعيمها، ثم سرعان ما انقلبت عليه، وكشرت عن أنيابها، وصبت عليه الشرَّ صبًّا!! يقول الإمام ، رضي الله عنه[1]:

دُنَيَّا عَدَمْتُكِ ما أقَرَّكِ ... للمُكْثِرين فما أضَرَّكِ
ما ذاقَ خَيْرَكِ ذائقٌ ... إلا صَبَبْتِ عليه شَرَّكِ

وصدق من قال:

حَسنت ظنَّك بالأيام إذ حَسُنتْ ... ولم تَخَفْ سوء ما يأتي به القدرُ
وسالمتْك الليالي فاغتررْت بها ... وعند صفْوِ الليالي يحدث الكدر

قافية اللام

ما بعد صفين (الطويل)

مما يروي عن الإمام، رضي الله عنه، لما صدر من صفين قوله:

وكم قد تركْنا في دمشقَ وأهلِها ... من أشمَط موتورٍ وشمطاء ثاكل[2]
وغانيةٍ صادَ الرماحُ حليلَها ... فأضحت تعدُّ اليومَ بعضَ الأرامل[3]
وتبكي على بَعْلٍ لها راحَ غاديًا ... وليس إلى يوم الحساب بقافل[4]
وإنَّا أُناسٌ لا تصيبُ رماحُنا ... إذا ما طعنّا القومَ غيرَ المُقاتلِ

رضينا قسمت الجبار (الهزج)

لا أحد ينكر فضل الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، وعلمه.. فقد اختصه الله سبحانه وتعالي بالعلم الوافر، يقول ابن مسعود ، رضي الله عنه، كنا نتحدث أن أقْضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب. وفتاواه كثيرة مشهورة حتى قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لولا عليٌّ لهلك عمر!! والإمام هنا، يؤكد ذلك ويري أن العلم الذي اختصه الله وأهله به، أفضل من المال.. فالعلم باقٍ يهتدي به الناس إلي يوم القيامة، بينما المال إلي زوال.

(١) لم يرد هذان البيتان في كثير مما نسب إلي الإمام من أشعار، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) يُقال شمَط الشيء: اختلط بغيره، فهو شمط ،وهي شمطاء.ويقال: ثكل الولدَ أو الحبيبَ: فقده، وأكثر ما يقال للمرأة، فهو ثاكل، وهي ثكلي.
(٣) الغانية: المرأة العفيفة التي استغنت بزوجها.. والحليل الزوج. وفي أنوار العقول: «وأضحت بُعيدَ اليوم إحدي الأرامل».
(٤) القافل: الراجع .. وفي أنوار العقول: «راح غازيا».

يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

رضينا قسمةَ الجبار فينا ... لنا علمٌ وللجهال مالُ
فإنَّ المالَ يَفْنَي عن قريبٍ ... وإنَّ العلمَ باقٍ لا يَزالُ

ما كان من شأن ابن أخطب اليهودي (الطويل)

جاء في السيرة النبوية لابن هشام، عند ذكر بني قريظة: وأُتِيَ بحيي بن أخطب عدُوِّ الله، وعليه حُلَّة فقَّاحية «ضرب من الوشي».. مجموعة يداه إلي عنقه بحبل.. فلما نظر إلي رسول الله ﷺ قال: أمَا والله ما لُمْتُ نَفْسي في عَدَاوَتِكَ، وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذل اللهُ يُخْذَلْ...ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاس، وقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لا بَأْسَ بِأَمْرِ اللَّه: كِتَابٌ، وَقَدَرٌ، وَمَلْحَمَةٌ كَتَبَهَا الله عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، ثُمَّ جَلَسَ فَضُرِبَتْ عُنُقُهُ.. فَقَالَ جَبَلُ بنُ جَوَّال الثَّعْلَبِيُّ[2]:

لَعَمْرُكَ مَا لامَ ابْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ ... وَلَكِنَّهُ مَنْ يَخْذُلِ اللَّهُ يُخْذَلِ
لَجَاهَدَ حَتَّى أَبْلَغَ النَّفْسَ عُذْرها ... وَقَلْقَلَ يَبْغِي الْعِزَّ كُلُّ مُقَلْقِلِ[3]

فرد عليه عليٌّ، رضي الله عنه:

لَقَدْ كَانَ ذا جَدٍّ وَجَدَّ بِكُفْرِهِ ... فَقِيدَ إِلَيْنَا فِي المَجامِعِ يُعتَلِ[4]
فَقَلَّدتُهُ بالسَيفِ ضَربَةَ مُحفِظٍ ... فَسارَ إِلى قَعرِ الجَحيمِ يُكَبَّلُ
فَذاكَ مَآبُ الكافِرينَ وَمَن يُطِع ... لِأَمرِ إِلَهِ الخَلقِ في الخُلدِ يَنزِلُ

اصطبر! (الطويل)

إنها دعوة إلي الصبر.. فالحياة مليئة بالخطوب والمآسي..صورها أبو الطيب المتنبي في قوله:

والليالي من الزمانِ حُبالي ... مثقلاتٍ يلدْن كلَّ عجيبة

وليس لذلك من دواء سوي الصبر.

ومهما كان من عظم المصيبة فهي زائلة.. فلم الجزع مما هو زائل؟!

(١) ذكر كامل الجبوري في تحقيقه لكتاب «أنوار العقول»: أن هذين البيتين ينسبان إلي محمد بن مناذر، كما في الشعر والشعراء، وعيون الأخبار.. أما في مجاني الأدب فجاء ذكرهما للإمام عليٍّ.

(٢) الثعلبي: من بني ثعلبة، قال الدارقطني: له صحبة، وقال أبو عبيد: كان يهوديًا فأسلم.

(٣) انظر سيرة النبي ﷺ لابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، طبعة دار الطلائع، مصر، ٣/ ١٣١.. قلقل: تحرك.

(٤) قيد: أي أُتي به.. يُعتل: يجذب بعنف.

يقول الإمام، رضي الله عنه:

إِذَا مَا عَرَى خَطْبٌ مِنَ الدَّهْرِ فاصْطَبِرْ ... فَإِنَّ اللَّيَالِي بالخُطُوب حَوَامِلُ[1]
وَكُلُّ الَّذي يَأْتي بِهِ الدَّهْرُ زائِلٌ ... سَرِيعًا فَلا تَجْزَعْ لِمَا هُوَ زائِلُ!

في رثاء الزهراء رضي الله عنها[2] (الطويل)

أَلا هَلْ إلى طولِ الحَيَاةِ سَبيلُ ... وأَنِّي وَهَذَا المَوْتُ لَيْسَ يحيلُ
فإنِّي وإنْ أَصْبَحتُ بالمَوْتِ موقِنًا ... فَلي أملٌ مِنْ دَون ذاكَ طويلُ
وَلِلدَّهْرِ أَلوانٌ تَروحُ وتَغْتَدي ... وَإِنَّ نُفوسًا بَيْنَهُنَّ تَسيلُ
ومَنْزِلِ حَقّ لا مُعَرِّجَ دُونَهُ ... لِكلِّ امرئ منها إليه سبيل
قَطَعْتُ بأيام التعزز ذِكْرَه ... وكلُّ عزيزٍ ما هناك ذليلُ
أَرَى عِلَلَ الدنْيا عَلَيَّ كَثِيرَةً ... وَصَاحِبُها حَتَّى المَمَاتِ عَلِيلُ
وإِنِّي لَمُشتاقٌ إلي من أَحبُّه ... فهلْ لِي إلي مَنْ قَدْ هَوَيْتُ سَبيلُ
وإِنِّي وإنْ شطتْ في الدارِ نازحًا ... وقَدْ ماتَ قَبْلي بالفُراقِ جميلُ
فَقَدْ قَالَ في الأَمْثَالِ في البَيْنِ قَائِلٌ ... أَضَرَّ بِهِ يوم الفُراقِ رحيلُ
لِكلِّ اجتماع من خليلَيْن فُرقةٌ ... وكلُّ الذي دون الفراقِ قليل
وإِنَّ افْتِقَادِي فَاطِمًا بَعْدَ أَحْمدٍ ... دَليلٌ عَلَى أَنْ لا يَدُومَ خَلِيلُ[3]
وكيفَ هناةُ العيشِ بعدَ فَقْدِهم ... لعمرك شيءٌ ما إليه سَبيلُ
سَيُعرَضُ عَنْ ذِكْرِي وتُنْسَى مَوَدَّتي ... ويظهرُ بَعْدي لِلْخَليل عَديلُ
وليسَ خَليلي بالملولِ ولا الذي ... إذا غِبْتُ يرضَاهُ سِواي بدلُ
ولكنْ خَليلي من يدومُ وصالُهُ ... ويحفظُ سِرِّي قَبْلَهُ ودخيلُ[4]
وإذا انْقَطَعَتْ يومًا من العَيْشِ مُدَّتي ... فَإِنَّ عَزايا الباكيات قَليلُ

(١) يُقال: عراه الداءُ والأمرُ: ألمَّ به وأصابه.
(٢) جمع الكيدري هذه الأبيات في كتابه «أنوار العقول» من مصادر شتى، منها: البداية والنهاية لابن كثير، المستدرك على الصحيحين للحاكم، والمستطرف للأبشيهي، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي، أدب الدنيا والدين للماوردي،وغيرها.. وذكرت بعض المصادر أن من بين هذه الأبيات ما ينسب لأبي العتاهية.
(٣) في المستدرك: وإن افتقادي واحدًا بعد واحدٍ
(٤) في بعض المصادر: ويحفظ سري قلبُه.

يـريـدُ الفتى أن لا يـمـوتَ حبيبُهُ ... ولـيـسَ إلـي مـا يَـبْـتـغـيـه سَبيلُ
ولـيـسَ جليلُ رُزءِ مـالٍ وفَـقْـدِهِ ... ولـكـنَّ رزءَ الأكْـرَمـيـنَ جليل [1]
كـذلـك جَـنْـبـي لا يـواتـيـه مضجعٌ ... وفـي القلب من حرِّ الـفـراق عليلُ
وفـي الحلْقِ أحيانًا لَعَمْري مَـرارَةٌ ... وَثـقْـلٌ عَلى عـضِّ الـرِّجـالِ ثَقيلُ
ولـم أرَ إنسانًا يَـري عَـيْـبَ نَفْسِه ... وإنْ كـانَ لا يَخْفي عَـلَـيْـه جَميلُ
وَمَنْ ذَا الَّذي يَنْجو مِنَ الناسِ سالمًا ... وَلِـلـنَّـاس قـالٌ بالظُّنونِ وقـيـلُ [2]
أَجلَّك قَـومٌ حينَ صِـرْتَ إلي الغِنَى ... عَـشِـيَّـةَ تَـقْـري أو غَـداةَ تَنيلُ [3]
وَلَـمْ يَفْتَقِرْ يَوْمًا وَإنْ كـانَ مُعْدَمًا ... سَـخِـيٌّ وَلَـمْ يَسْـتَـغْـنِ قَـطُّ بَخيلُ

ألا فاصبر!! (الوافر)

في مجموعة من الحكم الإيمانية، يسوق الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، هذه الأبيات فيقول[4]:

أَلا فَاصبِر عَلى الـحَـدَثِ الجَليلِ ... وَداوِ جَـواكَ بالصَبرِ الجَميلِ [5]
وَلا تَـجـزَع وَإن أُعـسِـرتَ يَـومًـا ... فَقَد أَيـسَـرْت في الـزَمَـنِ الطَّويلِ
وَلا تَـيـأَسْ فَـإنَّ الـيَـأسَ كُـفرٌ ... لَـعَـلَّ الـلَّـهَ يُـغـنـي مِـن قَـلـيـلِ
وَلا تَـظُـنَّـنَّ بِـرَبِّـكَ غَـيـرَ خَـيْـر ... فَـإنَّ الـلَّـهَ أَوْلَـى بـالـجَـمـيـلِ
وَإنَّ الـعُـسـرَ يَـتـبَـعُـهُ يَـسـارٌ ... وَقَـولُ الـلَّـهِ أَصـدَقُ كُـلِّ قِيلِ
فَـلَـو أَنَّ الـعُـقـولَ تَـجُـرُّ رِزقًـا ... لَـكـانَ الـرِزقُ عِـنـدَ ذَوي العُقُولِ
وَكَـم مِـن مُـؤمِـنٍ قَـدْ جَـاعَ يَومًا ... سَـيُـروى مِـن رَحِـيـقٍ سَلْسَبِيلِ

يقول الحافظ ابن كثير، في البداية والنهاية، بعد أن ذكر هذه الأبيات:

فمن هوان الدنيا على الله أنه سبحانه يجيع المؤمن مع نفاسته، ويُشبعُ الكلب مع خساسته، والكافر يأكل ويشرب، ويلبس ويتمتع، والمؤمن يجوع ويعري، وذلك لحكمة اقتضتها حكمة أحكم الحاكمين.

(١) الرزء: المصيبة.
(٢) القال: اسم من القول، ونهي النبي ﷺ عن القيل والقال.
(٣) القِري: ما يُقدَّم إلي الضيف.
(٤) راجع البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١١ وذكر الأبشيهي في المستطرف أربعة من هذه الأبيات، وهي: الثاني، والرابع، والخامس، والسادس، ونسبها لبعض العرب.
(٥) الجوي: شدة الشوق وحرارة الحب.

المؤاخاة (الطويل)

قال ابن إسحاق في السيرة: وآخي رسولُ الله ﷺ بين أصحابه من المهاجرين والأنصار، فقال، فيما بلغني، ونعوذ بالله أن نقول عليه ما لم يقل: «تآخوا في الله أخوَيْن أخَوَيْن»، ثم أخذ بيد عليِّ بن أبي طالب ، فقال: «هذا أخي».. فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المرسلين ، وإمام المتقين ، ورسول رب العالمين ، الذي ليس له خطير[1] ولا نظير من العباد، وعليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه، أخوين»[2]. وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ رضي الله عنه:

أقيكَ بنَفسي أيُّها المُصطفى الَّذي ... هَدانا بِهِ الرَحمَنُ مِن غُمَةِ الجَهلِ
وَأفديكَ حَوبائي وَما قَدر مُهجَتي ... لِمَن أنتَمي فيهِ إلى الفَرعِ وَالأَصلِ[3]
وَمَن ضَمَّني مُذ كُنتُ طِفلاً وَيافِعًا ... وَأنعَشَني بِالعلِّ مِنهُ وَبالنَّهلِ[4]
وَمن جَدُّهُ جَدِّي وَمِن عَمُّه أَبي ... وَمِن نَجلِه نَجلي وَمِن بنته أهلي
وَمن حين آخى بَينَ مَن كانَ حاضرًا ... هُنالِكَ آخاني وَبَيَّنَ مِن فَضلي
لَكَ الفَضلُ إنِّي ما حَييتُ لَشاكِرٌ ... لإتمامِ ما أوتيتَ يا خاتَمَ الرُّسُلِ

في مدح رسول الله ﷺ يوم بدر (الطويل)

ذكر ابن إسحاق في سيرة النبي ﷺ ما قيل من الشعر في يوم بدر ، وقال: وقال علي ابن أبي طالب في يوم بدر[5]:

أَلَم تَرَ أنَّ اللَه أبْلَى رَسُولَهُ ... بِلاءَ عَزيزٍ ذي اقتِدارٍ وَذي فَضْلِ[6]
بِما أنزلَ الكُفَّارَ دارَ مَذَلَّةٍ ... فَذاقوا هَوانًا مِن إسارٍ وَمِن قَتْلِ
وَأَمسى رَسولُ اللهِ قَد عَزَّ نَصرُه ... وَكانَ رَسولُ اللَهِ أُرسِلَ بِالعَدْلِ
فَجاءَ بِفُرْقانٍ مِنَ اللَهِ مُنزَلٍ ... مُبَيِّنَةٍ آياتُهُ لِذَوي العَقْلِ
فَآمَنَ أقوامٌ بِذاكَ وَأَيقَنوا ... فأَمْسَوْا بِحَمدِ اللَهِ مُجتَمِعي الشَّمْلِ
وَأَنكَرَ أقوامٌ فَزاغَت قلوبُهم ... فَزادَهُمُ ذو العَرشِ خَبلًا عَلى خَبْلِ[7]

(١) الخطير: المثل والنظير.
(٢) راجع سيرة النبي ﷺ لابن هشام، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، إصدار دار الطلائع، مصر، ٢/ ٨٦.
(٣) الحوباء: النفس.
(٤) العلّ: الشرب ثانية.. يُقال : علَّ فلانًا : سقاه السقية الثانية.. والنهل: الشرب الأول.
(٥) سيرة النبي ﷺ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، إصدار دار الطلائع، مصر، ٢/ ٢٠٩، قال ابن هشام، ولم أر أحدًا من أهل العلم بالشعر يعرفها.
(٦) أبلى رسوله: مَنَّ عليه، وصنع له صنعًا حسنًا.
(٧) زاغت قلوبهم: مالت عن الحق... والخبل: الفساد، وهو أيضًا : قطع بعض الأعضاء.

وَأَمْكَنَ مِنهُم يَومَ بَدرٍ رَسولَهُ ... وَقَومًا غِضابًا فِعْلُهُم أَحْسَنُ الفِعْلِ

بِأَيديهِمُ بيضٌ خِفافٌ قَواطِعٌ ... وَقَد حادَثوها بِالجِلاءِ وَبِالصَّقلِ (١)

فَكَم تَرَكوا مِن ناشِئٍ ذي حَمِيَّةٍ ... صَريعًا وَمِن ذي نَجدَةٍ مِنهُمُ كَهْلِ (٢)

تَبيتُ عيونُ النائِحاتِ عَلَيهِمُ ... تَجودُ بِإسبالِ الرَّشاشِ وَبالوَبْلِ (٣)

نَوائِحُ تَنعي عُتبَةَ الغَيِّ وابنَهُ ... وَشَيبَةَ تَنعاهُ وَتَنعي أَبا جَهلِ

وَذا الرِّجْلِ تَنعى وَابنَ جُدعانَ فيهِمُ ... مُسَلَّبَةً حَرّى مَبيَّنَةَ الثُّكلِ (٤)

ثَوى مِنهُمُ في بِئرِ بَدرٍ عِصابَةٌ ... ذوو نَجَداتٍ في الحُروبِ وَفي المَحْلِ

دَعا الغَيُّ مِنهُم مَن دَعا فَأَجابَه ... وَلِلغَيِّ أَسبابٌ مُرَمَّقَةُ الوَصلِ (٥)

فَأَضحوا لَدى دارِ الجَحيمِ بِمعزِلٍ ... عَنِ الشَّغبِ وَالعُدوانِ في أَشغَلِ الشُغلِ (٦)

حال الدنيا (الرمل)

يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧].. ثم إن هذا القليل ما هو إلا لعب ولهو وزينة، قال سبحانه: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد:٢٠].. وإذا كان هذا حال الدنيا..فلم الاغترار بها؟ ولم الافتتان بزخرفها الزائل؟!

يقول الإمام، رضي الله عنه، في وصف الدنيا وقصرها:

إِنَّما الدُّنيا كَظِلٍّ زائِلِ ... أَوْ كَضَيفٍ بَاتَ لَيلًا فارْتَحَلْ

أَوْ كَطَيفٍ قَد رَآهُ نائِمٌ ... أَو كَبَرقٍ لاحَ في أُفقِ الأَمَلْ!

(١) بيض: أراد بها السيوف.. حادثوها: تعهدوها.

(٢) ناشئ: صغير .. وذي حمية، وفي بعض المصادر «ذي حفيظة» وهي الغضب.

(٣) الإسبال: الإرسال.. والرشاش: المطر الضعيف.

(٤) ذا الرجل: أراد به الأسود بن عبد الأسد المخزومي الذي خرج من صفوف المشركين يريد أن يقتحم على المسلمين ليشرب من حوضهم، وقد عاهد الله أن يشرب منه أو يهدمه أو يموت، فضربه حمزة فأصابه في رجله.. والحرى: المحترقة الجوف.

(٥) مُرَمَّقة: ضعيفة، والأصل فيه: الرمق، وهو الشيء اليسير الضعيف.

(٦) الشغب: تهييج الشر وإثارة الفتن.

ذو العقل .. وذو الجهل[1] (المتقارب)

شتان بين العاقل والجاهل!! العاقل من يُحسن التدبير، ويُمعن النظر والتفكير قبل الشروع في أي أمر، مستحضرًا ما يمكن أن يؤول إليه ذلك من خير أو شر، مسترشدًا بخبرات من سبقوه.. فإذا حدث ما لم تُحمد عقباه لم يجزع، أما الجاهل فهو من يأمن للأيام، غافلًا عن كونها دولا..فلا يعتبر بأخبار السابقين، ولذا تراه يفشل في أول اختبار ، إذا لم يسلح نفسه بالحزم، ويعودها الصبر.. يقول الإمام ، رضي الله عنه:

يُمَثِّلُ ذو اللُّبِّ في نَفسِهِ ... مَصائِبَهُ قَبلَ أَن تَنزِلا
فَإِن نَزَلَت بَغتَةً لَم يُرَعْ ... لِما كانَ في نَفسِهِ مَثَّلا
رَأى الأَمْرَ يُفضي إِلى آخِرٍ ... فَصَيَّرَ آخِرَهُ أَوَّلا
وَذو الجَهلِ يَأمَنُ أَيّامَهُ ... وَيَنسى مَصارِعَ مَن قَد خَلا
فَإِن بَدَهَتهُ صُروفُ الزَمانِ ... بِبَعضِ عَجائِبِهِ أَعوَلا[2]
وَلَو قَدَّمَ الحَزمَ في نَفسِهِ ... لَعَلَّمَهُ الصَبرَ عِندَ البِلا

احفظ ماء وجهك (الكامل)

يقول رسول الله ﷺ في الحديث الصحيح : «لا تزالُ المسألةُ بأحدكم حتى يلقي الله وليْسَ في وجهه مُزْعَةُ لحم»[3] وعن عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ الْأَشْجَعِيِّ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً. فَقَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» وَكُنَّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ. فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله. ثُمَّ قَالَ: «أَلَا تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟» قَالَ: فَبَسَطْنَا أَيْدِيَنَا وَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رَسُولَ الله، فَعَلَامَ نُبَايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا (وَأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً)، وَلَا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا» فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولَئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسْأَلُ أَحَدًا يُنَاوِلُهُ إِيَّاهُ.[4]

(١) جاءت هذه الأبيات الستة في «تذكرة الخواص» لسبط ابن الجوزي، أما معظم المصادر فقد ذكرت البيتين الأولين، ثم ذكرت الأربعة الباقية في موضع آخر.

(٢) بدهته : فاجأته.

(٣) رواه مسلم في صحيحه برقم ١٠٤٠ .. ومزعة لحم : أي قطعة.. قال القاضي: معناه : يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله.

(٤) المصدر السابق برقم ١٠٤٣.

أما وإن كان لابد من المسألة ، فلتكن من كريم لا من لئيم، لم؟ هذا ما يوضحه الإمام، رضي الله عنه، حيث يقول:

مَا اعْتَاضَ بَاذِلُ وَجْهِهِ بِسُؤَالِهِ ... عِوَضًا وَلَو نَالَ الغِنى بِسُؤَالِ [1]

وَإِذا السُّؤالُ مَعَ النَّوالِ وَزَنتَهُ ... رَجَحَ السُّؤالُ وَخَفَّ كُلُّ نَوالِ

وَإِذا ابْتُلِيتَ بِبَذلِ وَجهِكَ سائِلا ... فَابذُلهُ لِلمُتَكَرِّمِ المِفضَالِ

إِنَّ الكَرِيمَ إِذا حَبَاكَ بِمَوْعِدٍ ... أَعطَاكَهُ سَلِسًا بِغَيرِ مِطَالِ

بين بدر وأحد (الوافر)

يعجب الإمام من افتخار قريش بما حققوه يوم أحد، وهو هنا يذكرهم بيوم بدرٍ وما حدث لزعمائهم.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

رأيتُ المُشْرِكِينَ بَغَوْا عَلَيْنَا ... وَلَجُّوا فِي الغِوَايَةِ وَالضَّلالِ

وقالوا: نَحنُ أَكثَرُ إِذْ نَفَرْنا ... غَدَاةَ الرَّوْعِ بِالأَسَلِ الطِّوَالِ [2]

فَإِنْ يَبْغُوا وَيَفْتَخِرُوا عَلَيْنا ... بِحَمْزَةَ وَهْوَ فِي الغُرَفِ العَوالي

فَقَدْ أَوْدَى بِعُتْبَةَ يَومَ بَدْرٍ ... وَقَدْ أَبْلَى وَجَاهَدَ غَيْرَ آلِي [3]

وَقَدْ فَلَّلْتُ خَيْلَهُم بِبَدْرٍ ... وَأَتْبَعْتُ الهَزِيمَةَ بِالرِّجَالِ

وَقَدْ غَادَرْتُ كَبْشَهُمُ جِهَارًا ... بِحَمْدِ اللهِ طَلْحَةَ فِي الضلال

فَتُلَّ لِوَجْهِهِ فَرَفَعْتُ عَنْهُ ... رَقِيقَ الحَدِّ حُودِثَ بِالصِّقَالِ [4]

كَأَنَّ المِلْحَ خَالَطَهُ إِذا ما ... تَلَظَّى كَالعَقِيقَةِ فِي الظِّلالِ

احذر زوال النعمة!! (السريع)

مما ينسب إلي الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، أنه وعظ جابر بن عبد الله الأنصاري قائلا: يا جابر، قوام الدنيا بأربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني جواد بمعروف، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه.. يا جابر من كثرت نعم الله عليه كثرت حوائج الناس

(١) ذكر الأبشيهي هذا البيت والذي يليه في المستطرف بلا عزو.
(٢) الأسل: الرماح، وكل ما رُقق وحُدَّ من الحديد من سيف أو سكين أو سنان.
(٣) هو عتبة بن ربيعة، وكان ممن أجهز عليهم حمزة يوم بدر.. غير آلي : غير مقصر.
(٤) تل : ألقاه على عنقه وخده، وفي القرآن الكريم: ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ [الصافات : ١٠٣].

إليه، فإن قام بما يجبُ فيها عرَّضها للدوام والبقاء، ومَنْ لم يقم بما يجب فيها عرَّضها للزوال والفناء[1].. ثم أنشأ، رضي الله عنه، يقول[2]:

مَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالَهَا ... إِذَا أَطَاعَ اللَّهَ مَنْ نَالَهَا

مَنْ لَمْ يُوَاسِ النَّاسَ مِنْ فَضْلِه ... عَرَّضَ لِلإِدْبَارِ إِقْبَالَهَا

فَاحْذَرْ زَوَالَ الْفَضْلِ يَا جابرٌ ... وَأَعْطِ مِنَ دنياك مَنْ سَالَهَا

فَإِنَّ ذَا الْعَرْشِ جَزِيلُ العطا ... يضعِّف بِالْحَبَّةِ أَمْثَالَهَا

وَكَمْ رَأَينا مِن ذَوي ثَروَةٍ ... لَم يَقبَلوا بِالشُّكرِ إقبالَها

تاهوا عَلى الدُنيا بِأَموالِهِم ... وَقَيَّدوا بِالبُخلِ أَقفالَها

لَو شَكَروا النِعمَةَ جازاهُمُ ... مقالةَ الشكرِ التي قالها:

«لَئِن شَكَرتُم لَأَزيدَنَّكُم» ... لكنَّما كُفرهُم غالَها

من جاوز النعمةَ بالشكرِ لم ... يَخْشَ على النعمةِ مُغْتَالها

لَو شَكَروا النِعمَةَ زادتهم ... مَقالَةٌ لِلّهِ قَد قالَها:

«لَئِن شَكَرتُم لَأَزيدَنَّكُم» ... لكنَّما كُفرهُم غالَها

وَالكُفرُ بِالنِعمَةِ يَدعو إِلى ... زَوالِها وَالشُكرُ أَبقى لَها!

صُن نفسك عما يشينها (الطويل)

كيف يحيا الإنسان مُصان العرض، كريم النفس؟ هذا ما يرسمه الإمام، رضي الله عنه، في هذه الأبيات، حيث يقول[3]:

صُنِ النفسَ، واحملها على ما يزينُها ... تَعِشْ سَالمًا والقولُ فيكَ جميلُ

ولا تُرِيَنَّ النَاسَ إلّا تجمُّلا ... نبا بك دَهْرٌ أو جَفاكَ خَليلُ [4]

وإنْ ضَاقَ رزقُ اليوم فَاصْبِرْ إلي غدٍ ... عَسى نكباتُ الدهرِ عنكَ تَزولُ

يعزُّ غنيُّ النفسِ إنْ قَلَّ مَالُه ... ويغْني غنيُّ المالِ وهو ذليلُ

(١) راجع المستطرف للأبشيهي ص ٣٣٤، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

(٢) ذكر الأبيات الأربعة الأولي سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» .. كما ذكر الأبيات الأربعة الأخيرة الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين».

(٣) تنسب هذه الأبيات أيضًا للإمام الشافعي، رحمه الله تعالي، راجع في ذلك «ديوان الإمام الشافعي» إعداد وتعليق محمد إبراهيم سليم، إصدار دار الطلائع، مصر.

(٤) نبا بك الدهر: جفاك وأعرض عنك.

ولا خَيْرَ في ودِّ امرئٍ متلونٍ ... إذا الريحُ مالتْ مال حيثُ تميلُ
جَوادٌ إذا استغنَيْتَ عن أخذِ مالِه ... وعند احتمالِ الفقرِ عنك بخيلُ
فما أكثر الإخوانِ حين تعدُّهم ... ولكنهم في النائباتِ قليلُ

سأقنع (الوافر)

عن القناعة وحفظ ماء الوجه يحدثنا الإمام، رضي الله عنه.. ثم لماذا هذا الحرص على الدنيا، وهي حتما زائلة؟! يقول الإمام، رضي الله عنه:

سأقْنعُ ما بقيتُ بقوتِ يومٍ ... ولا أبْغي مُكاثرةً بمالِ
هَبِ الدُّنْيا تُساقُ إليكَ عَفْواً ... أليسَ مَصيرُ ذاكَ إلى زوالِ[1]
وَما تَرجُو لِشَيءٍ لَيسَ يَبْقَى ... وَشِيكاً مَا تُغيِّرُهُ اللَّيالي

الآفات .. وشرها (الطويل)

يذكر الإمام أن البخل إذا كان شرَّ الآفات، فإن المطل وإخلاف الموعد أشرُّ منه!!

قال أعرابي: وعْدُ الكريم نقد وتعجيل، ووعد اللئيم مطل وتعليل.

وقال آخر: العذر الجميل خير من المطل الطويل.

هذا ما يذكره الإمام، رضي الله عنه، في الأبيات التالية، ثم يذكر حقيقة أخرى:

ما قيمة العلم إن لم يتحلَّ صاحبه بالعقل؟!

وما قيمة العقل إن لم يجمِّلْه صاحبه بالعلم؟! يقول الإمام، رضي الله عنه:

إذا اجتَمَعَ الآفاتُ فَالبُخلُ شَرُّها ... وَشَرٌّ مِنَ البُخلِ المَواعيدُ وَالمَطْلُ[2]
وَلا خَيرَ في وَعدٍ إذا كانَ كاذِبًا ... وَلا خَيرَ في قَولٍ إذا لَم يَكُن فِعلُ

(١) تكاد تجمع المصادر على نسبة هذا البيت لأبي العتاهية، وجاء قبله البيت التالي:

تعالى الله يا سلمَ بن عمرو ... أذلَّ الحرصُ أعناق الرجال

وقد ضمنه الأبشيهي في المستطرف فقال:

أيا مَنْ عاش في الدنيا طويلا ... وأفْنَى العُمْرَ في قيل وقال
وأتعْب نفسه فيما سيفْني ... وجمع من حرام أو حلال
هبْ الدنيا تُقاد إليك عفوًا ... أليس مصيرُ ذلك للزوال؟!

راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص٩٣، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

(٢) هذا البيت والذي يليه نسبهما الأبشيهي في المستطرف إلي صالح اللخمي.

إذا كُنتَ ذا علم وَلَم تَكُ عاقلا ... فَأَنتَ كَذي نَعلٍ وَلَيسَ لَهُ رِجلُ
وَإِن كُنتَ ذا عَقلٍ وَلَم تَكُ عالِمًا ... فَأَنتَ كَذي رِجلٍ وَلَيسَ لَهُ نَعلُ
أَلا إِنَّما الإِنسانُ غِمدٌ لِعَقلِهِ ... وَلا خَيرَ في غِمدٍ إِذا لَم يَكُن نَصلُ

يا من بدنياه اشتغل!! (مجزوء الرجز)

يدق الإمام، رضي الله عنه، ناقوس الخطر محذرًا من اشتغل بدنياه ونسى أخراه.. مذكرًا بأن الموت يأتي بغتة، وأنه سيوضع وحيدًا في قبره، وسيحاسب على ما عمل في دنياه.. فليعتبر من يعتبر.. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] يقول الإمام، رضي الله عنه:

يا مَنْ بدنياهُ اشْتَغَلْ ... وغَرَّه طولُ الأملْ
الموتُ يأتي بَغْتَةً ... والقَبْرُ صندوقُ العَمَلْ
ولم تزلْ في غفلةٍ ... حتى دَنا منك الأجلْ [1]

ذلُّ السؤال (الوافر)

عن النفس الحرة الأبية يتحدث الإمام، رضي الله عنه.. فهي ترفض أن يمتن عليها أحد بعطية، وتري أن العز كله في الكسب الحلال.. وتري العار كله في ذل السؤال.. وصدق من قال:

لا تحسبنَّ الموتَ موتَ البلا ... إنما الموتُ سؤال الرجال
كلاهما موتٌ ، ولكن ذا ... أخفُّ من ذاك لذلِّ السؤال!!
لَنَقْلُ الصَّخْر من قُلَل الجبال ... أَحبُّ إليَّ من مَنِّ الرِّجَال[2]
يقولُ الناسُ لي في الكسبِ عارٌ ... فقلتُ: العَارُ في ذلِّ السؤالِ
بلوتُ الناسَ قرنًا بعد قرنٍ ... ولم أر مثلَ محتالٍ بمالِ[3]
وذقْتُ مرارةَ الأشياءِ طرًّا ... فما طعمٌ أمرَّ من السؤالِ
ولم أرَ في الخطوبِ أَشَدَّ هَوْلا ... وأصعبَ من مقالات الرجالِ[4]

حقًا .. فما طعمٌ أمرُّ من السؤال!!

(١) لم يرد هذا البيت في كثير مما نسب إلي الإمام من أشعار، وذكره الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) قُلل الجبال: أعاليها.. المنن: جمع منة، وهي استكثار الإحسان والفخر به حتى يفسده.
(٣) هذه الأبيات الثلاثة ذكرها الماوردي في «أدب الدنيا والدين» حيث قال: وأنشد عبد الله بن الزبير ثلاثة أبيات جامعة لكل ما قالته العرب، وهي للأفْوَه، واسمه صلادة بن عمرو ونسبها بعضهم لأبي العتاهية.
(٤) مقالات الرجال: افتراءاتهم وأكاذيبهم على الرجل الآمن.. وفي أدب الدنيا والدين: معاداة الرجال.

ثواب الله أعلى وأنبل (الطويل)

في مقابلات وعظية بليغة يذكرنا الإمام، رضي الله عنه، بأمور قد نغفل عنها.. من ذلك:

- إذا كانت الدنيا يعدها الكثير منا نفيسة وغالية فإن ثواب الله أغلي منها وأنفس.
- وإذا كانت الأرزاق قد ضمنها الله وقسمها فلا مجال للتكالب والحرص على جمع المال.
- وإذا كان المال سيترك لمن يرثه، فإن الجود به أوْلي وأفضل من البخل.
- وإذا كان الموت حتمًا لازمًا والعمر أجلًا محددًا ، فإن الحرص على الجهاد والشهادة أوْلى وأعلى. يقول الإمام، رضي الله عنه:

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنيا تُعَدُّ نَفيسَةً ... فَإِنَّ ثَوابَ اللهِ أَعْلى وَأَنْبَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الأَرْزَاقُ حَظًّا وقِسْمَةً ... فَقِلَّةُ حِرصِ المَرءِ في الكَسْبِ أَجْمَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الأَمْوالُ للتَّرْكِ جَمْعُها ... فَمَا بَالُ مَتْروكٍ بِهِ المَرْءُ يَبخَلُ
وَإِنْ تَكُنِ الأَبْدَانُ للموتِ أُنْشِئَتْ ... فَقَتْلُ امْرِئٍ لله بالسَّيفِ أَفْضَلُ [1]

إياك وعثرات اللسان!! (الطويل)

قال أبو عبيد الله كاتب المهدي: كن عند التماس الحظ بالسكوت أحرصَ منك عند التماسه بالكلام، إن البلاء موكّلٌ بالمنطق.. وقالوا: مَنْ ضاق صدره اتسع لسانه، ومَنْ كثر كلامه كثر سقطه، ومَنْ ساء خُلقه قلّ صديقه.. وقال هرم بن حيان: صاحب الكلام بين منزلتين: إن قصّر فيه خُصم، وإن أغرق فيه أثم[2]. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

فَلا تُكْثِرَنَّ القَولَ في غَيرِ وَقْتِهِ ... وَأَدْمِنْ عَلى الصَّمْتِ المُزَيِّنِ لِلعَقْلِ
يَمُوتُ الفَتى مِنْ عَثْرَةٍ بِلِسَانِهِ ... وَلَيْسَ يَمُوتُ المَرْءُ مِنْ عَثْرَةِ الرِّجلِ [3]
وَلا تَكُ مِبْثَاثًا لِقَوْلِكَ مُفْشِيًا ... فَتَسْتَجْلِبُ البَغْضَاءَ مِن زَلَّةِ النَّعلِ [4]

ولله در القائل:

الحِلمُ زَيْنٌ والسكوتُ سلامةٌ ... فإذا نطقتَ فلا تكن مكثارًا
ما إن ندِمتُ على سكوتي مرَّةً ... إلَّا ندمتُ على الكلام مرارًا

(١) فقتل امرئ لله بالسيف : أي جهادًا في سبيله.
(٢) خصم: غلب.. أغرق فيه : تمادي، راجع في ذلك العقد الفريد لابن عبد ربه ٢/ ٣٠٣.
(٣) أورد ابن عبد ربه هذا البيت في العقد الفريد ونسبه إلي جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وتبعه بهذا البيت:
فعثرته من فيه تزمي برأسه ... وعثرتُه بالرِّجل تَبرأ على مَهْل
(٤) مبثاثًا : كثير البث، يقول وينشر دون تحفظ.

بين الشباب والمشيب (المتقارب)

في القرآن الكريم، يقول المولي عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم:٥٤] هذه هي المراحل التي يعيشها الإنسان في هذه الدُنيا، طفلًا ، شابًا، شيخًا.. ولكل مرحلة أهميتها وخطرها.. كل منها يسلم لما بعده.. ولا يمكن العودة إلي الوراء.. يقول الجاحظ:

أترجو أن تكون وأنت شيخٌ ... كما قد كنت في زمن الشباب؟!
لقد كذبتْك نفْسُك ليس ثوبٌ ... دريسٌ كالجديد من الثياب [1]

والإمام ، رضي الله عنه، هنا يرحب بالمشيب ويودع الشباب.. فيقول:

فأهْلاً وسهلًا بضيف نزَلْ ... وأستودع الله إلْفًا رحَلْ [2]
تولّي الشبابُ كأن لم يكُنْ ... وحلَّ المشيبُ كأن لم يَزلْ
فأما المشيبُ كصُبح بَدا ... وأما الشبابُ كبَدْرٍ أفَلْ
سقى اللهُ ذاك وهذا معًا ... فنِعمَ المولِّي ونعمَ البَدَلْ [3]

الحمد لله على نعمة النصر (مجزوء الرجز)

فيما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، بعد أن منَّ الله تعالى على المسلمين بالنصر يوم الخندق، قوله:

الحَمدُ للهِ الجَميلِ المُفضلِ ... المُسبغِ المُولي العَطاء المُجْزِلِ
شُكراً عَلى تَمكينِهِ لِرَسولِهِ ... بالنَّصرِ مِنهُ عَلى البُغاةِ الجُهَّلِ
كَم نِعمَةٍ لا أَستَطيعُ بُلوغَها ... جُهدًا وَلو أَعلَمتُ طاقَةَ مِقوَلي
لِلّهِ أَصبَحَ فَضلُهُ مُتَظاهِرًا ... مِنه عَلَيَّ سَأَلتُ أَم لَم أَسأَلِ
قَد عايَنَ الأَحزابَ مِن تَأييدِهِ ... جُندُ النَبيِّ ذي البَيانِ المُرسَلِ
ما فيهِ مَوعِظَةً لِكُلِ مُفَكِّرٍ ... إِن كانَ ذا عَقلٍ وَإِن لَم يَعقِلِ

(١) ثوب دريس: خَلَق بالٍ.. راجع في ذلك المستطرف للأبشيهي، طبعة مكتبة ابن سينا، القاهرة، ص٣١٣.
(٢) الإلف : المألوف والأليف.
(٣) المولّي : الشباب، والبدل: المشيب.

داري مناخ.. وزادي مباح (المتقارب)

يصف الإمام، رضي الله عنه، حاله مع من حلّ بداره ضيفًا.. فداره مناخ لمن نزل.. وطعامه مباح لمن أكل.. يقدِّم ما كان عنده حاضرًا، من غير تكلّف، ولو اقتصر ذلك على الخبز والخل. والكريم يرضي بذلك، أما اللئيم فلا.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

فَـدارِي مُـنَـاخٌ لِـمَـنْ قَـدْ نَـزَلْ ... وَزَادِي مُـبَـاحٌ لـمَـنْ قَـدْ أَكَـلْ
أُقَـدِّم مـا عـنـدَنـا حـاضِـرٌ ... وَإِنْ لَـمْ يَـكُـنْ غَـيـر خُـبزٍ وَخَـلْ
فَـأَمَّـا الـكَـرِيـمُ فَـرَاضٍ بِـهِ ... وَأَمَّـا الـلَّـئيم فـذاك الـوَبَـل [1]

صبر الفتى (الرجز)

الصبر على الفقر خير من ذل السؤال.. واحذر سؤال اللئيم!! ولله در القائل:

لا تـسـألَـنَّ إلـي صـديـق حـاجـةً ... فيحول عنك كما الـزمـان يحول
واسْـتـغْـن بـالـشـيء القليل فإنه ... مـا صـان عِـرضـك لا يُـقـال قليل

وما أحسن قول الشافعي، رحمه الله تعالى:

قَـنـعـتُ بـالـقـوت مـن زمـانـي ... وصُـنْـت نـفـسـي عـن الـهـوان
خـوفًـا مـن الـنـاس أن يـقـولـوا: ... فـضـلُ فـلانٍ عـلـى فـلانِ
مَـنْ كـنـتُ عـن مـالـه غـنـيًّـا ... فـلا أبـالـي إذا جـفـانـي
ومـن رآنـي بـعـيْـن نـقـصٍ ... رأيْـتـه بـالـتـي رآنـي

وفي هذا يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه[2]:

صَـبْـرُ الـفَـتَّـى لِـفَـقْـرِهِ يَـجِـلُّـه
وبَـذْلُـهُ لِـوجـهِـهِ يَـذِلُّـه
يَـكْـفِـي الـفَـتَـى مـن عَـيْـشِـه أَقَـلُّـه
الـخـبـزُ لـلـجـائـع أُدمٌ كُـلُّـه [3]
والـمـاءُ إنْ جـفَّ بـه يـبـلُّـه
وحـائـطٌ مـن مِـسْـجـدٍ يـظـلُّـه
والـمـوتُ يَـأتِـي بـعـدَ هـذا كُـلّـه

(١) الوبل: الثقيل.
(٢) أورد هذه الأبيات سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص».
(٣) الأدم: جمع إدام، وهو ما يستمرأ به الخبز.

إذا زلزلت الأرض زلزالها (المتقارب)

متأثرًا ببعض آيات من القرآن الكريم، يصف الإمام هول يوم القيامة، فيقول، رضي الله عنه:

إذا قَـرُبَـتْ سـاعـةٌ يـالـهَـا ... وَزُلْـزِلَـتِ الأَرْضُ زِلْـزَالَـهـا
تَـسِـيـرُ الـجـبـالُ عـلـى سُـرْعَـةٍ ... كَـمَـرِّ الـسَّـحَـابِ تَـرَى حَـالَـهـا
وَتَـنْـفَـطِـرُ الأَرْضُ مِـنْ نَـفْـخَـةٍ ... هـنـالـك تُـخْـرِجُ أَثْـقَـالَـهـا
وَلا بُـدَّ مِـنْ سـائـلٍ قـائـلٍ ... مِـن الـنـاس يـومـئـذ: مَـالـهـا؟
تُـحَـدِّثُ أَخْـبَـارهـا، ربُّـهـا ... وَرَبُّـكَ لا شَـكَّ أَوْحَـى لها!
وَيَـصْـدُرُ كُـلٌّ إلـى مَـوْقِـفٍ ... يُـقِـيـمُ الـكُـهـولَ وأَطْـفَـالَـهـا
تـرى الـنـفـسُ مـا عـملتْ مُحضرًا ... ولـو ذَرَّةً كـان مِـثْـقَـالَـهـا
يُـحـاسِـبُـهـا مَـلِـكٌ قـادِرٌ ... فـإِمَّـا عَـلَـيـهـا وإِمَّـا لـهـا
ذنـوبـي ثِـقَـالٌ فـمـا حِـيـلَـتـي ... إذا كنت في البِعْث حمَّالها؟!
تـرى الـنـاس سـكْـرى بـلا خـمـرةٍ ... ولـكـن تـرى الـعـيـنُ مَـا هـالَـهـا
نَـسِـيـت الـمـعـادَ فـيـا ويـلـهـا ... وأَعـطـيـت لـلـنـفـس آمَـالَـهـا

اجتهد ولا تكسل (الكامل)

مما ينسب إلي الإمام علي، رضي الله عنه قوله: مَنْ أطاع التداني ضيَّع الحقوق، ومن العجز طلب ما فات مما لا يمكن استدراكه، وترك ما أمكن مما تحمد عواقبه.. وفي ذلك يقول أيضًا، رضي الله عنه:

لو كـان هـذا العلم يَحْصُلُ بالمُنى ... مـا كـان يبْقَى فـي الـبـريَّـة جَـاهـلُ
اجْتهدْ ولا تكْسَلْ ولا تُـك غافلا ... فـنـدامـةُ الـعُـقْـبَـى لمن يتكاسَلُ

ولله در القائل:

على المرءِ أن يسَعْي ويبذلَ جهدَه ... ويَقْضى إلـهُ الخلقِ ما كـان قاضيا

في الشجاعة (المتقارب)

لا أحد ينكر شجاعة الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، وإقدامه، وهو الذي ينسب إليه قوله: والذي نفس ابن أبي طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهْوَنُ عليَّ من مَوْتة على فراش!! وقال

بعض العرب: ما لقينا كتيبة فيه عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه، إلَّا أوْصي بعضنا على بعض!! وعن تلك الشجاعة ، يقول الإمام، رضي الله عنه:

كـآسـادِ غـيـلٍ وأَشْـبَـالِ خـيـسٍ ... غَـداةَ الخَميس ببيضٍ صِـقَـالِ (١)
تُـجـيـدُ الـضِّـرابَ وَحَـزَّ الـرِّقـابِ ... أَمَـامَ الـعُـقـابِ غَـدَاةَ الـنِّـزالِ (٢)
تَكِيدُ الـكَـذُوبَ وَتُـجـزِي الهيوب ... وتـرْوِي الـكُـعُـوبَ دِمَـاءُ الـغـزالِ

احذر المنجمين!! (الرجز)

لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه، هذه حقيقة إيمانية، لا مجال في ذلك للعرافين والدجالين.. هذا ما يذكره الإمام، رضي الله عنه، في الأبيات التالية، حيث يقول (٣):

خَـوَّفَـنـي مُـنَـجِّـمٌ أَخُـو خَـبَـلْ ... تَـراجَـعَ الـمـرِّيـخُ فـي بيت الحَمَلْ
فَقُلتُ : دَعْني مِن أكاذيب الحِيَلْ ... المُشْتري عِـنْـدِي سَـواءٌ وَزُحَـلْ
أَدْفَـعُ عَـنْ نَفْسِي أَفانِينَ الـدُّوَلْ (٤) ... بِـخـالـقـي وَرازِقـي عَـزَّ وَجَـلْ

في رثاء خديجة ، رضي الله عنها، وأبي طالب

(الطويل)

حدث أن ماتت أم المؤمنين خديجة، رضي الله عنها، وأبو طالب في عام واحد، سمَّاه المسلمون عام الحزن.. إذ بعد موتهما تتابعت المصائب على المسلمين.. فقد كانت خديجة سندًا وعونًا لرسول الله ﷺ، وكانت أول من آمن به وصدَّقه.. كان يشكو إليها همَّه فتصبره وتبشره بأن الله عز وجل لن يخزله.. وكان أبو طالب كذلك عضدًا وحرزًا لرسول الله ﷺ في أمره، ومنعة وناصرًا على قومه.. فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله ﷺ، من الأذي ما لم تكن تطمع فيه في حياة أبي طالب.. وفي رثاء خديجة، رضي الله عنها، وأبي طالب، يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَعَـيْـنَـيَّ جُـودَا بـارَكَ الـلَّـهُ فيكُما ... عَلى هالِكَيْنِ لَا تَـرَى لَهُمَا مِثْلا
عَلى سَيِّدِ البَطحاءِ وَابـنِ رَئيسِها ... وَسَـيِّـدَةِ النِّسوانِ أَوَّلِ مَن صَلَّى (٥)
مُـهَـذَّبَـةٌ قَـد طَـيَّـبَ الـلَّـهُ خِيمَهَا ... مُبارَكَةٌ وَاللَّهُ ساقَ لَها الفَضلا (٦)

(١) آساد: جمع أسد.. والغيل : موضع الأسد.. والخميس : الجيش الجرار.. والبيض الصقال: السيوف المصقولة.
(٢) النزال: الحرب.
(٣) تنسب هذه الأبيات للصاحب بن عباد كما جاء في ديوانه.
(٤) في ديوان الصاحب بن عباد: أدفع عَنِّي كل آفات الدول.
(٥) سيد البطحاء: المراد به أبو طالب.. وسيدة النسوان: خديجة ، كما جاء في حديث رسول الله ﷺ.
(٦) الخيم: الأصل والسجية والطبيعة.

لَقَد نَصَرا فِي اللَهِ دينَ مُحَمَدٍ عَلى مَن بَغى في الدِّينِ قَد رَعَيا إلَّا [1]

عتاب (الخفيف)

بمقتل الخليفة الثالث، عثمان بن عفان، رضي الله عنه، أطلت الفتنة على المسلمين فأصابتهم، وفرّقت جمعهم، ولا يزالون يتجرعون مرارتها إلي اليوم.. وفي البيتين التاليين يعتب الإمام علي ، رضي الله عنه، على الصحابيين الجليلين: الزبير وطلحة، رضي الله عنهما، ويري أنهما ظلماه .. فيقول:

إنَّ يَوْمِي مِنَ الزُّبَيْرِ وَمِنْ طَلْـ ـحَةَ فِيما يَسُوؤنِي لَطَويلُ!
ظَلَمانِي وَلَمْ يَكُنْ، عَلِمَ اللـ ـه، إلَي الظُّلمِ لِي لِخلْقٍ سَبِيلُ

في رثاء عمار بن ياسر، رضي الله عنه (الطويل)

ذكرت بعض المصادر أن الإمام عليًّا، رضي الله عنه، مَرَّ بعمار بن ياسر، رضي لله عنه، يوم صفين، وقد استشهد، فنزل إليه ومسح عن وجهه التراب، ثم أنشأ يقول:

ألا أيُّها المَوْتُ الَّذي لَيْسَ تارِكي أَرِحْنِي فَقَدْ أَفْنَيْتَ كُلَّ خَليلِ
أَراكَ بِصيرًا بِالَّذِينَ أُحِبُّهُمْ كَأَنَّكَ تَنْحُو نَحْوَهُمْ بِدَليلِ

بينما يذكر سبط ابن الجوزي في «تذكرة الحفاظ» أن الإمام، رضي الله عنه، قال ذلك بعد أن فرغ من دفن زوجته فاطمة الزهراء، رضي الله عنها.

أنت مني بمنزلة هارون من موسي (المتقارب)

روي الإمام أحمد في مسنده أن عليًّا ، رضي الله عنه، خرج مع النبي ﷺ حتى جاء ثنية الوداع، وعليٌّ يبكي ويقول: تخلّفني مع الخوالف؟! فقال ﷺ: «أَوَ ما تَرْضَي أن تكونَ منِّي بمنزلة هارونَ من موسي إلا النبوة[2]؟». وتذكر بعض المصادر أن هناك من أهل النفاق من أشاع أن النبي ﷺ إنما خلف عليا استثقالا له، فأجابهم الإمام، رضي الله عنه، بقوله:

ألا بَاعَدَ اللهُ أهلَ النفاقِ وَأَهلَ الأَراجِيفِ وَالباطِلِ [3]
يَقولونَ لي: قَد قَلاكَ الرَسولُ فَخلّاكَ في الخالِفِ الخاذِلِ [4]

(١) الإل: العهد والذمة. (٢) المسند ١/ ١٧٠.
(٣) الأراجيف: جمع إرجاف ، وهو الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.
(٤) قلاك: أبغضك وهجرك، وفي القرآن الكريم: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾ [الضحي:٣]

وَمـــا ذاكَ إلّا لِأَنَّ الـنَـبـيَّ ... جَـفـاكَ وَمـا كـانَ بـالـفـاعِـلِ
فَـسِـرتُ وَسَـيـفـي عَـلـى عاتِقي ... إلـى الـراحِـمِ الـحـاكِـمِ الفاصِلِ
فَـلَـمـا رَآنـي هَـفـا قَـلـبُـهُ ... وَقـالَ مَـقـالَ الأَخِ الـسـائِـلِ:
أَمِـمَّـن؟ أَبِـنْ لِـيَ؟! فَـأَنـبـأتُـهُ ... بِـإرجـافِ ذي الحَسَدِ الـداغِـلِ [1]
فَـقـالَ: أَخـي أَنـتَ مِـن دونِـهِـم ... كَـهَـارونَ مـوسـى وَلَـم يَـأتَـلِ

فضل الطاعة والاقتداء بالنبي ﷺ (الخفيف)

في فضل طاعة الله عز وجل، والاقتداء بهدي النبي محمد ﷺ، يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

إنَّ عَـبـدًا أَطـاعَ رَبًّـا جَليلا ... وَقَفا الـدَّاعِـيَ النَّبيَّ الـرسُـولا [2]
فَـصَـلاةُ الإلـهِ تَـتْـري عـلـيهِ ... في دُجـي الليلِ بُـكَـرَةً وأصـيـلا [3]
إنَّ ضَـرْبَ الـعـدَاة بالبيضِ يُرضي ... سيِّـدا قـادرًا وَيـشْـفـي غَـلـيـلا [4]
لـيسَ مَـنْ كـانَ صَالحًا مُسْتَقيمًا ... مِـثـلَ مَـنْ كـانَ هـاديًـا وَذَلـيـلا
حَـسْـبِـيَ الـلـهُ عِـصْـمَـةٌ لأُمـوري ... وحَـبـيـبـي مُـحَـمـدٌ لـي خَـلـيـلا

أنا الصقر (الهزج)

يفخر الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، بشجاعته وكرمه، وحُقَّ له أن يفخر!!

فمن يكون أشجع منه وهو البطل المغوار المقدام؟! شهدت بذلك ساحات المعارك .. وشهد له الأعداء قبل الأصدقاء.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَنـا الـصَّـقْـرُ الـذي حَـدَّثَـت عَـنْـهُ ... عِـتـاقَ الطَّيرِ تَـنْـجَـدِلُ انـجِـدَالا [5]
وَقَـاسَـيـتُ الـحُـروبَ أَنـا ابـنُ سَبْع ... فَـلَـمَّـا شِـبْـتُ أَفْـنَـيْـتُ الـرِجَـالا
فَـلَـمْ تَـدَعِ الـسُّـيـوفُ لَـنَـا عـدوًّا ... وَلَـمْ يَـدَعِ الـسَّـخَـاءُ لَـدَيَّ مَـالا

(١) الداغل : الذي يضمر الشر لأصحابه وهم يحسبون أنه يريد الخير لهم.
(٢) في بعض المصادر: «واقتضي الداعي نبيا ورسولا» واقتفي : اتبع وسار على نهجه.
(٣) تتري: تتوالي.
(٤) البيض : جمع أبيض وهو السيف.
(٥) العتاق من الطير : الجوارح.

الاغترار بالأمل (المجزوء)

قال بعض السلف: من عمل للآخرة أحرزها والدنيا.. ومَنْ آثر الدنيا حُرمها والآخرة!!

وقال بعض الحكماء: الطبيب معذور إذا لم يقدرْ على دفع المحذور!!

وقال حكيم: اغْتنم تنفُّس الأجَل، وإمكانَ العمل، واقطع ذكر المعاذير والعلل، فإنك في أجل محدود، ونَفَس معدود، وعمر غير ممدود. ومما ينسب للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، أنه قال[1] بعد وفاة رسول الله ﷺ:

غَـــرَّ جَـــهُـــولاً أَمَـــلُـــهْ ... يَـــمُـــوتُ مَـــنْ جَـــا أَجَـــلُـــهْ

وَمَـــنْ دَنَـــا مِـــنْ حَـتْـفِـهِ ... لَـــمْ تُـــغْـــنِ عَـــنْـــهُ حِـيَـلُـهْ

وَمَـــا بَـــقَـــاءُ آخِـــرٍ ... قَـــدْ غَـــابَ عَـــنْـــهُ أَوَّلُـــهْ

وَالـــمَـــرْءُ لَا يَـــصْـــحَـــبُـــهُ ... فِـــي الْـــقَـــبْـــرِ إِلَّا عَـــمَـــلُـــهْ

غُرِّي غيري!! (الطويل)

تخيل الإمام، رضي الله عنه، الدنيا وقد أتته بكامل زينتها، إلا أنه أعرض عنها، محتقرًا فتنتها، قائلا لها: غُرِّي سواي!! ويصور الإمام ذلك في هذا الحوار فيقول، رضي الله عنه[2]:

لَـقَـد خَـابَ مَـن غَـرَّتْـهُ دُنـيَـا دَنِيَّة ... وَمـا هِـيَ إِنْ غَـرَّتْ قُرونًا بِطَائِل [3]

أَتَـتْـنَـا عَـلـى زَيِّ الـعـزيـز بُثَينَة ... وَزِينَتُها فِي مِثْلِ تلكَ الشَمَائِلِ [4]

فَـقُـلْـتُ لَـهـا: غُـرِي سِـوَايَ فَإِنَّني ... عَـزوفٌ عَـنِ الدُّنيا وَلَـسْـتُ بِجَاهِلِ

وَمـا أَنـا وَالـدُّنـيـا فـإِنَّ مُـحَـمَّـدًا ... رَهِـينٌ بِقَفرٍ بَـينَ تِـلـكَ الـجَـنـادِلِ

وَهَـبْـهـا أَتَـتـنـا بِـالـكُـنـوزِ وَدُرِّهـا ... وَأَمـوالِ قَـارونَ وَمُـلـكِ القَبائِلِ

أَلَـيـسَ جَميعاً لِلفناءِ مَصيرُها ... وَيُـطـلَـبُ بِـه خُـزَّانـهـا بِـالـطَـويـلِ [5]

فَـغُـرّي سِـواي إِنَّـنـي غَـيـرُ راغِـبٍ ... لما فيكِ مِن عِزٍّ وَمُـلـكٍ ونـائِلِ

وَقَـد قَنعت نَفسي بِما قَـد رُزِقـتُـهُ ... فَـشَـأنُـكِ يـا دُنـيـاً وَأَهـلُ الغَوائِلِ

وإِنِّـي أَخـافُ الـلَّـهَ يَـومَ لِـقـائِـهِ ... وَأَخـشـى عَـذابـاً دائِـمـاً غَـيـرَ زائِـلِ

---

(١) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما نسب إلي الإمام من أشعار، وإنما ذكرها الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» وعدها للإمام علي.

(٢) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وإنما ذكرها الكيدري في «أنوار العقول».

(٣) دُنيَّا: تصغير دنيا، وهو تصغير لتحقير شأنها.

(٤) يُقال إنه شبهها ببثينة بنت عامر الجمحي، وكانت من أجمل نساء قريش.

(٥) هكذا في (أنوار العقول).

وصايا غالية (الكامل)

هذه مجموعة من وصايا الإمام، ضمنها الأبيات التالية.. إن في ذلك لذكري لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد.. يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

لا تَجْزَعَنَّ من الهُزَال فَرُبَّما ... ذُبِحَ السَّمِينُ وعُوفِي المَهْزُولُ

واجعلْ فُؤَادَك لِلتوَاضع مَنْزِلا ... إنَّ التواضُعَ بالشَريفِ جَمِيلُ

وإذا حَمَلْتَ إلى القبور جنازةً ... فاعلم بأنك بعدها محمولُ

وإذا وُلِّيتَ أمورَ قوم لَيلَةً ... فاعلمْ بأنَّكَ عَنْهُم مَسؤُولُ

يا صاحبَ القبر المنقش سَطْحُهُ ... ولَعلَّه من تحتِه مَغْلُولُ

ما ينفَعَنَّهُ أنْ يكونَ مُنقشًا ... وعليه من حلق العَذاب كبول[2]

لا تغترر بنعيمِهم وبِمُلْكِهِمْ ... المُلكُ يَفْنَى والنعيمُ يَزُولُ

الغني ... والكريم... والفقيه (الكامل)

في دنيا الناس قد تختلط المفاهيم، وتخرج عن معناها الصحيح الذي أريد لها.. فالغني مَنْ كثر ماله.. والكريم من كثر عطاؤه.. والفقيه من كثر قوله ووعظه.. ولكن .. هل الأمر كذلك؟ إن الإمام هنا يصحح لنا المسار، ويردنا إلي جادة الطريق، محددًا: من هو الغني؟ ومن هو الكريم؟ ومن هو الفقيه؟ يقول، رضي الله عنه[3]:

إنَّ الغَنِيَّ هوَ الغَنِيُّ بِقلْبِهِ ... ليسَ الغَنِيُّ هوَ الغَنِيُّ بمالِهِ

وكَذا الكريمُ هو الكريمُ بخُلُقِه ... ليس الكريمُ بقوْمِهِ وبآلِهِ

وكَذا الفقيهُ هو الفقيهُ بحالِهِ ... ليسَ الفقيهُ بنُطْقِهِ ومقالِهِ

عمر الإنسان .. كيف يمضي؟ (الهزج)

كيف تقاس الأعمار؟ هل تقاس بالأيام والسنين؟ أم تقاس بالأعمال؟

وكيف يقضى الإنسان عمره؟

هذا ما يوضحه الإمام، رضي الله عنه، وهو الحكيم الرشيد، فيقول[4]:

(١) لم ترد هذه الأبيات ضمن كثير مما هو منسوب للإمام من أشعار ، وإنما ذكرها الكيدري في «أنوار العقول».

(٢) الكبول : جمع كبل ، وهو القيد.

(٣) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرها الكيدري في «أنوار العقول».

(٤) ذكر هذه الأبيات الكيدري في «أنوار العقول» بينما لم يرد ذكرها في كثير مما نسب للإمام من أشعار.

إذَا عَـاشَ امـرؤٌ سِتِّـيـنَ عَـامًـا ... فَنِصْفُ الـعُـمْـرِ تَـمْـحُـوهُ اللَّيَالِي
وَنِصْفُ العُمْرِ يَمْضِي لَيْسَ يَدْرِي ... بِـغَـفْـلَـتِـهِ يَـمِـيـنًـا عَـنْ شِـمَـالِ
وَثُـلْـثُ الـنِّـصْـفِ آمـالٌ وَحِـرْصٌ ... وَشُـغْـلٌ بِـالـمَـكَـاسِـبِ والـعِـيَـالِ
وَبَـاقِـي الـعُـمْـرِ أَسْـقَـامٌ وَشَـيْـبٌ ... وَهَـمٌّ بِـارْتِـحَـالٍ وَانْـتِـقَـالِ
فَـجِـدُّ الـمَـرْءِ طُـولَ الـعُـمْـرِ جَهْلٌ ... وَقِـسْـمَـتُـهُ عَـلَـى هَـذَا الْـمِـثَـالِ

بين الخوف والرجاء (الطويل)

يقول الإمام النووي[1]، رحمه الله تعالي: اعلم أن المختار للعبد في حال صحته أن يكون خائفاً راجياً، ويكون خوفه ورجاؤه سواء، وفي حال المرض يُمَحِّضُ الرجاء، وقواعد الشرع من نصوص الكتب والسنة وغير ذلك متظاهرة على ذلك. قال الله تعالى ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[يوسف :٨٧] وقال رَسُول الله صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قال: "لَوْ يَعْلَمُ المُؤْمِنُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ العُقُوبَةِ، ما طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكافِرُ مَا عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنِطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ»[2]. وعن الخوف والرجاء يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه[3]:

أخـافُ وأرجـو عَـفْـوَهُ وعِـقَـابَـهُ ... وأعـلـمُ حَـقًّـا أَنَّـهُ حـكـمٌ عَـدْلُ
فـإنْ يَـكُ عَـفْـوًا فهوَ مِـنْـهُ تَفَضلٌ ... وإنْ يَـكُ تَـعْـذِيـبًـا فـإنِّـي لَـهُ أَهْـلُ

سرورك من الدنيا غرور (الطويل)

قال بعض البلغاء: الدنيا لا تصفو لشارب، ولا تبقي لصاحب ، ولا تخلو من فتنة، ولا تُخلي محنة.. فأعرضْ عنها قبل أن تُعرضَ عنك، واستبدل بها قبل أن تستبدل بك.. فإن نعيمها يتنقَّل، وأحوالها تتبدَّل، ولذاتها تفني ، وتبعاتها تبقي[4].

وفي هذا المعني يقول الإمام، رضي الله عنه[5]:

مَضي الدهرُ والأيـام والذنبُ حاصلُ ... وأنـتَ بما تَهوى عن الحقِّ غافلُ

(١) رياض الصالحين، باب الجمع بين الخوف والرجاء.
(٢) رواه مسلم، في كتاب التوبة ، باب في سعة رحمة الله ٤/ ٢١٠٩.. وقنط يأس.
(٣) لم يرد البيتان ضمن كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».
(٤) أدب الدنيا والدين للماوردي ، بتحقيق هاني الحاج ص١٠٩.
(٥) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرها الكيدري في «أنوار العقول».

سُـــرورُك فـي الدُنيا غـــرورٌ وغفلةٌ ... وَعَيشُكَ في الدُنيا مَحالٌ وباطِلُ
تَـــزودْ مـن الـدُنـيـا فَـإنَّـك راحِـلُ ... وبـــادرْ فـإنَّ الـمـوتَ لا شـكَّ نَـازِلُ
ألَا إنَّما الدُّنيا كمنزِلِ راكِبٍ ... أراحَ عَشيًّا وهـوَ في الصبح راحِلُ

وقد أحسن من قال:

ألا إنَّـمـا الـدُّنـيـا كَـأَحْـلامِ نَـائِـمِ ... وَمَـا خَـيْـرُ عَـيْـشٍ لَا يَـكُـونُ بِـدَائِـمِ
تَـأَمَّـلْ إذَا مَـا نِـلْـت بِـالأَمْـسِ لَـذَّةً ... فَأَفْنَيْتَهَا هَـلْ أَنْـتَ إلَّا كَحَالِمِ
فَـكَـمْ غَـافِـلٍ عَـنْـهُ وَلَـيْـسَ بِغَافِلٍ ... وَكَـمْ نَـائِـمٍ عَـنْـهُ وَلَـيْـسَ بِـنَـائِـمِ

صيدي .. وصيد الملوك (الكامل)

يتحدث الإمام، رضي الله عنه، عن شجاعته ، التي لا ينازعه فيها أحد..فهو البطل المقدام.. ويذكر أن جُل همه هو صيد تلك الرؤس التى تقف عثرة في سبيل الدعوة إلي الله.. لا كهؤلاء المدللين من الملوك والأمراء الذين يقضون وقتهم عبثًا ولهوا في صيد الأرانب والثعالب.. يقول الإمام، رضي الله عنه [1]:

صَـيْـدُ الـمـلـوكِ أرانـــبٌ وثعالبُ ... وإذا ركـبْـتُ فـصـيْـدي الأبـطـالُ
صيْـدُ الـفـوارسِ فـي اللقاءِ وإنَّني ... عند الـوغَـى لغضنْفرٌ قَـتَّـالُ[2]

قافية الميم:

لنا الراية الحمراء (الطويل)

في يومِ صفين، رأي الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، الحُضَيْن بن المنذر، وهو يومئذ غلام، مقبلا عليه يزحف برايته الحمراء، راية ربيعة، فأعجب الإمام بزحف الحُضَيْن، فأنشأ يقول:

لنا الـرايَـةُ الـحَـمـراءُ يَـخـفـقُ ظِلُّها ... إذا قيلَ: قَدِّمها حُضَيْنُ تَقَدَّمَا [3]
وَيَـدْنـو بِها في الصَّفِّ حَتَّى يـردْ بها ... حِيَاضَ المَنَايَا تَقطرُ الموتَ وَالدَّما [4]

---

[1] لم يذكر هذان البيتان في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وذكرهما الكيدري في «أنوار العقول».
[2] الوغى : الحرب.. والغضنفر : الأسد
[3] وعند ابن رشيق في العمدة : لمن راية حمراء.. إذا قلتُ .. وذكره أيضًا ابن عبد ربه في العقد الفريد بعضًا من هذه الأبيات مع اختلاف في الألفاظ ٣/ ٢٢٢.
[4] في المصدر السابق: فيوردها في الصف.

تَـــراهُ إذا مـا كـــانَ يَـــومُ كَـريـهَـةٍ أَبَـــى فـيـهِ إلَّا عِـــزَّةً وَتَـكَـرُّمـا
وَأَحـزمِ صَبرًا حينَ يُدْعَى إلى الوَغَى إذَا كـانَ أَصْـواتُ الكُماة تَغَمْغُمَا [1]
وَقَـد صَـبَـرت عَـكٌّ وَلَـخـمٌ وَحميرُ لِـمذحِجَ حَـتَّـى أَورَثُـوهـا التَنَدُّما
وَنـادَت جُـذامٌ: يا لَـمَذْحِجَ وَيلَكُم جَـزى الـلَّـهُ شَـرًّا أَيُّـنـا كـانَ أَظلَما
أَمـا تَـتَّـقـونَ الـلَّـهَ فـي حُـرُمـاتِـكُـم وَمـا قَـرَّبَ الـرَحـمَـنُ منها وَعَظَّمَا
جَـزى الـلَّـهُ قَـوْمًـا قاتَلوا في لِقائِهِمْ لَـدَي البَـأسِ خَيرًا ما أَعَـفَّ وَأَكْـرَمـا
ربـيـعَـةَ أَعْـنـي إنَّـهُـم أَهـلُ نَـجـدَةٍ وَبَـأسٍ إذَا لاقَـوا خَميسًا عَرَمْرَمَا [2]
أَذَقـنـا ابـنَ حَـربٍ طَعنَنا وَضَـرابَـنـا بِـأسيـافِـنـا حَـتَّـى تَـولَّـى وَأَحْـجَـمـا
وَحَـتَّـى يُـنـادي زَبَّـرَقـانَ بـنُ أَظلَـمٍ وَنـادى كِـلاعـاً وَالـكَـريـبَ وَأَنـعَـمـا
وَعَـمـرًا وَسُـفـيـانَ وَجَـهـمًـا وَمالِكًا وَحَـوشَـبَ والـداعي شريحًا وَأَظلَما
وَكَـرزَ بن نَبهانَ وَعَـمـرو بن جُحْدرٍ وَصَـبـاحًـا الـقَـيـنـيِّ يَـدعـو وَأَسـلَـمـا

الدهر قاض (الرجز)

عن الدنيا وهوانها ، وسرعة مرورها، والتحذير من الاغترار بها.. يقول الإمام، رضي الله عنه[3]:

مَـا الـدَّهْـرُ إلَّا يَـقْـظَـةٌ وَنَـومُ وَلَـيْـلَـةٌ بَـيْـنَـهُـمَـا وَيَـومُ
يَـعِـيـشُ قَـومٌ وَيَـمُـوتُ قَـوْمُ وَالـدَّهْـرُ قَـاضٍ مَـا عَـلَـيـهِ لَـومُ

وهل الدهر غير ذلك؟! فيا سعد من أدرك الحقيقة واتعظ بها، وأخذ الأمور مأخذ الجد ولم يفرط!!

ذكر بني همدان يوم صفين (الطويل)

بقول ابن رشيق القيرواني في كتابه «العمدة في محاسن الشعر»: ومن شعر على بن أبي طالب، رضي الله عنه، وكان مجوِّدًا، ما قاله يوم صفين يذكر هَمْدان ونصرهم إياه[4]:

وَلَـمَّا رَأَيـتُ الخَيلَ تُـقـرَعُ بِالقَنا فَـوارِسُـهـا حُـمـرُ الـعُـيـونِ دَوامـي

(١) الكماة: جمع كمي، وهو الشجاع المقدام الجريء .. غمغم الأبطال: صوَّتوا عند القتال.
(٢) الخميس : الجيش.
(٣) ذكر هذه الأبيات سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص».
(٤) ذكر ابن رشيق الأبيات الخمسة الأولي، وكذا البيت الحادي عشر والأخير، مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.. راجع العمدة في محاسن الشعر، ١/ ٢٩ بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، إصدار دار الطلائع، مصر.

وَأَقبَلَ رَهجٌ في السماءِ كَأَنَّه ... غَمامَةُ دَجْنٍ مُلبَسٍ بِقَتامِ [1]

وَنادى ابنُ هِندٍ في الكِلاعِ وحِميرٍ ... وكِندَةَ في لَخمٍ وَجَيٍّ جُذامِ

تَيَمَّمتُ «هَمدانَ» الَّذينَ هُمُ هُمُ ... إِذا نابَ دهرٌ جُنَّتي وَحُسامي

وَنادَيتُ فيهِم دَعوَةً فَأَجابَني ... فَوارِسُ مِن هَمدانَ غَيرُ لِئامِ

فَوارِسُ مِن هَمدانَ لَيسوا بِمَعْزَلٍ ... غُداةَ الوَغى مِن شاكِرٍ وَشِبامِ [2]

وَمِنْ أَرحَبَ الشُّمِّ المطاعينِ بِالقَنا ... وَرُهْمٍ وَأَحياءِ السَّبيعِ وَيامِ

وَمِن كُلِّ حَيٍّ قَدْ أَتَتني فَوارِسٌ ... ذَوُ نَجَداتٍ في اللِقاءِ كِرامِ

يَقودُهُم حامي الحَقيقَةِ مِنْهُمُ ... سَعيدُ بنُ قَيسٍ والكَريمُ يُحامي

فَخاضُوا لَظاهَا وَاصْطَلوا بِشَرارِها ... وَكانُوا لَدى الهَيْجا كَشُرْبِ مُدامِ

جَزى اللَهُ هَمْدانَ الجِنانَ فَإِنَّهُم ... سِمامُ العِدى في كُلِّ يَومِ خِصامِ

لِهَمدانَ أَخلاقٌ وَدينٌ يَزينُهُم ... وَبأسٌ إِذا لاقوا وَحُسنٌ كَلامِ

مَتى تَأتِهِم في دارِهِم لِضيافَةٍ ... تَبِتْ عِندَهُم في غِبطَةٍ وَطَعامِ

أَلا إِنَّ هَمدانَ الكِرامَ أَعِزَّةٌ ... كَما عَزَّ رُكْنُ البيتِ عِنْدَ مُقامِ

أُناسٌ يُحِبُّونَ النَبِيَّ وَرَهطَهُ ... سِراعٌ إِلى الهَيجاءِ غَيرُ كَهامِ [3]

إِذا كُنْتُ بَوَّابًا عَلى بابِ جَنَّةٍ ... أَقولُ لِهَمدانَ اِدخُلوا بِسَلامِ

أفاطم!! (الطويل)

روي الحاكم في مستدركه أن عليًّا، رضي الله عنه، جاء بسيفه يوم أُحُدٍ قد انحني، فقال لفاطمة، رضي الله عنها: هاكِ السيف حميدًا فإنها قد شفتني.

فقال رسول الله ﷺ: «لئن كنتَ أَجَدْتَ الضرب بسيفك لقد أجادَه سهل بن حنيف، وأبو دُجانة، وعاصم بن ثابت الأفلح، والحارث بن الصمة».

قال ابن إسحاق: وقال علي، رضي الله عنه، حين ناول فاطمة السيف [4]:

أَفاطِمُ هَاكِ السَّيفَ غَيرَ ذَمِيمِ ... فَلَسْتُ بِرِعْدِيدٍ وَلَا بِلَئِيمِ [5]

(١) الرهج: السحاب الرقيق كأنه غبار.. الدجن: إلباس الغيم الأرض وأقطار السماء.. القتام: الغبار الأسود.

(٢) شاكر وشبام: بطنان من همْدان ، وكذا السبيع كما في البيت التالي.

(٣) الكهام: الرجل يبطئ النصرة في الحرب، ويخذل صديقه.

(٤) ذكر فقط البيتين الأول والثاني.. راجع المستدرك ٣/ ٢٤. وذكر سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» ستة من هذه الأبيات.

(٥) أفاطم: أسلوب نداء، أي : يا فاطمة .. هاك : خذي.. الرعديد : الجبان يرتعد ويضطرب عند القتال.

أَفاطِمُ قَدْ أَبْلَيتُ فِي نَصرِ أَحْمَد ... وَمَرْضَاةِ رَبٍّ بِالعِبَادِ رَحِيمِ
أُرِيدُ ثَوَابَ اللهِ لا شَيْءَ غَيْرَهُ ... وَرِضْوَانَهُ فِي جَنَّةٍ وَنَعِيمِ
وَكُنْتُ امرءًا أَسْمُو إِذا الحَرْبُ شَمَّرَتْ ... وَقَامَتْ عَلَى سَاقٍ بِغَيْرِ مُلِيمِ
أَنَمْتُ ابْنَ عَبْدِ الدَّارِ حَتَّى ضَرَبْتُهُ ... بِذِي رَوْنَقٍ يَفْرِي العِظَامَ صَمِيمِ
فَغَادَرْتُه بالقَاعِ فَارْفَضَّ جَمْعُهُ ... وأشفيت منهم صدر كلّ حليم
وَسَيْفِي بَكَفِّي كَالشِّهَابِ أَهُزُّهُ ... أَجُذُّ بِهِ مِنْ عَاتِقٍ وصَمِيمِ

إن المعاصي تزيل النعم (المتقارب)

هذه مجموعة من المواعظ السديدة، والحكم الرشيدة التي يسديها الإمام، وهو الخبير بأمور الدنيا وأحوال الآخرة، لعلها تتمكن من قلب المؤمن فتكون سببا للنجاة.. يقول الإمام، رضي الله عنه[1]:

إِذا كُنتَ فِي نِعمَةٍ فَارْعَها ... فَإِنَّ المَعَاصِي تُزِيلُ النِّعَمْ
وَحَافِظْ عَلَيْهَا بِتَقْوَى الإِلَهِ ... فَإِنَّ الإِلَهَ سَرِيعُ النِّقَمْ
فَإِن تُعْطِ نَفْسَكَ آمَالَهَا ... فَعِندَ مُنَاهَا يَحِلُّ النَّدَمْ
فَأَيْنَ القُرُونُ وَمَنْ حَوْلَهُم ... تَفَانَوا جَمِيعًا وَرَبِّي الحَكَمْ
وَكُن مُوسِرًا شِئْتَ أو مُعْسِرًا ... فَمَا يُقْطَعُ العَيْشُ إِلَّا بِهَمْ
حَلاوَةُ دُنْيَاكَ مَسمُومَةٌ ... فَلا تَأْكُلُ الشَّهدَ إِلَّا بِسُمّ
مُحَامِدُ دُنْيَاكَ مَذمُومَةٌ ... فَلا تَكسِبُ الحَمْدَ إِلَّا بِذَم
إِذا تَمَّ أَمرٌ بَدا نَقصُهُ ... تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قِيلَ تَمّ
وَكَمْ قَدرٍ دَبَّ فِي غَفْلَةٍ ... فَلَمْ يَشْعُرِ النَّاسُ حَتَّى هَجَمْ

في قتلي صفين (الطويل)

كان ممن استشهد في يوم صفين عمار بن ياسر، وهاشم بن عتبة، صاحب راية عليٍّ[2]، وغيرهما من أسْلم، من القرَّاء، فحزن عليهم الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، ومرَّ عليهم وهم قتلى.. وأنشأ يقول:

(١) أورد الماوردي ستة من هذه الأبيات في كتابه «أدب الدنيا والدين» بلا عزو، مع اختلاف في ترتيبها.
(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٧/ ٢٩٤.

جَـزَى الله خيـرًا عُصْبةً أسْلَمِيَّةً صِباحَ الْوُجُوهِ ضُرِّجُوا حَولَ هاشِم
يـزيـدُ وَعَـبْـدُ الـلـه فيهم وَمَـعْـبَـدٌ وسلمانَ وَابْـنـا هاشِم ذي المكارِم
وَعُـــرْوَةُ لا يَنأي فَـقَـدْ كَـانَ فارِسًا إذَا الحَرْبُ هاجَتْ بالقَنا وَالصَّوارِم
إذَا اخْتَلَفَ الأبْطالُ وَاشْتَبَكَ القَنا وَكَانَ حَدِيثُ القَوْمِ ضَرْبَ الجَماجِم

لو أطاعوني!! (الوافر)

عن أحداث يوم صفين، ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أن معاوية خشي أن يتابع القُرَّاءُ كلهم عليًّا، فكتب في سهم: من عبد الله الناصح، يا معشر العراق، إن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات ليغرقكم، فخذوا حذركم، ورمي به في جيش أهل العراق، فأخذه الناس وتحدثوا به، وذكروا ذلك لعليٍّ، فقال: إن هذا ما لا يكون ولا يقع، وشاع ذلك.. وبعث معاوية مائتي فاعل يحفرون في جنب الفرات، وبلغ أهل العراق ذلك فخافوا وفزعوا إلي الإمام عليٍّ، فقال: ويْحكم!! إنه يريد خديعتكم ليزيلكم عن مكانكم هذا لينزل فيه، لأنه خير من مكانهم.. فقالوا: لابد أن نخلي عن هذا الموضع، فارتحلوا، وجاء معاوية فنزل بجيشه، وكان عليٌّ آخر من ارتحل، فنزل بهم، وهو يقول[1]:

فَـلَـوْ أنِّـي أطِـعْـتُ عَصَبْتُ قَوْمِي إلـي رُكـنِ الـيَـمـامَـةِ أوْ شَـآمِ
وَلَـكِـنِّـي إذَا أبْـرَمْـتُ أمْـرًا مُـنِـيـتُ بِـخُـلْـفِ آراءِ الـطـغـامِ[2]

إلَّا بقية (الطويل)

يتحسر الإمام على الإسلام، لما صار إليه بعض الناس، من ابتعادهم عن أحكام الشرع وإهمالهم لحدوده.. فيقول، رضي الله عنه:

لِيَبْكِ عَلى الإسـلامِ مَن كَـانَ باكِياً فَـقَـد تُـرِكَـت أرْكَـانُـهُ وَمعالِمُه
لَـقَـد ذَهَـبَ الإسـلامُ إلّا بَـقِـيَّةٌ قَليلٌ مِـنَ الـنّـاسِ الّـذي هُـوَ لازِمُـه

قال الإمام، رضي الله عنه، ذلك وهو يعيش عصر النبوة، تري ماذا كان يقول لو قدِّر له أن يعيش بيننا الآن؟!

(١) راجع البداية والنهاية ٧/ ٢٨٣

(٢) الطغام: أراذل الناس وأوغادهم.

من يقوم مقامي؟! (الكامل)

عن شجاعته وإقدامه، وهو الشجاع المقدام بلا منازع، يقول الإمام، رضي الله عنه:

يا عَمْرُو قَدْ لاَقَيْتَ فارسَ هِمَّةٍ ... عِنْدَ اللِّقَاءِ مُعَاوِدَ الإِقْدَامِ
مِن آلِ هَاشِمٍ مِنْ سَنَاءٍ باهِرٍ ... وَمُهَذَّبِينَ مُتَوَّجِينَ كِرَامِ
بِمُهَنَّدٍ عَضْبٍ رَقِيقٍ حَدُّهُ ... ذِي رَوْنَقٍ يَفْرِي الفِقَارَ حُسَامِ
وَمُحَمَّدٌ فِينَا كَأَنَّ جَبِينَهُ ... شَمْسٌ تَجَلَّتْ مِنْ خِلالِ غَمَامِ
واللهِ نَاصِرُ دِينِهُ وَنَبِيِّهُ ... وَمُعِينُ كُلِّ مُوَحِّدٍ مِقْدَامِ
شَهِدَتْ قُرَيْشٌ والقبائلُ كُلُّها ... أَنْ لَيْسَ فِيهَا مَنْ يَقُومُ مَقَامِي!

الدنيا بين إقبال وإدبار (الطويل)

لا يأمن الدنيا عاقل.. إنما العاقل من أحسن استثمارها في الصالحات لينعم في الآخرة.. وسبق ذكر قول الإمام:

ومَنْ يأمنِ الدنيا يكنْ مثلَ قابضٍ ... على الماءِ خانته فروجُ الأصابع

وقال بعض الشعراء[1]:

ومن عادة الأيام أن خُطوبَها ... إذا سَرَّ منها جانبٌ ساءَ جانبُ
وما أعرِف الأيام إلَّا ذميمةً ... ولا الدهْرَ إلَّا وهو للثأر طالبُ

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

فَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسُرُّهُ ... فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَن قَلِيلٍ يَلُومُهَا
إِذَا أَقْبَلَتْ كَانَتْ عَلَى المَرءِ حَسرةً ... وَإِنْ أَدْبَرَتْ كَانَتْ كَثِيرةً هُمُومُهَا

أنا بالدهر عليم (مجزوء الرمل)

ولا يزال الإمام، رضي الله عنه، يحذرنا من الاغترار بالدهر، فهو من أعلم الناس بأحواله وأخباره.. فسروره قليل، وهمومه كثير... يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَنَا بِالدَّهْرِ عَلِيمٌ ... وَأَبُو الدَّهْرِ وَأُمُّهْ
لَيْسَ يَأْتِي الدَّهْرُ يَوْمًا ... بِسُرُورٍ فَيُتِمُّهْ

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي، بتحقيق هاني الحاج ص١٤٧.

وإذَا سَـــرَّكَ يـومًـا فَـغـدًا يـأتـيـك هَـمُّـهُ

وقد أحسن من قال:

حسنت ظنَّك بـالأيـام إذْ حَسُنتْ ولـم تَخفْ سـوءَ ما يأتي به القَدَر
وسالمتْك الليالي فـاغْـتـررت بها وعند صفْوِ الليالي يحدثُ الكدر

في فضل الحارث بن الصمة (الرجز)

هو الحارث بن الصمة الأنصاري الخزرجي.. كان رسول الله ﷺ قد آخي بينه وبين صهيب بن سنان..شهد أحُدًا، وفيه يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

لا هَـمَّ إنَّ الـحَـارثَ بـنَ صِمَّه [1] أهْـلُ وَفَـاءٍ صَـادِقٍ وَذِمَّـهْ
أقْـبَـلَ فـي مَـهَـامِـهٍ مُـهِـمَّـهْ فـي لَـيـلَـة لَـيْـلاءَ مُـدْلَـهِـمَّـه [2]
بـيـنَ رِمَـاحٍ وَسُـيُـوفٍ جَـمَّـهْ يَـبْـغِـي رَسُـولَ الـلـهِ فِـيـهَـا ثَمَّه

الله أكرمنا (الكامل)

تذكر بعض المصادر أنه اجتمع جماعة من قريش عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وكان من بينهم علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، فتذاكروا الشرف، وعليٌّ، رضي الله عنه ساكت، فقال عمر: مالك يا أبا الحسن؟ فأنشأ عليٌّ، رضي الله عنه هذه الأبيات [3]:

الـلَّـهُ أكْـرَمَـنـا بـنَـصـرِ نَـبـيِّـه وبـنـا أقَـامَ دَعَـائِـمَ الإسـلام
وَبـنـا أعَـزَّ نَـبـيَّـهُ وَكِـتَـابَـهُ وأعَـزَّنَـا بـالـنَّـصْـرِ والإقْـدَام
وَيَـزُورُنـا جـبـريـلُ فـي أبْـيَـاتِـنَـا بـفَـرَائِـضِ الإسْـلام والأحْـكـام
فَـنَـكُـونَ أوَّلَ مَـسْـتَـحِـلٍّ حِـلَّـهُ وَمُـحَـرِّمٍ لـلـه كُـلَّ حَـرَام
نَـحْـنُ الـخِـيَـارُ مِـنَ الـبَـرِيَّـةِ كُلِّها وَنِـظَـامُـهـا وَزِمَـامُ كـلِّ زِمَـام
الـخـائِـضُـون غِـمَـارَ كـلِّ كَـرِيـهَـةٍ وَالـضَّـامِـنُـونَ حَـوَادِثَ الأيَّـام
والـمُـبْـرِمُـونَ قِـوَى الأمُـورِ بِـعِـزَّةٍ والـنـاقِـضُـونَ مَـرَائِـرَ الإبْـرَام
فـي كـلِّ مُـعْـتَـرَكٍ تُـطَـيِّـرُ سُـيُـوفُـنا فيه الجماجمَ عَـنْ فِـراخِ الـهَـام [4]
إنَّـا لـنَـمْـنَـعُ مَـنْ أرَدْنَـا مَـنْـعَـهُ وَنَـجُـودُ بـالـمَـعْـرُوفِ والإنـعَـام

(١) وفي بعض المصادر : يا رب إن الحارث..
(٢) مدلهمة : شديدة الظلمة.
(٣) وتذكر مصادر أخري أن هذه الأبيات قالها حسان بن ثابت ضمن أبيات أخري.
(٤) فراخ : جمع فرخ ، وهو مقدم الدماغ .. الهام : جمع هامة وهي الرأس

وَتَـــرُدُّ عَـــادِيَـــةَ الخَمِيسِ سُيُوفُنَا وَنُقِيمُ رِأْسَ الأَصْـيَـدِ القَمْقَامِ [1]

لا تحزن على ما فاتك (الوافر)

دخل مسلمة بن زيد بن وهب على عبد الملك بن مروان فقال له: أي الزمان أدركته أفضل؟ وأي الملوك أكمل؟ فقال: أما الملوك فلم أر إلا حامدًا وذامًا.. وأما الزمان فيرفع أقوامًا ويضع آخرين، وكلهم يذكر أنه يبلي جديدهم، ويفرق عديدهم، ويهرم صغيرهم، ويهلك كبيرهم[2]!! يقول الإمام، رضي الله عنه:

فَـمَـا نُـوَبُ الـحَـوادِثِ بَـاقِـيَـاتٍ وَلاَ البُؤْسَى تَـدُومُ وَلاَ النَّعِيمُ [3]
كَـمَـا يَمْضِي سُـرُورُكَ وَهْـوَ جَـمٌّ كَـذلِـكَ مـا يَـسُـوؤُكَ لا يَـدُومُ
فَـلاَ تَـهْـلِـكْ عَلى مـا فَـاتَ وَجْـدًا وَلاَ تُـفْـرِدْكَ بِـالأَسَـفِ الهُمُومُ [4]

ولله در إسحاق بن إبراهيم الموصلي حيث يقول[5]:

وإنِّـي رأيْـتُ الـدهْـرَ منذُ صحبتُه مـحـاسـنُـه مـقـرونَـةٌ ومَـعـايبُـه
إذا سرَّني في أوَّل الأمْـرِ لـم أزلْ على حـذرٍ مـن أن تُـذمَّ عواقبُه

الإخوة الصادقة (الطويل)

مما يؤثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله لابنه الحسن: يا بنيَّ، الغريب مَنْ ليس له حبيب. وقال بعض البلغاء: صديقٌ مساعدٌ عَضُدٌ وساعدٌ.

وكان عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، يقول: لقاء الإخوان جلاء الأحزان..

والإمام عليٌّ، رضي الله عنه، يصف الأخ الصادق فيقول:

أَخٌ طَـاهِـرُ الأَخْـلاقِ عَـذْبٌ كَـأَنَّـهُ جَنَا النَّحْلِ مَـمْـزُوجًـا بماءِ غَمَامِ
يَـزِيـدُ عَـلَـى الأَيَّـامِ فَـضْـلَ مَـوَدَّةٍ وَشِـدَّةَ إِخْـلاَصٍ وَرَعْـيَ ذِمَـامِ

وسبق ذكر قول الإمام، رضي الله عنه:

هُـمـومُ رجـالٍ فـي أمـور كثيرةٌ وهَـمِّـي من الدُّنْيا صديقٌ مُساعِد
نكونُ كـروحٍ بين جسمَيْن قُسِّمتْ فجسْما هما جِسمان والـروُحُ واحد

(١) الخميس: الجيش الجرار.. والأصيد: المتعالي.. القمقام: السيد الجامع للسيادة الواسع الخير.
(٢) المستطرف ص٢٤٧-٢٤٨ من إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة، تحقيق محمد إبراهيم سليم.
(٣) نوب: جمع نائبة، وهي المصيبة.
(٤) تفردك: تستبد بك وتهيمن عليك.
(٥) راجع المستطرف.. المصدر السابق.

احذر الظلم!! (البسيط)

الظلم ظلمات يوم القيامة.. وقد أوجب الله عز وجل لعنته على الظالمين، ففي القرآن الكريم: ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود:١٨]، وقال سبحانه ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢].. وقيل: هذا تسلية للمظلوم ووعيد للظالم. والإمام علي، رضي الله عنه، يحذر من الظلم وعواقبه، فيقول[١]:

لا تَظلمنَّ إذا مَا كُنْتَ مُقْتَدِرًا ... فالظُّلْمُ مَرْتَعُهُ يُفْضِي إلى النَّدَمِ
تَنَامُ عَيْنُكَ وَالمَظْلُومُ مُنْتَبِهٌ ... يَدْعُو عَلَيْكَ وَعَيْنُ اللهِ لَمْ تَنَمِ

ووُجِدَ تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة مكتوب فيها:

وحَقِّ اللهِ إنَّ الظُّلْمَ لُؤْمٌ ... وإنَّ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخِيمُ
إلى ديَّانِ يومَ الدينِ نمضي ... وعند اللهِ يجتمع الخصومُ[٢]

ومما ينسب إليه أيضًا في هذا المقام قوله: (الوافر)

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّ الظُّلْمَ شُؤْمٌ ... وَلا زالَ المُسيءُ هُوَ الظَّلومُ
إِلى الدَّيَّانِ يَومَ الدينِ نَمضي ... وَعِندَ اللَّهِ تَجتَمِعُ الخُصومُ
سَتَعلَمُ في الحِسابِ إِذَا التَقَيْنَا ... غَدًا عِندَ المَليكِ مَنِ الغَشومُ؟
سَتَنقَطِعُ اللَّذاذَةُ عَن أُناسٍ ... مِنَ الدُّنيا وَتَنقَطِعُ الهُمومُ
لِأَمرٍ ما تَصَرَّفَتِ اللَّيالي ... لِأَمرٍ مَا تَحَرَّكَتِ النُّجُومُ
سَلِ الأَيّامَ عَن أُمَمٍ تَقَضَّت ... سَتُخبِرُكَ المَعالِمُ وَالرُّسُومُ[٣]
تَرومُ الخُلدَ في دارِ المَنايا ... فَكَم قَد رامَ مِثلُكَ مَا تَرومُ[٤]
تَنامُ وَلَم تَنَمْ عَنكَ المَنايا ... تَنَبَّه لِلمَنِيَّةِ يا نُؤومُ
لَهَوتَ عَنِ الفَناءِ وَأَنتَ تَفنى ... فَما شَيءٌ مِنَ الدُنيا يَدُومُ
تَموتُ غَدًا وَأَنتَ قَريرُ عَينٍ ... مِنَ الفَضَلاتِ في لُجَجٍ تَعومُ

وذكر الأبشيهي في المستطرف أن الحجاج حبس رجلًا في محبسه ظلمًا، فكتب إليه رقعةً فيها: قد مضي من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد يوم القيامة، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلي بينة، وكتب في آخرها:

(١) أورد الأبشيهي هذين البيتين في المستطرف (ص١٢٩ بتحقيق محمد إبراهيم سليم) وقال قبلهما: ورُوي أن بعض الملوك رقم على بساطه، ثم ذكر البيتين.
(٢) المصدر السابق.
(٣) الرسوم: جمع رسم، وهو الأثر الباقي من الدار بعد أن عفت.
(٤) تروم: تطلب.

ستعلَمُ يا لُؤْم إذا التقينَا ... غدًا عند الإله مَن الظَّلوم؟
أمَا والله إن الظلمَ لُؤْمٌ ... وما زال الظلومُ هو الملومُ
سينْقطع التلذُّذ عن أناس ... أدامُوه وينقطعُ النَّعيمُ
إلي ديَّان يوم الدين نمضي ... وعند الله تَجْتمِعُ الخصومُ

من يحفظ السرَّ؟ (البسيط)

مما يؤْثر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، قوله: سِرُّك أسيرُك ، فإن تكلَّمْت به صِرْت أسيرَه!! وكان عمر بن عبد العزيز، رضي الله عنه، يقول : القلوبُ أوْعيةٌ، والشفاهُ أقفالُها، والألسنُ مفاتيحها، فليحْفظ كلُ إنسان مفتاح سرِّه[1]. وأسَرَّ رجل إلي صديقه حديثًا، ثم قال له: أفهمْتَ ؟... قال: بل جَهلتُ!! فقال له: أحفظتَ؟.. قال : بل نسيتُ!!

ومن أجمل ما قيل في ذلك:

ولها سرائر في الضمير طويْتُها ... نسِيَ الضميرُ بأنَّها في طَيِّه

ولكن، ماذا إن لم يكن بُدٌّ من البوح بالسِّر؟ يجيب الإمام، رضي الله عنه، عن ذلك فيقول:

لا تُودِع السِّرَّ إلَّا عِندَ ذِي كَرَم ... وَالسِّرُّ عِندَ كِرَام النَّاس مَكْتُومُ
والسِّرُّ عِنْدِي في بَيْتٍ لَهُ غَلَقٌ ... قَدْ ضَاعَ مِفتاحُهُ والبَيْتُ مَختومُ

وصدق من قال:

إذا المرءُ أفشى سرَّه بلسانه ... ولامَ عليه غَيْرَهُ فهو أحمق
إذا ضاق صَدْرُ المرْءِ عن سِرِّ نفْسه ... فَصَدْرُ الذي يُستوْدَع السرَّ أَضْيقُ

من وصايا الإمام (الوافر)

مما يُذكر أن الإمام وصَّى ابنه الحسين، رضي الله عنهما، بهذه الوصايا الغالية.. فقال ، رضي الله عنه:

تَنَزَّه عَن مُجالَسَةِ اللِّئَام ... وَألمم بالكرام بَني الكرام[2]
وَلا تَكُ واثِقًا بالدَّهر يَومًا ... فَإِنَّ الدَّهرَ مُنحَلُّ النِّظَام
وَلا تَحْسِد عَلى المَعرُوفِ قَوْمًا ... وَكُن مِنهُم تَنَل دارَ السَّلامِ

(١) المستطرف للأبشيهي ص٣٦، إصدار مكتبة ابن سينا ، بتحقيق محمد إبراهيم سليم.
(٢) ألمم : انزل

وَثِـقْ بِـاللَّـهِ رَبِّـكَ ذي المَعَالي ... وَذي الآلاءِ وَالـنِّـعَـمِ الـجِـسَـامِ
وَكُـنْ لِلعِلمِ ذا طَـلَـبٍ وَبَـحـثٍ ... وَنَـاقِـشْ في الـحَـلالِ وَفـي الـحَـرامِ
وَبِـالـغَـورَاءِ لا تَـنـطِـقْ وَلَـكِـن ... بِـمـا يُـرضـي الإِلَـهَ مِـنَ الـكَـلامِ
وَإِن خَـانَ الـصَـديـقُ فَـلا تَخُنهُ ... وَدُم بِـالـحِـفـظِ مِـنـهُ وَبِـالـذِّمـامِ
وَلَا تَحمِلْ عَلى الإِخْـوانِ ضِغنًا ... وَخُـذ بِـالـصَّـفـحِ تَـنـجُ مِـنَ الآثـامِ

رضي الله عنك يا إمام، ما أحكمك، وما أحلمك، وما أبلغك!

حدود العقل (البسيط)

قيل للإمام علي، رضي الله عنه، صِفْ لنا العاقل.

فقال: هو الذي يضع الشيء مواضعه. قيل: فصِفْ لنا الجاهل.

قال: قد فعلتُ .. يعني الذي لا يضع الشيء مواضعه..

وقيل : أفضل العقل، معرفة العاقل بنفسه..

ولكن للعقل حدود يجب ألا يتعداها .. يقول رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ النَّاسُ يَتَسَاءَلُونَ، حَتَّى يُقَالَ : هَذَا، خَلَقَ اللهُ الخَلْقَ ، فَمَنْ خَلَقَ اللَّهَ ؟ فَمَنْ وَجَدَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ، فَلْيَقُلْ آمَنْتُ بالله»[1]. يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

كَيْفِيَّةُ الـمَـرْءِ لَيسَ الـمَـرْءُ يُدْرِكُها ... فَكَيْفَ كَيْفِيَّةُ الجبَّارِ في الـقِـدَمِ
هُـوَ الَّـذِي أَنْـشَـأَ الأَشْـيَـاءَ مُبْتَدِعًا ... فَكَيْفَ يُدْرِكُهُ مُسْتَحْدَثُ النَّسَمِ[2]

أيها العقل ، وأنت المخلوق الضعيف، قف عند حدِّك ، وتأدب مع ربك!!

بين الصبر والجزع (الطويل)

إذا كان أمر الله عز وجل نازلًا لا محالة فلم الجزع؟ ولم لا نتسلح بالصبر؟

يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه، للأشعث بن قيس: إنك إن صبرْت جري عليك القلمُ وأنت مأجور ، وإن جزعْت جري عليك القلم وأنت مأزور!! وقد أخذ ذلك أبو تمام وقال:

وقـال عـلـيٌّ فـي الـتـعـازي لأشعثَ ... وخـاف عليه بـعـضَ تلك المآثم
أتـصـبـرُ للبلوي عـزاءً وخشيةً ... فـتـؤجـرُ أو تـسْـلُـو سُـلُـوَّ البهائم

(١) رواه الشيخان: البخاري في كتاب بدء الخلق، ومسلم في الإيمان.. ومعني: «فليقل آمنت بالله»: الإعراض عن هذا الخاطر الباطل أو الالتجاء إلي الله سبحانه في إذهابه.

(٢) النسم: جمع نَسَمة، وهي كل كائن حي فيه روح.

وإليك ما قاله الإمام في ذلك:

أَتَصْبِرُ لِلْبَلْوى بَلاءً وَحِسْبَةً ... فَتُؤْجَرُ أَمْ تَسْلُو سُلُوَّ البَهَائِمِ[1]

خُلِقْنَا رِجَالًا لِلتَّجَلُّدِ وَالأَسَى ... وَتِلْكَ الغَوَانِي لِلبُكَا وَالمَآتِمِ

وقال شبيب بن شيبة للمهدي: إن أحقَّ ما تصبرُ عليه ما لم تجدْ إلي دفعه سبيلًا، وأنشد:

ولئن تُصْبك مصيبةٌ فاصبر لها ... عَظُمتْ مصيبةُ مُبْتَلٍ لا يصبر

الطلب من الكريم (الكامل)

تقول العرب: الكريم إذا سُئل ارتاح .. واللئيم إذا سُئل ارتاع!!

وكان أمير المؤمنين عليٌّ، رضي الله عنه، يقول: فَوْتُ الحاجة أهونُ من طلبها إلي غير أهلها. ويقول، رضي الله عنه[2]:

وإذَا طَلَبْتَ إلى كَرِيمٍ حَاجَةً ... فَلِقَاؤُهُ يَكْفِيكَ وَالتَّسْلِيمُ

وإذَا رَآكَ مُسَلِّمًا ذَكَّرَ الَّذي ... حَمَّلْتَهُ فَكَأَنَّهُ مَلْزُومُ

وهل هناك أكرم من الكريم عز وجل؟!! وصدق من قال:

إذا أذِنَ اللهُ في حاجةٍ ... أتاكَ النجاحُ على رِسْلِه

فلا تسألِ الناسَ من فضلهم ... ولكن سَلِ اللهَ من فضله

محمد النبي أخي وصهري (الوافر)

ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية عن أبي عبيدة قال: كتب معاوية إلي عليٍّ: يا أبا الحسن، إنَّ لي فضائل كثيرة، وكان أبي سيِّدًا في الجاهلية، وصرتُ ملكا في الإسلام، وأنا صهر رسول الله ﷺ، وخال المؤمنين[3] وكاتب الوحي.. فقال عليٌّ: أبالفضائل يفخر عليَّ ابن آكلة الأكباد[4]؟ ثم قال: اكتب يا غلام:

محمدٌ النَّبيُّ أخي وصهري ... وحمزةُ سَيِّدُ الشهداءِ عَمِّي

وجعفرُ الذي يُضحي ويُمْسي ... يطيرُ مع الملائكة ابنُ أمي[5]

(١) يُقال: فعل الأمر حسْبةً: مُدَّخرًا أجره عند الله.

(٢) عزت بعض المصادر هذين البيتين لأبي الأسود الدؤلي .. وجاءت في مصادر أخري بلا عزو

(٣) صهر رسول الله وخال المؤمنين: فأخته أم المؤمنين أم حبيبة، رملة بنت أبي سفيان بن حرب..

(٤) فأم معاوية هي هند بنت عتبة التي بقرت بطن حمزة بن عبد المطلب، رضي الله عنه، بعد أن استشهد في أحُد، ولاكت كبده، إلا أنها لم تستطع أن تسيغها فلفظتها.

(٥) جعفر بن أبي طالب، استشهد رضي الله عنه يوم مؤتة، ولُقِّب بجعفر الطَّيار.

وبنتُ محمدٍ سَكَني وعُرْسي ... مشوبٌ لحمها بدمي ولحمي [1]
وسبطا أحمدَ ولداي منها ... فأيُّكُم له سهمٌ كسهمي؟ [2]
سَبَقْتُكُمْ إلى الإسلام طُرًّا ... صغيرًا ما بلغتُ أوانَ حلمي [3]

فقال معاوية: اخفوا هذا الكتاب لا يقرأه أهل الشام فيميلون إلي ابن أبي طالب[4]!

الحياء من المنعم

مما ينسب إلي الإمام قوله:

- احذروا نفاذ النِّعم، فما كلُّ شاردٍ بمردود!!
- لو لم يتوعد اللهُ عبادَه على معْصيةٍ لكان الواجبُ أن لا يُعصي شكرًا لنعمه.. ثم قال:

هَبِ البعْثَ لم تأتنا رُسُلُه ... وجاحمة النار لم تضرم [5]
أليس من الواجبِ المستحقِّ ... حياء العبادِ من المنعم؟!

يا طالب الرزق (البسيط)

المؤمن يعلم يقينا أن رزقه مقسوم عند الله عز وجل، وما عليه إلَّا حُسن التوكل على الله في طلب ذلك.. يقول الله تعالي في القرآن الكريم: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات :٢٢] ويقول رسول الله ﷺ : « لَوْ أَنَّكُمْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى الله حَقَّ تَوَكُّلِه لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»[6]. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[7]:

يا طالب الرزْقِ في الآفاقِ مجتهدا ... إقْصِرْ عنانَك إنَّ الرزقَ مقسومُ
لا تحرصَنَّ على ما لستَ تدركُه ... إن الحريصَ على الأموال محروم

ولله در القائل:

إنَّما الرزْقُ الذي تطلبُه ... يُشبهُ الظلَّ الذي يمشي معك
أنت لا تدْركُه متبعًا ... وهو وإن ولَّيْتَ عنه تبعك

(١) مشوب : مختلط.
(٢) السبط : ولد الابن والابنة، وسبطا رسول الله ﷺ: الحسن والحسين.
(٣) الحلم : العقل والبلوغ.
(٤) البداية والنهاية ٨/ ١٠ ، قال ابن كثير معقبًا : وهذا منقطع بين أبي عبيدة وزمان عليٍّ ومعاوية.
(٥) الجاحم : الجمر الشديد الاشتعال.. وقد ذكر هذين البيتين سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص».
(٦) رواه الترمذي برقم ٢٤٥٢، وابن ماجه برقم ٤١٦٤، تغدو : تخرج من أول النهار.. خماصا : جياعا، تروح : تعود آخر النهار، بطانا : ممتلئة الأجواف.
(٧) لم يرد هذان البيتان في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وأوردهما الكيدري في «أنوار العقول».

أخوك (الطويل)

ذكر الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية أن الناس لما تفرقوا إلي بلادهم من صفين، وخرج معاوية إلي دمشق بأصحابه، ورجع عليٌّ إلي الكوفة، فلما دخلها سمع رجلا يقول:ذهب عليٌّ ورجع في غير شيء، فقال الإمام، رضي الله عنه: للذين فارقناهم خير من هؤلاء .. وأنشأ يقول[1]:

أخـوك الـذي إنْ أجْهَضَتْك مُلِمَّةٌ ... من الدَّهر لم يبرحْ لها الدهْرَ واجما [2]

وليـس أخـوك الـذي إن تشعَّبتْ ... عليك أمـورٌ ظـلَّ يلحاك دائـمًا [3]

كم من أديب .. وكم من جهول (السريع)

هل يعيب العالمُ أن يكون فقيرًا؟! وهل يرفع الجاهل أن يكون غنيًّا مكثرًا؟!

وأيهما أفضل : العلم أم المال؟ يقول الإمام عليّ، رضي الله عنه: قيمة كلِّ امرئ ما يُحْسن.. وقد نظم الخليل هذه الوصية شعرًا فقال:

لا يـكـونُ الـعـلـيُّ مـثـلَ الـدنـيِّ ... لا، ولا ذو الـذكـاء مـثـلَ الغبيِّ

قـيـمـةُ الـمـرْءِ قـدْرُ مـا يُـحْـسـنُ ... الـمـرْءُ قـضـاء مـن الإمـام عليِّ

وقال آخر:

قـال عـلـيٌّ بـن أبـي طـالـب ... وهـو الـلـبـيـبُ الـعـالـمُ المتقنُ

كـلُّ امـرئ قـيـمـتُـه عـنـدنـا ... وعـنـد أهْـلِ الـفـضْـلِ مـا يُحْسنُ

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[4]:

كَـمْ مـن أديـب فـطـنٍ عـالـم ... مستكمِل العَقْلِ مُقلٍّ عَديم

وكـم مـن جَـهـولٍ مُكْثـرٍ مالَه ... ذلـك تـقـديـرُ الـعـزيـز الـعـلـيـم

وسئل حكيم: العلم أفضل أم المال؟ فقال: بل العلم.. قيل : فما بالنا نري العلماء على أبواب الأغنياء، ولا نكاد نري الأغنياء على أبواب العلماء؟

قال: ذلك لمعرفة العلماء بمنفعة المال، وجهل الأغنياء لفضل العلم!!

وقيل لبعض الحكماء: لم لا يجتمع العلم والمال؟

قال : لعزِّ الكمال[5]!!

(١) البداية والنهاية ٧/ ٣٠٤.. وذكر هذين البيتين أيضًا الكيدري في «أنوار العقول».
(٢) في البداية والنهاية : إن أحرجتك ملمة.. لم يبرح لبثّك راحمًا.
(٣) يلحاك : يلعنك ويقبحك. (٤) ذكر هذين البيتين الكيدري في «أنوار العقول».
(٥) راجع أدب الدنيا والدين للماوردي بتحقيق هاني الحاج ص ٣٤.

قضي الله أمرًا (المتقارب)

ومما ينسب إلي الإمام في قضاء الله وحُكمه، قوله[1]:

قضى اللهُ أمرًا وَجفَّ القلمُ ... وفيما قضى ربُّنا ما ظَلَم
ففي الأمْرِ ما خانَ لمَّا قَضى ... وفي الحُكْم ما جارَ لما حَكَم
بدا خلقَ أرْزاقِ أبْدانِنا ... وقد كان أرواحُنا في العدَم

الإحسان بين الحر والعبد (الوافر)

شتان بين حر وعبد!! بين كريم ولئيم!! كيف ذلك؟

هذا ما يوضحه الإمام، رضي الله عنه في قوله[2]:

أري الإحسانَ عند الحرِّ دَيْنًا ... وعند القنِّ مَنْقَصةً وذَمًّا[3]
كقطْرٍ في فمِ الأصدافِ دُرًّا ... وفي نابِ الأفاعي صار سُمًّا

جرح اللسان (المنسرح)

مما يذكر عن الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، في النهي عن المزاح قوله: إياك أن تذكر من الكلام ما يكون مضحكا، وإن حكيت ذلك عن غيرك!!

وقال بعض الحكماء: تجنب سوء المزح، ونكد الهزل، فإنهما بابان إذا فتحا لم يغلقا إلا بعد غم. وقال آخر: لكل شيء بذر، وبذر العداوة المزاح.

وفي التحذير من ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه[4]:

لا تَمْزَحَنَّ للرجال إن مَزحوا ... لم أرَ قومًا تمازحوا سَلموا
فالجرْحُ جرحُ اللسان تعلَمُه ... ورُبَّ قولٍ يسيلُ منه دَم

ومن أطرف ما روي في ذلك أن أعرابيًّا خرج بالليل، فإذا بجارية جميلة، فراودها، فقالت: أما لك زاجر من عقلك إذا لم يكن لك واعظ من دينك؟

فقال: والله ما يرانا إلا الكواكب؟ .. فقالت : يا هذا، وأين مكوكبها؟!

(١) ذكر الكيدري هذه الأبيات الثلاثة في «أنوار العقول» بينما لم تذكر في كثير مما نسب إلي الإمام من أشعار.
(٢) ذكر الكيدري هذين البيتين في «أنوار العقول» ولم يرد ذكرهما في كثير مما نسب للإمام من أشعار
(٣) القن : العَبْد الذي كان أبوه مملوكًا لمواليه.
(٤) ذكر الكيدري في «أنوار العقول» هذين البيتين، ولم يرد ذكرهما في كثير من مصادر أشعار للإمام.

فأخجله كلامُها ، وقال : إنما كنتُ مازحًا.. فقالت:

فـإيَّـاك إيَّـاك الـمـزاحَ فـإنـه يُجرِّئ عليك الطفْلَ والرجلَ النَّذْلا
ويُـذْهِـبُ مـاء الـوجـهِ بعد بهائه ويـورثُ بعد العزِّ صاحِبَه ذُلًّا [1]

امرأة تشكو زوجها[2] (الرجز)

روي أن امرأةً قدَّمت زوجها إلي الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، فقالت:

زوْجـي كـريـمٌ يبغضُ المحارما يـقـطـعُ لـيـلًا قـاعـدًا وقـائـمًـا
ويـصـبـح الـدهـرَ لـديْـنـا صائمًا وقـد خَـشـيـتُ أن يـكـون آثـمًـا
لأنه يصبح لي مراغمًا[3]

فقال الزوج:

لا أصـبـحُ الـدهْـرَ بـهـن صائما ولا أكـونُ بـالـنـساءِ نـاعـما
لا بـل أصـلِّـي قـاعـدًا وقـائـمًـا فـقـد أكـونُ لـلـذنـوبِ لازِمـا
يا ليْتَني نجوتُ منها سالِما

فقال علي رضي الله عنه:

مـهْـلًا فَـقَـدْ أَصْـبَـخـتَ فِـيـهـا آثِـمَـا
لَـكَ الـصَّـلَاةُ قَـاعِـدًا وَقَـائِـمَـا
ثَـلَاثَـةٌ تُـصْـبِـحُ فِـيـهـا سَـالِـمـا
ورابِـعٌ تـصْـبِـحُ فِـيـهِ طـاعِـمـا
وَلَـيْـلَـةٌ تَـخْـلُـو لَـدَيْـهَـا نَـاعِـمَـا
مَـا لَـكَ أَنْ تَـمْـسَـكَـهَـا مُـرَاغِـمَـا

(١) راجع في ذلك المستطرف للأبشيهي، إصدار مكتبة ابن سينا، تحقيق محمد إبراهيم سليم، ص ٥٤٧.
(٢) ذكر ذلك الكيدري في «أنوار العقول» بينما أغفله كثير من مصادر أشعار الإمام.
(٣) مراغم : مهاجر.

قافية النون:

لا تخضعن لمخلوق (البسيط)

لماذا الطمع فيما في أيدي الناس، وما عند الله خيرٌ وأبقي؟! إن الطمع فيما في أيدي الناس يذهب المروءة، ويجلب الخسَّة.. إن أحبَّ الناس إلي الله تعالي مَنْ سأله .. وأبْغض الناس إلي الناس من احتاج إليهم وسألهم.. ولله درَّ القائل:

لا تسألنَّ بُنيَّ آدم حاجةً ... وسَلْ الذي أبوابُه لا تُحْجبُ
اللهُ يغضبُ إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يُسأل يغضبُ

وفي هذا يقول الإمام عليٌّ ، رضي الله عنه:

لا تَخضَعَنَّ لِمَخلوقٍ عَلى طَمَعٍ ... فَإِنَّ ذَلِكَ وَهنٌ منكَ في الدِّينِ (١)
وَاستَرزِقِ اللهَ مِمَّا في خَزائِنِهِ ... فَإِنَّما الأَمرُ بَينَ الكافِ وَالنونِ
إِنَّ الَّذي أَنتَ تَرجُوهُ وَتَأمَلُهُ ... مِنَ البَرِيَّةِ مِسكينُ ابنُ مِسكينِ
ما أَحسَنَ الجُودَ في الدُنيا وَفي الدِّينِ ... وَأَقبَحَ البُخلَ فيمَن صيغَ مِن طِينِ
ما أَحسَنَ الدينَ وَالدُنيا إِذا اجتَمَعا ... لا بارَكَ اللَهُ في دُنيا بِلا دينِ
لَو كانَ بِاللُبِّ يَزدادُ اللَبيبُ غِنىً ... لَكانَ كُلُّ لَبيبٍ مِثلَ قارُونِ
لَكِنَّما الرِزقُ بِالميزانِ مِن حَكَمٍ ... يُعطي اللَبيبَ وَيُعطي كُلَّ مَأفونِ (٢)

لا تكره المكروه عند نزوله (الكامل)

على المؤمن أن يدرك أن فيما وُقِيَ من المصائب وكُفِيَ من الحوادث ما هو أعظم من مصيبته وأشد من حادثته.. قيل للشعبي في نائبة وقعت له : كيف أصبحت؟

قال: بين نعمتين : خيرٌ منشور، وشرٌّ مستور.. وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه(٣):

لا تَكْرَهِ المَكْرُوهَ عِنْدَ نُزُولِهِ ... إنَّ المَكَارِهَ لَم تَزَلْ مَتَبَاينَهْ
كَمْ نِعْمَةٍ لا تَسْتَقِلُّ بِشُكرِهَا ... للهِ في طَيِّ المَكَارِهِ كَامِنَهْ

(١) هذا البيت والذي يليه أوردهما الماوردي في أدب الدنيا والدين ص ٣٤٦ بلا عزو.. وعزت مصادر أخري هذه الأبيات لأبي العتاهية.
(٢) المأفون : ناقص العقل.
(٣) أورد الماوردي هذين البيتين في «أدب الدنيا والدين» ص ٣٠٩ مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ وقال قبلهما: وقال بعض الشعراء، ولم ينسبهما للإمام علي.. وذكرهما سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» أيضًا مع اختلاف يسير في الألفاظ.

في الشجاعة (الرجز)

مما ينسب للإمام، في مجال الفخر بالشجاعة والإقدام، قوله يوم بدر:

قَد عَرَفَ الحَرْبُ العَوانُ أَنِّي (١) بازِلُ هامَيْنِ حَديثُ سِنِّ (٢)
سَنَحْنَحُ الليلِ كَأَنِّي جِنِّي (٣) أَسْتَقْبِلُ الحَرْبَ بِكُلِّ فَنِّ
مَعِي سِلاحِي وَمَعِي مِجَنِّي (٤) وَصارِمٌ يُذْهِبُ كُلَّ ضِغْنِ (٥)
أُقْصِي بِهِ كُلَّ عَدُوٍّ عَنِّي

لا جدوي للحيل (الكامل)

سُئل حكيم عن حاله في نكبة ألمت به .. فقال: عَوَّلْت عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ : أَوَّلُهَا: أَنِّي قُلْت: الْقَضَاءُ وَالْقَدَرُ لَا بُدَّ مِنْ جَرَيَانِهِمَا.. الثَّانِي: أَنِّي قُلْت: إنْ لَمْ أَصْبِرْ فَمَا أَصْنَعُ؟!.. الثَّالِثُ: أَنِّي قُلْت: قَدْ كَانَ يَجُوزُ أن يكون أَعْظَم مِنْ هَذَا.. الرَّابِعُ: أَنِّي قُلْت: لَعَلَّ الْفَرَجَ قَرِيب.

ولنا أن نتساءل: ما تفيد الحيل وقدر الله واقع لا محالة؟!

ولم لا نتسلح بالصبر على الحوادث والملمات؟!

قيل : الحوادث الممضة[٦] مكسبة لحظوظ جليلة: إما ثواب مدَّخر، أو تطهير من ذنب، أو تنبيه من غفلة، أو تعريف لقدر النعمة!! وفي ذلك يقول الإمام ، رضي الله عنه:

مَا لا يَكونُ فَلا يَكونُ بِحِيلَةٍ أَبَدًا وَمَا هُوَ كَائِنٌ سَيَكُونُ
سَيَكُونُ مَا هُوَ كَائِنٌ فِي وَقْتِهِ وَأَخُو الجَهالَةِ مُتْعَبٌ مَحْزُونُ
يَسْعَى القَوِيُّ فَلا يَنَالُ بِسَعْيِهِ حَظًّا، وَيَحْظَى عَاجِزٌ وَمَهِين (٧)

أهل النفاق (السريع)

ليس من آفة أشد خطرًا على المجتمعات من النفاق.. وإذا كان القرآن الكريم قد أخبر بأن النار هي مصير الكفار، فإن الدرك الأسفل منها هو مصير أهل النفاق.. يقول سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴾

(١) يُقال حربٌ عوان : قوتل فيها مرة بعد أخري.
(٢) يُقال : بزل الرجل : كملت تجربته.. وفي بعض النسخ.. بازل عامين.
(٣) سنحنح وفي بعض النسخ صمخمخ الليل. (٤) المجن : الترس يتقي به في الحرب.
(٥) الضغن : الحقد الشديد (٦) الممضة : المحزنة.
(٧) ذكر هذه الأبيات سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» وفيها : «ويدرك عاجز موهون» بدلا من «ويحظي عاجز ومهين»

[النساء:١٤٥]. ويقول أيضًا في وصفهم: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا﴾ [النساء:١٠٨]. وقال ﷺ في الحديث الصحيح: «وتجدون شرَّ الناس ذا الوجْهَين، الذي يأتي هؤلاء بوجْه، وهؤلاء بوجه»[1]. وهذا هو الإمام عليٌّ، رضي اللهَ عنه، يصف المنافق ويحذر منه فيقول:

هـذَا زَمَـانٌ لَـيْـسَ إِخْـوَانُـهُ ... يَـا أَيُّـهَـا الـمَـرْءُ بِـإِخْـوَانِ[2]
إِخْـوَانُـهُ كُـلُّـهُـمُ ظَـالِـمٌ ... لَـهُ لِـسَـانَـانِ وَوَجْـهَـانِ
يَـلْـقَـاكَ بِـالْـبِـشْـرِ وَفِـي قَـلْـبِـهِ ... داءٌ يُـوَارِيـهِ بِـكِـتْـمَـانِ
حَـتَّـى إِذَا مَـا غِـبْـتَ عَـنْ عَـيْـنِـهِ ... رَمَـاكَ بِـالـزُّورِ، والْـبُـهْـتَـانِ
هـذَا زَمَـانٌ هَـكَـذَا أَهْـلُـهُ ... بِـالـوُدِّ لَا يَـصْـدُقُـكَ اثْـنَـانِ
يَـا أَيُّـهَـا الـمَـرْءُ فَـكُـنْ مُـفْـرِدًا ... دَهْـرَكَ لَا تَـأْنَـسْ بِـإِنْـسَـانِ
وجَـانِـبِ الـنَّـاسَ وَكُـنْ حَـافِـظًـا ... نَـفْـسَـكَ فِـي بَـيْـتٍ وَحِـيـطَـانِ

هذا رأي الإمام، وقد عاش أزهي عصور الإسلام وأصفاها..

تري: ماذا كان سيقول من شعر لو قدِّر له أن يعيش بيننا الآن؟

دنيا!! (مجزوء الكامل)

كثيرًا ما حذَّر الإمام من الدنيا وأحوالها، وتقلبها بأهلها.. وهو هنا يؤكد ذلك فيقول:

دُنـيـا تَـحُـولُ بِـأَهْـلِـهَـا ... فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ مَـرَّتَـيْـنِ[3]
فَـغَـدُوُّهَـا لِـتَـجَـمُّـعٍ ... وَرَوَاحُـهَـا لِـشَـتَـاتِ بَـيْـنِ

ولله در القائل:

والـمَـالُ حُـلْـوٌ حَـسَـنٌ جَـيِّـدٌ ... عَـلَـى الـفَـتَـى لَـكِـنَّـهُ عَـارِيـهْ
مَـا أَحْـسَـنَ الـدُّنـيَـا ولَـكِـنَّـهَـا ... مَـعَ حُـسْـنِـهَـا غَـدَّارَةٌ فَـانِـيـهْ

وهل الدنيا إلا كذلك؟

ما تجمعه اليوم تشتته غدًا!!

وهكذا حالها، فلم الاطمئنان إليها والإنس بها؟

(١) رواه البخاري في المناقب برقم ٣٤٩٣، ومسلم في فضائل الصحابة ٤/ ١٩٥٨

(٢) ذكر سبط ابن الجوزي الأبيات الخمسة الأولي فقط في كتابه «تذكرة الحفاظ» مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.. وذكرها الكيدري في «أنوار العقول» عدا البيت الأخير.

(٣) ذكر هذين البيتين سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» وقال قبلهما: ومن المنسوب إلي الإمام في ذم الدنيا.

الصبر مفتاح ما يرجَّى (مخلع البسيط)

ذكر القرآن الكريم الصبر في مواضع عديدة وبيَّن فضله وأوصي بالتزامه.. قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].. وأمر به نبيه فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥] فمن أراد الله به خيرًا ألهمه الصبر، إذ كثيرًا ما أدرك الصابر مراده أو كاد، وفات المستعجل غرضه أو كاد.

ومن كلام الحكماء[١]: ما جُوهد الهوى بمثل الرأي، ولا استُنْبط الرأي بمثل المشورة، ولا حفظت النعم بمثل المواساة، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر، وما استُنْجحت الأمور بمثل الصبر!! وصدق من قال:

ويـــومٌ كـــأن المصطلين بـحـرِّه ... وإن لم يكن نـارٌ قيامٌ على الجمر
صـبـرْنـا لـه صـبـرًا جـمـيـلاً وإنـمـا ... تـفـرجُ أبـــوابُ الكريهة بالصبر

وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

الـصَّـبْـرُ مِـفْـتـاحُ مَـا يُـرَجَّـي ... وَكُـــلُّ خَـيْـرٍ بِـــهِ يَـكُـونُ
فَـاصْـبِـرْ وإنْ طَـالَـتِ الـلَّـيَـالـي ... فَـرُبَّـمـا طَـــاوَعَ الـحَـرُونُ[٢]
وَرُبَّـــمـــا نِـيـلَ بـاصْـطِـبـارٍ ... مَـا قِـيـلَ هَـيـهـاتَ مَـا يَـكـونُ

خير البرِّ عاجله (الوافر)

سُئل أنوشروان: ما أعظم المصائب عندكم؟

فقال: أن تقدر على المعروف ولا تصنعه حتى يفوت. إذ ينبغي لمن يقدرُ على ابتداء المعروف أن يعجله حَذَر فواته ، ويبادر به مخافة عجزه، ولا يهمله ثقةً بقدرته عليه، فكم واثق بقدرةٍ فاتت فأعقبت ندمًا. ويعوِّل على مُكْنَة زالت فأورثت خجلًا.

قال عبد الحميد: من أخَّر الفرصةَ عن وقتها فليكن على ثقة من فوْتها[٣]!!

وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه[٤]:

إذا هَـبَّـتْ رِيَـاحُـك فاغْتَنِمْها ... فَـعُـقْـبَـى كُـلِّ خَـافِـقَـةٍ سُـكُـونُ
وَلاَ تَـغْـفَـل عَـنِ الإحـسَـانِ فِيها ... فَـمَـا تَـدْرِي الـسُّـكُـونُ متى يكُونُ

(١) المستطرف للأبشيهي، إصدار مكتبة ابن سينا، مصر، ص ٣٥١.
(٢) الحرون: المعاند الذي لا ينقاد.
(٣) راجع أدب الدنيا والدين للماوردي ص٢٠٦ بتحقيق هاني الحاج.
(٤) لم ينسب الماوردي البيتين للإمام عليٍّ، وإنما قال: وقال بعض الشعراء، وذكر بيتًا ثالثًا جاء فيه:
وإن دَرَّت نِياقُك فاحْتَلِبْها ... فما تدري الفصيلُ لمن يكون

تنكر لي دهري!! (الطويل)

ماذا لو تنكر لك الدهر وقلب لك ظهر المجن؟

ماذا لو تكالبت عليك الخطوب وكشرت لك الأيام عن أنيابها؟

ماذا أنت فاعل عندئذ؟ عندئذ لا مفر من الصبر، فهو الملاذ الأمين بعد الاستمساك بحبل الله المتين.. تلك خلاصة تجربة الإمام علي، رضي الله عنه، وقد لاقي من الأهوال ما لاقي.. فيقول[1]:

تنكَّرَ لي دَهْري ولم يدْرِ أنَّني ... أعزّ ورَوْعاتُ الخطوب تهونُ

فظلَّ يُريني الخطْبَ كيف اعتداؤه ... وبِتُّ أريهِ الصبرَ كيف يكون؟!

هوِّن الأمر (الرمل)

العاقل من خَبُر حالَ الدنيا، فلا يغتر برخاء، ولا يطمع في استواء.. فمن علم ذلك هان عليه بؤسَها ونعيمها..

قال بعض الحكماء: مَنْ حاذر لم يهلَعْ، ومَنْ راقب لم يجزع، ومَنْ كان متوقِّعًا لم يكن مُتَوَجِّعا.. وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه[2]:

هَوِّن الأمْرَ تَعِشْ في رَاحَةٍ ... قلَّ ما هَوَّنْتَ إلَّا سَيَهُونُ

لَيْسَ أَمْرُ المَرْءِ سَهْلاً كُلُّهُ ... إنَّما الأمْرُ سرورٌ وَحُزُونُ

تَطْلُبُ الرَاحَةَ في دَارِ العَنَا ... خَابَ مَنْ يَطلُبُ شَيئًا لا يَكونُ

قال الماوردي مُعقبًا: فإن أغفل نفسه عن دواعي السلوة ومنعها من أسباب الصبر، تضاعف عليه من شدَّة الأسى وهمِّ الجزع ما لا يطيق عليه صبرًا، ولا يجدُ عنه سلوا..

توقَّ الدنيا ولا تأمنها (الخفيف)

قصيرة هي الحياة .. فالعمر محدود فيما بين المولد والممات، قد يطول وقد يقصر.. وقد أفلح من أحسن فيه العمل..

وقال بعض الحكماء: الدنيا ساعة فاجعلها طاعة..

وقال آخر: المرءُ أسيرُ عُمْر يسير.

(١) ذكر محقق «أنوار العقول» أن بعض المصادر عزت البيتين للأبيوردي، وذكرت في مصادر أخري بلا عزو

(٢) أورد الماوردي هذه الأبيات في أدب الدنيا والدين ص ٣١٢، بغير هذا الترتيب وباختلاف يسير في بعض الألفاظ، ولم ينسبها للإمام، بل قال: وقال بعض الشعراء.

وقد قيل: قصِّرْ أملَكَ فإن العمر قصير، وأحسنْ سيرتك فإن البرَّ يسير..وفي ذلك يقول الإمام عليٌّ، رضي الله عنه:

عُدَّ مِنْ نَفْسِكَ الحياةَ فصُنها ... وَتَوَقَّ الدُّنْيا وَلاَ تأمَنَّها
إنَّما جئْتَها لتَسْتَقْبِلَ المَوْتَ ... وَأُدْخِلْتَها لِتُخْرَجَ منها
سَوْفَ يَبْقَى الحَدِيثُ بَعْدَكَ فانْظُرْ ... أَيَّ أُحْدُوثَةٍ تُحِبُّ فَكُنْها [1]

وقريب من ذلك قول أحمد شوقي:

دقاتُ قلبِ المرْءِ قائلة له ... إنَّ الحياةَ دقائق وثوان
فارفع لنفسك بعد موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عُمْرٌ ثان

في مكر النساء وغدرهن (الطويل)

مما ينسب للإمام، زورًا وبهتانًا، هذه الأبيات:

تَمَتَّع بها ما ساعفَتكَ وَلا تكُن ... جَزوعًا إذا بانتْ فسوف تَبينُ
وَإنْ هِيَ أَعْطَتكَ الْلِّيانَ فَإنَّها ... لَغَيرِكَ مِنْ خِلاّنِها سَتَلِينُ
وَإن حَلَفَت لا يَنقُضُ النَأيُ عَهدَها ... فَلَيسَ لِمَخضوبِ البَنانِ يَمينُ

إذ لا يصح بحال من الأحوال نسبة ذلك للإمام ، وهو التقيُّ النقيُّ، الذي يعرف للمرأة مكانتها، ويأبي أن يصفها بتلك الصفات الذميمة.. ولذا جاءت هذه الأبيات في بعض كتب الأدب بلا عزو [2] وفي البعض الآخر جاء عزوها إلي كثير عزة، وهناك من نسبها إلي قيس بن ذريح [3] ومما ينسب إليه، كذبًا، قوله: إياك ومشاورة النساء، فإن رأيهن إلي أفن [4]، وعزمهن إلي وهن، أكفف أبصارهن بالحجاب، فإن شد الحجاب خير لهن من الارتياب، وليس خروجهن بأضر من دخول من لا يوثق به عليهن، فإن استطعت أن لا يعرفن غيرك فافعل. ثم قال [5]:

لا تأمنَنَّ على النِّساءِ وَلَوْ أَخًا ... ما في الرِّجالِ عَلَى النِّساءِ أَمينُ
إنَّ الأَمينَ وإنْ تَعَفَّفَ جَهْدَهُ ... لا بُدَّ أَنَّ بِنَظْرَةٍ سَيَخُونُ
القَبْرُ أَوْفَى مَنْ وَثِقْتُ بِعَهْدِهِ ... ما لِلنِّساءِ سِوَى القُبُورِ حُصُونُ

(١) أحدوثة : ما يتحدث به .. يُقال : صار فلان أحدوثة: كثُرَ فيه الحديث
(٢) راجع المستطرف في كل فن مستظرف ص ٥٢١.
(٣) ذكر ذلك محقق كتاب «أنوار العقول»
(٤) الأفن : نقصان العقل.
(٥) ذكر الأبشيهي البيت الأول والثاني فقط وعزاهما للسمعاني .. راجع المستطرف في كل فن مستطرف ص٥٢٢.

عـــزاء (البسيط)

قال رسول الله ﷺ :» مَنْ عَزَّى مُصَابًا فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ»[1] والتعزية هي التصبير، وذكر ما يسلِّي صاحب الميت، ويخفف حزنه، ويهوِّن مصيبته، وهي مستحبة، إذ هي داخلة في قوله تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. وكان الصديق أبو بكر، رضي الله عنه، إذا عزَّي قال: ليس مع العزاء مصيبةٌ، ولا مع الجزع فائدة، والموت أشدُّ مما قبله، وأهْونُ مما بعده، فاذكر مصيبتك برسول الله ﷺ تهن عليك مصيبتك. وروي أن الإمام عليًّا، رضي الله عنه، عزَّي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه، في ميت له فقال[2]:

إِنَّـا نُـعَـزِّيـكَ لا أَنَّـا عَـلـى ثِـقَـةٍ ... مِـنَ الـحَـيَـاةِ وَلَـكِـنْ سُـنَّـةُ الـدِّيـنِ
فَـلاَ الـمُـعَـزَّي بِـبَـاقٍ بَـعْـدَ مَـيِّـتِـهِ ... ولا الـمُـعَـزِّي وَلَـوْ عَاشَا إِلـي حِينِ

نحن الكرام (مجزوء الكامل)

في مجال المجد والشرف، يقول الإمام، رضي الله عنه:

نَـحْـنُ الـكِـرَامُ بَـنُـو الـكِـرَام ... وطِـفْـلُـنَـا فِـي الـمَـهْـدِ يُـكْـنَـى
إِنَّـا إِذا قَـعَـدَ الـلِّـئَـامُ ... عَـلـى بِـسَـاطِ الـعِـزِّ قُـمْـنَـا

اليوم أبلو (الرجز)

ومما ينسب إليه ،رضي الله عنه، في ساحة القتال، وذكر الشجاعة والإقدام قوله مفاخرًا:

الـيـومَ أَبْـلـو حَـسَـبـي ودِيـنـي ... بِـصَـارمٍ تَـحْـمِـلُـه يَـمِـيـنـي
عندَ اللّقا أَحْمي به عَرِيني

إلهي لا تعذّبني (الوافر)

هذه الأبيات في مناجاة الله عز وجل، والاعتراف بالذنب، والرجاء في العفو، عزتها غالبية كتب الأدب لأبي العتاهية، وقيل إنه قالها في مرضه الذي مات فيه..

ولم ينسبها إلي الإمام على إلا القليل[3]..

إِلَـهِـي لا تُـعَـذِّبْـنِـي فَـإِنِّـي ... مُـقِـرٌّ بِـالَّـذي قَـد كَـانَ مِـنِّـي

(١) رواه الترمذي في سننه عن عبد الله بن مسعود.
(٢) نسب الأبشيهي في المستطرف هذين البيتين للإمام الشافعي ، رحمه الله تعالى .. ونسبهما ابن عبد ربه في العقد الفريد إلي محمد بن عبد الله بن طاهر إذ كتبهما إلي المتوكل يعزيه بابن له [العقد الفريد ٣/ ٢٦٣].
(٣) راجع في ذلك «أنوار العقول».

فَمَا لِي حِيلَةٌ إلا رَجَائِي ... بِعَفوكَ إنْ عَفَوتَ وَحُسنِ ظَنِّي
فَكَمْ مِنْ زَلَّةٍ لِي فِي الخَطَايا ... عَضَضْتُ أَنَاملِي وَقَرَعتُ سِنِّي (١)
يَظُنُّ النَاسُ بِي خَيرًا وَإِنِّي ... لَشَرُّ الخَلقِ إن لَم تَعفُ عَنِّي
وَبَينَ يَدَيَّ مُحتَبِسٌ طَوِيلٌ ... كَأَنِّي قَد دُعِيتُ لَهُ كَأَنِّي
أُجَنُّ بِزَهرَةِ الدُّنيا جُنُونًا ... وَأُفنِي العُمرَ مِنها بِالتَّمَنِّي
فَلَو أَنِّي صَدَقتُ الزُّهدَ فِيهَا ... قَلَبتُ لَهَا ظَهرَ المِجَنِّ

وصايا غالية (الوافر)

أوْصى الإمام عليٌّ ولده الحسين، رضي الله تعالى عنهما، بهذه الوصايا الغالية، فقال:

وَمَنْ كَرُمَتْ طَبَائِعُهُ تَحَلَّى ... بِآدابٍ مُفَضَّلَةٍ حِسَانِ
وَمَنْ قَلَّتْ مَطَامِعُهُ تَغَطَّى ... مِنَ الدُّنْيَا بِأَثْوَابِ الأَمَانِ
وَمَا يَدْرِي الفَتَى مَاذا يُلاقِي ... إِذَا ما عَاشَ مِنْ حَدَثِ الزَّمانِ؟!
فَإِنْ غَدَرَتْ بِكَ الأَيَّامُ فَاصْبِرْ ... وَكُنْ بِاللهِ مَحْمُودَ المَعَانِي
وَلَا تَكُ سَاكِنًا فِي دَارِ ذُلٍّ ... فَإِنَّ الذُّلَّ يُقْرَنُ بِالهَوَانِ
وَإِنْ أَوْلاكَ ذو كَرَمٍ جَمِيلا ... فَكُنْ بِالشُّكرِ مُنْطَلِقَ اللِّسَانِ

الدهر أدبني (البسيط)

عن تجربته في الحياة، يذكر الإمام أن الأيام ونوائبها خير مؤدب، فقد وجد أن الغني الحقيقي في الزهد واليأس مما في أيدي الناس.. وصدق من قال:

غنيٌّ بلا دُنيا عن الخلق كلهم ... وإن الغني الأعلى عن الشيء لا به

ووجد أن القناعة الحقة تكون بالرضا بما قسم الله عز وجل بلا توانٍ ولا كسل.. فما كان لك سوف يأتيك .. وصدق رسول الله ﷺ: «.. وَاعْلَمْ أَنَّ الأمة لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ. وَلَوْ اجتمعت عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إلاَّ بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ.. (٢)».

ثم ذكر أن الصبر ربَّاه فكان نعم المربي.. وصدق من قال:

(١) كناية عن الندم على ما وقع منه وفرّط فيه.

(٢) رواه أحمد في المسند بإسناد صحيح.

ما أحسنَ الصبرُ في الدنيا وأجملَه ... عند الإله وأنجاهُ من الجزع
من شدَّ بالصبر كفًّا عند مؤلمةٍ ... ألْوَتْ يداه بحبل غير منقطع

يقول الإمام، رضي الله عنه:

الدَّهْرُ أَدَّبَني، وَاليَأْسُ أَغْنَاني ... والفَوْتُ أَقْنَعَني، وَالصَّبْرُ رَبَّاني [1]
وَأَحْكَمَتني مِنَ الأَيَّام تَجْرِبَة ... حَتَّى نَهَيْتُ الَّذي قَدْ كَانَ يَنْهَاني

حتى لا تندم!! (المتقارب)

تري ما مصير مَنْ تراه دائمًا متمردًا غير راض ولا قانع.. لا يُحسن عملًا.. يري نفسه دائما فوق الناس في تكبر وزهو؟! لا شك أنه يسير على حافة الهاوية، فقد يفرح يومًا إلا أنه حتمًا سيهوي ويبكي أعوامًا.. تأمل حكمة الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، حيث يقول:

إذا المَرءُ لَم يَرضَ ما أَمكَنَهْ ... وَلَم يَأتِ مِن أَمرِهِ أَزيَنَه
وَأُعجِبَ بِالعُجبِ فَاقتادَهْ ... وَتاهَ بِهِ النِّيهُ فَاستَحسَنَهْ [2]
فَدَعهُ فَقَد ساءَ تَدبيرُهْ ... سَيَضحَكُ يَوماً وَيَبكي سَنَه

وقد أحسن مَنْ قال:

قولا لأحمق يلْوى التِّيهُ أخدعَه ... لو كُنتَ تعلمُ ما في التيه لم تتهْ
التِّيهُ مفسدةٌ للدين منقصةٌ ... للعقْلِ مهلكةٌ للعِرْض فانتبهْ!!

سيف رسول الله ﷺ في يميني (الرجز)

ما بارز أحدٌ الإمام عليًّا، رضي الله عنه، إلا خذله الله تعالي.. فهو الشجاع المقاتل دفاعًا عن دين الله تعالى، وعن رسوله ﷺ.. وعن شجاعته يقول، رضي الله عنه:

سَيْفُ رَسُولِ اللهِ في يَمِيني ... وَفي يَسَاري قَاطِعُ الوَتِين [3]
فَكُلُّ مَنْ بَارَزَني يَجِبني ... أَضْرِبُهُ بالسَّيْفِ عَنْ قَرِيني [4]

---

(١) المراد اليأس مما في أيدي الناس.. وقد أورد الأبشيهي هذين البيتين في المستطرف ولم ينسبهما للإمام علي، رضي الله عنه، راجع المستطرف ص٣٥١، إصدار مكتبة ابن سينا، بتحقيق محمد إبراهيم سليم.

(٢) العُجب: الكبر والزهو وكذا التيه.

(٣) الوتين: الشريان الرئيس الذي يغذي جسم الإنسان بالدم النقي الخارج من القلب.. وفي القرآن الكريم ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة:٤٦].

(٤) القرين: المقارن والصاحب.

مُحَمَّدٍ وَعَنْ سَبِيلِ الدِّينِ هَذا قَلِيلٌ مِنْ طِلابِ العِينِ

إلهي أنت ذو فضل ومنٍّ (الوافر)

يقول رسول الله ﷺ: «لا يموتنَّ أحدُكم إلَّا وهو يُحسِنُ الظنَّ بالله عزَّ وجل[1]». وحسن الظن بالله: أن يظن أنه يرحمه ويعفو عنه، وأن يجمع بين الخوف والرجاء. والإمام هنا يعترف بذنوبه وتقصيره، ويؤكد جميل ظنه بربه، ويطلب منه تحقيق حسن ظنه وذلك بالرحمة والمغفرة.. يقول رضي الله عنه:

إلهي أنتَ ذُو فَضْلٍ وَمَنٍّ وإنِّي ذُو خَطايا فَاعْفُ عَنِّي
وَظَنِّي فِيكَ يَا ربِّي جَميلٌ فَحَقِّقْ يَا إلهي حُسْنَ ظَنِّي

قافية الهاء:

إياك وإياه!! (الهزج)

قال حكيم: المالُ غادٍ ورائح، والسلطان ظلٌّ زائل، والإخوانُ كنوز وافرة. وقال أبو تمام:

مَنْ لي بإنسان إذا أغْضبْتُه وجهلْتُ كان الحلمُ ردَّ جوابه
وتراه يصْغي للحديث بطرفه وبقلبه ولعلَّه أدْري به

وقال رسول الله ﷺ: «المرءُ على دينِ خَليلِه، فلْينظُرْ أحدُكم من يخالل». وقال عديّ ابن زيد:

عَنْ المرْءِ لا تَسْأل وسَلْ عن قَرينه فكُلُّ قرينٍ بالمقارَن يقْتدى
إذا كُنْتَ في قَوْمٍ فصاحبْ خيارَهم ولا تصحَبْ الأرْدَى فتَرْدَى

وقال الإمام عليٌّ، رضي الله عنه لرجل كره له صحبة رجل[2]:

فَلا تَصْحَبْ أَخَا الجَهْلِ وَإِيَّاكَ وَإِيَّاهُ
فَكَمْ مِنْ جَاهِلٍ أَرْدَى حَلِيمًا حِينَ آخَاهُ
يُقَاسُ الْمَرْءُ بِالْمَرْءِ إِذَا مَا هُوَ مَاشَاهُ
وَلِلْقَلْبِ عَلَى الْقَلْبِ دَلِيلٌ حِينَ يَلْقَاهُ

(١) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢٢٠٥

(٢) راجع البداية والنهاية لابن كثير ٨/ ١٢.

وَلِلشَّيْءِ مِنَ الشَّيْءِ مَقَايِيسُ وَأَشْبَاهُ
وَفِي العَيْنِ غِنًى لِلعَيْنِ أَنْ تَنْطِقَ أَفْوَاهُ

مكارم الأخلاق

يُعدِّد الإمام مكارم الأخلاق في الأبيات التالية، فيقول، رضي الله عنه[1]:

إنّ المكارمَ أخلاقٌ مطهّرةٌ فالعقلُ أوّلها والدينُ ثانيها
والعِلْمُ ثالثُها والحِلْمُ رابعُها والجودُ خامسُها والعُرفُ ساديها
والبرُّ سابعُها والصبرُ ثامنُها والشُّكْرُ تاسعُها واللِّين عاشيها
والعينُ تعلمُ من عَيْنَى مُحدِّثها إن كان من حزْبها أو مِنْ أعاديها
والنفسُ تعلمُ أنّي لا أصَدقها ولستُ أُرشَدُ إلا حين أعْصيها

القناعة بالكفاف (الخفيف)

هذه الأبيات في القناعة والزهد نسبها الماوردي في «أدب الدنيا والدين» لأبي العتاهية، حيث قال: قال الحسن البصري، رحمه الله تعالي؛ أمْسُ أجلٌ، واليومُ عملٌ، وغدًا أمل، فأخذ أبو العتاهية هذا المعني فنظمه شعرًا[2]. ونسبها البعض إلي الإمام عليٍّ، رضي الله عنه:

الغنى في النفوس والفقرُ فيها إنْ تجزّت فقلّ ما يَجزيها
عَلِّلِ النفسَ بالكفافِ وإلا طلبتْ منكَ فوقَ ما يكفيها
ليس فيما مضى ولا في الذي لم يأت من لذة لمُسْتَحْلِيها
إنما أنت طولَ عمرك ما عَمَـ ـرتَ بالساعةِ التي أنْتَ فيها

ومما ينسب للإمام أيضا، في ذلك قوله:

النفْسُ تَجْزَعُ أن تكونَ فقيرةً والفقْرُ خيْرٌ من غني يُطْغيها
وغنى النفْسِ في الكفافِ وإن أبتْ فجميعُ ما في الأرضِ لا يكفيها!!

الحلم والأناة (المتقارب)

سأل أمير المؤمنين عليٌّ، رضي الله عنه، كبيرًا من كبراء الفرس:

(١) ذكر هذه الأبيات الأبشيهي في المستطرف في كل فن مستظرف ص٢٣، كما ذكرها الماوردي في أدب الدنيا والدين ص٢٠.
(٢) وذكر البيت الثالث، ثم الرابع، ثم الثاني، ولم يذكر الأول راجع أدب الدنيا والدين ص١٢٣. وعزت بعض المصادر هذه الأبيات لأبي بكر الصديق، رضي الله عنه.

أي شيء لملوككم كان أحمدَ عندكم؟

قال: كان لأردشير فضل السبق في المملكة، غير أن أحْمدَهم سيرة أنوشروان.

قال: فأي أخلاقه كانت أغلب عليه؟

قال: الحلمُ والأناة.

قال: هما توْأمان ينتجهما علوُّ الهمة..

وفي هذا المعني يقول، رضي الله عنه[1]:

أَصُمُّ عَنِ الْكَلِمِ الْمُحْفِظَاتِ ... وَأَحْلُمُ وَالحِلْمُ بى أَشْبَهُ[2]

وَإِنِّى لأَتْرُكُ حُلْوَ الكَلامِ ... لِئَلَّا أُجَابَ بِمَا أَكْرَهُ[3]

إذا ما اجْتَرَرْتُ سَفَاهَ السَّفِيهِ ... عَلَيَّ فَإِنِّى أَنَا الأَسْفَهُ

فَلا تَغْتَرِر بِرُوَاءِ الرِّجَالِ ... وَإِنْ زَخْرَفُوا لَكَ أَوْ مَوَّهُوا[4]

فَكَمْ مِنْ فَتى يُعْجِبُ النَّاظِرِينَ ... لَهُ أَلْسُنٌ وَلَهُ أَوْجُهُ

يَنَامُ إِذَا حَضَرَ المَكْرُمَاتِ ... وَعِنْدَ الدَّنَاءَةِ يَسْتَنْبِهُ

التحلي بالمكارم (الكامل)

مما ينسب إلي الإمام، رضي الله عنه، قوله: أوَّلُ عِوَض الحليم عن حلْمه أنَّ الناس أنصاره على الجاهل.

وقال معاوية بن أبي سفيان لخالد بن المعمر: كيف حبك لعليٍّ؟

قال: أحبه لثلاث خصال: على حلمه إذا غضب، وعلى صدْقه إذا قال، وعلى وفائه إذا وعد..

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه[5]:

كُنْ لِلمكارِمِ بالعزِّ مُتحلِّيًا ... فلعلَّ يومًا لا تري ما تكرهُ

فَلرُبَّما اسْتَتَرَ الفتى فتنافست ... فيه العيونُ وإنه لمموَّه

ولرُبَّما اختزنَ الكريمَ لِسانُه ... حذَرَ الجوابِ وإنه لمفوَّهُ

(١) راجع العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي ٢/ ١٤٢، ١٤٣.. وقد عزا ابن عبد ربه هذه الأبيات للأصرم بن قيس، وقال: ويقال إنها لعلي، رضي الله عنه.

(٢) المحفظات: المثيرة للأحقاد.

(٣) في العقد الفريد «لأترك جُلَّ الكلام».

(٤) الرواء: المظهر. زخرفوا: زينوا.. موَّهوا: أخفوا ولبَّسوا.

(٥) انظر العقد الفريد ٢/ ١٤٠، ١٤١ وقد نسب ابن عبد ربه بعض هذه الأبيات للأحنف وغيره.

ولـرُبَّـمـا ابتسمَ الـوقـورُ مـن الأذَى وفـــؤادُه مـــن حـــرِّه يـتـأوَّهُ

بعض مآثر الإمام (مجزوء الرمل)

كثيرة هي مآثر الإمام، رضي الله عنه.. فإذا سألت عمن كان له شرف السبق إلي الإسلام، وجدته الإمام. وإذا سألت عن أشجع الشجعان.. وجدته الإمام.

وإذا سألت عمن كانت مكانته من رسول الله ﷺ مكانة هارون من موسي.. كان الإمام.

مأثر عديدة قد يغفلها غافل.. وقد ينكرها جاحد.. فتعال إلي الإمام وهو يذكر بعضًا منها، فيقول، رضي الله عنه:

أنـــا لـلـحَـــرْبِ إلـيْـهَـا وَبِـنَـفْـسِـي أَتـقـيـهـا
نِـعْـمَـةٌ مِـنْ خـالـقٍ مـن بـهـا قـد خَـصَّـنـيـهَـا
لَـنْ تَـرَى فـي حَـومَـةِ الْـهَـيْـ ـجَـاءِ لـي فـيـهـا شَـبِـيـهَـا
وَلِـيَ الـسَّـبْـقَـةُ فـي الإسْـ ـلام طِـفْـلاً وَوَجِـيـهَـا
وَلِـيَ الـقُـرْبَـةُ إنْ قا مَ شَـرِيـفٌ يَـنْـتَـمِـيـهَـا
زَقَّـنـي بـالـعـلـم زقًّـا فـيـه قـد صـرت فـقـيـهـا (١)
وَلِـيَ الـفَـخْـرُ عَـلـى النَّـا سِ بـفـاطـم وَبَـنِـيـهَـا
ثُـمَّ فَـخْـرِي بِـرَسُـولِ الـلـهِ إذْ زَوَّجَـنِـيـهَـا
لـي وقـعـاتٌ بِـبَـدْرٍ يَـومَ حَـارَ الـنَّـاسُ فِـيـهَـا
وَبِـأُحُـدٍ وَحُـنَـيـنٍ ثـم صـولاتٌ تَـلِـيـهَـا
وَأَنَـا الـحَـامِـلُ لِـلـرَّا يَـةِ حَـقًّـا أَحْـتَـوِيـهَـا
وإذا أُضْـرَم حَـربًـا أَحْـمِـدُ قَـدَّمَـنِـيـهَـا
وَإذَا نَـادَى رَسُـولُ الـلـه نَـحْـوِي قُـلْـتُ: إيْـهَـا (٢)

(١) زقّ: يُقال: زقّ الطائر فرخه، أطعمه بفمه.

(٢) إيه: اسم فعل للاستزاده من حديث أو عمل معهود، فإذا نوّنتها كانت للاستزاده من حديث أن عمل ما.

النفس تبكي على الدنيا (البسيط)

مما يروى أن رجلًا من أهل الكوفة اشترى دارًا، وجاء للإمام عليٍّ، رضي الله عنه، ليكتب له كتابًا بذلك، فكتب بعد التسمية: هذا ما اشتري ميت من ميت، دارًا في بلدة المذنبين، وسكة الغافلين، الحدُّ الأول منها ينتهي إلي الموت، والثاني إلي القبر، والثالث إلي الحساب، والرابع إما إلى الجنة وإما إلي النار، ثم كتب، رضي الله عنه:

النَفسُ تَبكي عَلى الدُنيا وَقَد عَلِمَت ... أَنَّ السَلامَةَ فيها تَركُ ما فِيهَا

لا دارَ لِلمَرءِ بَعدَ المَوتِ يَسكُنُها ... إِلّا الَّتي كانَ قَبلَ المَوتِ بانيها

فَإِن بَناها بِخَيرٍ طابَ مَسكَنُها ... وَإِن بَناها بَشَرٍّ خابَ بانيها [1]

أَينَ المُلوكُ الَّتي كانَت مُسَلطَنَةً ... حَتّى سَقاها بِكَأسِ المَوتِ ساقيها؟

أَموالُنا لِذَوي الميراثِ نَجمَعُها ... وَدُورُنا لِخرابِ الدَّهرِ نَبْنِيها

كَم مِن مَدائِنَ في الآفاقِ قَد بُنِيَت ... أَمسَت خَراباً وَدانَ المَوتُ دانيها

لِكُلِّ نَفسٍ وَإِن كانَت عَلى وَجَلٍ ... مِنَ المَنِيَّةِ آمالٌ تُقَوِّيها [2]

فَالمَرءُ يَبسُطُها وَالدَّهرُ يَقبِضُها ... وَالنَفسُ تَنشُرُها وَالمَوتُ يَطويها

سيهزم الجمع (السريع)

في الأبيات التالية يمدح الإمام، رضي الله عنه، النبيَّ ﷺ، فهو أكرم خلق الله على الله، اصطفاه ربه ليكون خاتم الأنبياء والمرسلين.. ثم يتحدث الإمام عن شجاعته وبطولاته.. فيقول رضي الله عنه:

يا أَكْرَمَ الخَلْقِ عَلى الله ... وَالمُصْطَفى بالشَّرَفِ البَاهِي

مُحَمَّدُ المُخْتَارُ مَهْمَا أَتى ... مِنْ مُحْدَثٍ مُسْتَفْظَعٍ نَاهِي

---

(١) قال الجاحظ في البيان والتبيين : وقال أبو الحسن :خطب عبيد الله بن الحسن على منبر البصرة في العيد، وأنشد في خطبته

أين الملوك التي عن حظها غفلت ... حتى سقاها بكأس الموت ساقيها

تلك المدائن بالآفاق خالية ... أمست خلاءً وذاق الموت بانيها

راجع البيان والتبيين ، بتحقيق عبد السلام هارون، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة ١/ ٩٦.

(٢) ورد هذا البيت والذي يليه في أدب الدنيا والدين بلا عزو، إذ قال الماوردي : وقال الشاعر وللنفوس وإن كانت.. وذكر البيتين

فـانـدُبْ لَـهُ حَـيْـدَرَ لَا غَـيـرَهُ فَـلَـيْـسَ بالغَمْرِ وَلَا الـلَّاهـي [1]
تَـرَى عِـمَـادَ الـكُـفْـرِ مِـنْ سَيفِه مُـنَـكَّـسًـا بَـاطِـلُـهُ وَاهِـي
هَـل الـعِـدَى إلَّا ذِئَـابٌ عَـوَتْ مَـع كُـلِّ نَـاسٍ نَـفْـسَـهُ سَـاهِـي
سَـيُـهْـزَمُ الـجَـمْـعُ عَـلى عَـقْـبِـه بِـحَـيْـدَرَ والـنَّـصْـرُ بـالـلـه

في يوم صفين (الرجز)

جاء في البداية والنهاية لابن كثير: قال ابن جرير: وقد ذكر أن عمَّارًا لما قُتل قال عليٌّ، رضي الله عنه، لربيعة وهمذان: أنتم درْعي ورُمحي.. فانتُدب له نحو من اثني عشر ألفًا، وتقدَّمهم عليٌّ ببغلته، فحمل وحملوا معه حملة رجل واحد، فلم يبقْ لأهل الشام صف إلَّا انتقض، وقتلوا كل من انتهوْا إليه حتى بلغوا معاوية، وعليٌّ يقاتل ويقول:

أضْـرِبُـهُـم ولا أري مُـعـاوِيـة
الـجـاحِـظَ الـعَـيـن الـعـظـيـمَ الـحـاويـة [2]

ثم دعا عليٌّ معاوية إلي أن يبارزه، فأشار عليه بالخروج إليه عمرو بن العاص، فقال له معاوية: إنك لتعلم أنه لم يبارزه رجلٌ قط إلا قتله، ولكنك طمعت فيها بعدى.. ثم قدم على ابنه محمد في عصابة كثيرة من الناس، فقاتلوه قتالًا شديدًا، ثم تبعه عليٌّ في عصابة أخري، فحمل بهم، فقتل في هذا الموطن خلق كثير من الفريقين لا يعلمهم إلا الله [3].

عجبًا للزمان (الخفيف)

للزمان حالتان: صفاء وكدر.. ولا أمان لأيهما ولا دوام.. ولله در القائل:

أفٍّ لـلـدنـيـا إذا كـانـت كـذا أنـا مـنـهـا فـي بـلاءٍ وأذي
إنْ صَفا عَيْشُ امرئٍ في صُبْحها جرَّعتـه مُـمـسـيًـا كـأسَ الـردي

وكان يونس بن ميسرة يقول: لا يأتي علينا زمان إلَّا بكيْنا منه، ولا يتولي عنَّا زمان إلا بكيْنا عليه.. ومن ذلك قوله:

رُبَّ يـوم بـكـيـتُ مـنـه فلما صِـرْتُ فـي غـبـره بكيت عليه [4]

إلَّا أن البعضَ نسب هذا البيت وبيتًا آخر قبله إلى الإمام عليٌّ رضي الله عنه هكذا:

(١) حيدرة: اسم من أسماء الإمام، رضي الله عنه
(٢) الحاوية: البطن وما تحويه من الأمعاء.
(٣) راجع البداية والنهاية ٧/ ٢٩٧.
(٤) راجع المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي ص ٣٤٦، إصدار مكتبة ابن سينا، القاهرة.

عجبًا للزمان في حالتيه ... وبلاء ذهبت منه إليه
رُبَّ يومٍ بكيتُ منه فلمَّا ... صرتُ في غيره بكيتُ عليه!

ثق بمولاك الكريم (الكامل)

قال حكيم: الدنيا مثل ظلِّ الإنسان، إن طلبْتَه فرَّ، وإن تركْتَه تَبِعَك!!

وقال بعضهم:

إنما الرزقُ الذي تطلبُه ... يشبه الظلَّ الذي يمشي معك
أنت لا تدركُه متبعًا ... وهو إن وليت عنه تبعك

وإذا كان الرزق مضمونًا بضمان الله عز وجل في قوله تعالى ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [الذاريات:٢٢]، فلم نلتمسه عند العباد بالوقوف على أبوابهم؟!

يقول الإمام، رضي الله عنه:

لا تَعْتَبَنَّ على العباد فإنَّما ... يأتيكَ رزقُكَ حينَ يُؤْذَنُ فيه
سَبَقَ القضاءُ لوقتِه فكأنَّهُ ... يأتيكَ حينَ الوقتِ أوْ تأتيه
فثقْ بمولاكَ الكريمِ فإنَّهُ ... بالعبدِ أرأفُ من أبٍ ببنيه
واستُرْ غناكَ وكن لفقرك صائنًا ... يُضْني حَشَاكَ وأنتَ لا تُبديه
فالحُرُّ يَنحَلُ جسمَهُ إعدامُهُ ... وكأنَّهُ من جسمِهِ يُخفيه

مناجاة (البسيط)

ومما يُنسب إلي الإمام، رضي الله عنه، في المناجاة، قوله:

لبَّيكَ لبَّيكَ يا من أنتَ مولاهُ ... فارْحَمْ عُبَيْدًا إليكَ ملجاهُ
يا ذا المعالي عليكَ مُعْتَمَدي ... طُوبَى لامْرئٍ أنتَ مَوْلاهُ
طُوبى لِمَنْ كانَ نادمًا أرِقًا ... يَشْكُو إلى ذي الجلالِ بَلْواهُ
وما بهِ مِنْ علَّةٍ ولا سَقَم ... أكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لمَولاهُ
إذا خَلا في الظَّلامِ مُبْتَهِلا ... أجابَهُ اللهُ ثُمَّ لَبَّاهُ

فإذا قال ذلك، كانت الإجابة من الله سبحانه وتعالي:

سألتَ عَبدي وأنتَ في كَنفي ... وكلُّ ما قلتَ قد سمعْناهُ

صَوتُكَ تشتاقُهُ مَلائكتي ... فذنْبُكَ الآنَ قد غفرناهُ
في جنَّةِ الخُلدِ ما تمناه ... طوباه طوباه ثم طوباهُ
سَلْني بلا حِشْمةٍ بلا ريبٍ ... ولا تخفْ إنني أنا اللهُ

طلِّق الدنيا ثلاثا[1] (البسيط)

وفي التحذير من الدنيا وزخرفها والركون إليها يقول الإمام، رضي الله عنه:

طَلِّقِ الدُّنْيا ثَلاثًا ... واطلبَنْ زوْجًا سِواها
إنَّها زَوْجَةُ سَوْءٍ ... لا تُبالِي مَنْ أتاها
فإذا نالتْ مُناها ... منهُ وَلَّتهُ قفاها

إلا أن الدنيا ليست شرًّا كلها، فهي مزرعة الآخرة، وقد أمرنا الله سبحانه أن نأخذ بنعيمها من حلال، وألا يصرفنا ذلك عن الآخرة.. قال سبحانه ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] وقال أيضًا: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ [القصص:٧٧]

قافية الواو:

من عجائب الدهر[2] (الطويل)

هناك مفارقات يحار فيها الفكر .. ولكنه قضاء سابق للديان سبحانه[3] !!

وقد نضعف أمام مُرِّ القضاء ، ولا نقوى على تحمله فنشكو..

ومن عرف الدهر تصبر للبلوى ، ولم يظهر الشكوى ، فالشكوى لغير الله مذلَّة..

تري ما تلك المفارقات.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَرى حُمُرًا تَرْعَى وتأكلُ مَا تَهْوى ... وأُسْدًا جياعًا تظمأُ الدهرَ لا تَرْوى
وأشرافَ قومٍ ما يَنالون قُوتَهم ... وقومًا لِئامًا تأكلُ المنَّ والسلْوَى

(١) لم ترد هذه الأبيات في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وأوردها الكيدري في «أنوار العقول» وعزاها لبعض المصادر.
(٢) عزى كثير من كتب الأدب هذه الأبيات للإمام الشافعي، رحمه الله تعالى، وراجع كذلك ديوان الإمام الشافعي، المسمي «الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس» إعداد وتعليق محمد إبراهيم سليم، إصدار دار الطلائع، القاهرة.
(٣) راجع المصدر السابق.

قـضـاءٌ لـخـلَّاق الـخـلائـق سـابـقٌ ... وليس على ردِّ القضاء أحـدٌ يقْوَى
ومَـن عَـرفَ الدهرَ الخئون وصرفَهُ ... تَصَبَّر للبلْوَى ولم يُظهِر الشكوى

قافية الياء:

في رثاء النبي ﷺ (الطويل)

كم عزَّ على الإمام عليٍّ، رضي الله عنه، فراق النبي ﷺ !!
وكم كانت مصيبته في وفاته ﷺ !!
وكيف كان النبي ﷺ بالنسبة للإمام ، رضي الله عنه؟
كان الهادي والمربي، كان أبا الزهراء، الزوج الحنون للإمام، رضي الله عنهما..
فكيف لا يُصدم بوفاة رسول الله ﷺ ؟!
وفي ذلك يقول رضي الله عنه[1]:

أَلَا طَـرَقَ النَّـاعِي بِـلَـيْـلٍ فَـرَاعَـنـي ... وَأَرَّقَـنِـي لـمَّـا اسْـتَـهَـلَّ مُـنَـادِيَـا
فَـقُـلْـتُ لَـهُ لـمَّـا رَأَيْـتُ الـذي أَتَـى ... أَغَيْرَ رَسُـولِ الله أَصْبَحْتَ نَاعِيَا [2]
فَحَقَّقَ ما أَشْـفَـقْـتُ مِـنْـهُ وَلَـمْ يُبَلْ ... وَكَـانَ خَـلِـيـلـي عُـدَّتِـي ورجـائِـيـا
فَـوَالـلـهِ لَا أَنْـسَـاكَ أَحْـمِـدُ مَـا مَشَتْ ... بيَ العِيسُ فِي أَرْضٍ وَجَـاوَزْتُ وَادِيَا [3]
وكُنتُ مَتَى أَهْبط مِـنَ الأَرْضِ تَلْعَةً ... أَجِـدْ أَثَـرًا مِـنْـهُ جَـدِيـدًا وَعَـافِـيَـا [4]
جَـوَادٌ تَشَظَّي الخَيلُ عَـنْـهُ كَأَنَّما ... يَـرَيْـنَ بِـهِ لَيْثًا عَلَيهِنَّ ضَـارِيَـا [5]
مِنَ الأُسْـدِ قَدْ أَحْمَى العَرينَ مَهَابَةً ... تَـفَـادَى سِـبَـاعُ الأَرْضِ مِنْهُ تَفَادِيَا
شَـدِيـدٌ جَـرِيءُ النَّفْسِ نَهْدٌ مُصَدَّرٌ ... هُوَ المَوتُ مَغدُوٌّ عَلَيْهِ وَغَـادِيَـا [6]
أَتَـتْـكَ رَسُـولَ الله خَـيـلٌ مُغِيرَةٌ ... تُثِيرُ غُـبَـارًا كَالضَّبَابَةِ كَابِيَا [7]

(١) ذكر الأبيات الأربعة الأول سبط ابن الجوزي في كتابه «تذكرة الخواص» وزاد عليها بيتًا خامسًا.
(٢) الناعي : الذي يأتي بخبر الموت.
(٣) العيس : جمع الأعيس ، وهو الكريم من الإبل.
(٤) التلعة: ما ارتفع من الأرض.. الأثر العافي : المندثر.
(٥) تشظي الخيل: تفرقت وهربت هربًا.
(٦) يُقال : نَهد إلي عدوٌّ : صمد له وشرع في قتاله.
(٧) الكابي: التراب الذي لا يستقر على وجه الأرض.

إليكَ رَسُولَ اللهِ صَفٌّ مُقَدَّمٌ إذا كانَ ضَرْبُ الهَامِ نَقعًا تَفانِيَا

في القناعة (المتقارب)

ورد في الأثر: القناعةُ كنز لا يفني وقال بعض الحكماء: الرضي بالكفاف يؤدي إلي العفاف. ولا يخفي على عاقل ما في القناعة من حفظ لماء الوجه، وصون للنفس من مذلة السؤال.. وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

إذَا أَظْمَأَتْكَ أَكُفُّ الرِّجالِ كَفَتكَ القَناعَةُ شِبعًا وَرِيًّا

فَكُن رَجُلاً رِجلُهُ في الثَرى وَهامَةُ هِمَّتِهِ في الثُرَيّا [1]

أَبِيًّا لِنائِلِ ذي ثَروَةٍ تَراهُ لِما فَي يَدَيهِ أَبِيّا

فَإِنَّ إِراقَةَ ماءِ الحَياةِ دونَ إِراقَةِ ماءِ المُحَيّا!

كم لله من لطف خفي!! (الوافر)

الدنيا يومان: يومُ فرحٍ ويومُ تَرح.. وكلاهما زائل!!

قال الحسن البصري، رحمه الله تعالي: الدنيا كلُّها غمٌّ، فما كان منها من سرور فهو ريح..

وقال بعض الحكماء: إن الدنيا كثيرة التغيير، سريعة التنكير، شديدة المكر، دائمة الغدر، فقاطع أسباب الهوي عن قلبك، واجعل أبعد أمَلِك بقية يومك، وكن كأنك تري ثواب أعمالك..

وإذا كان هذا هو حال الدنيا.. فيكف النجاة منها؟

إن النجاة منها تكون في الصبر على بلائها، والثقة بالله عز وجل القائل: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح:٥-٦]، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر:٣١]

وفي ذلك يقول الإمام، رضي الله عنه:

وَكَم لِلهِ مِنْ لُطْفٍ خَفِيٍّ يَدِقّ خَفاهُ عَنْ فَهْمِ الذَّكِيِّ

وَكَمْ يُسْرٍ أَتَى مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ فَفَرَّجَ كُرْبَةَ القَلْبِ الشَّجِيِّ

وَكَمْ أَمْرٍ تُسَاءُ بِهِ صَبَاحًا وَتَأْتِيكَ المَسَرَّةُ بِالعَشِيِّ

(١) الثري: الأرض.. الثريا: مجموعة من النجوم في صورة الثور، وكلمة النجم علم عليها.

إذَا ضاقتْ بِكَ الأَحْوالُ يومًا ... فَثِقْ بالواحِدِ الفَرْدِ العَلِيِّ
تَوَسَّلْ بالنَّبِيِّ فَي كُلِّ خَطْبٍ ... يهُونُ إذا تُوُسِّلَ بالنَّبِيِّ
وَلاَ تَجْزَعْ إذا ما نابَ خَطْبٌ ... فكم للهِ من لُطْفٍ خَفي

في واقعة النهروان (الرجز)

«النهروان» مدينة تقع جنوب شرق العاصمة العراقية بغداد، والجزء الشمالي منها يقع بالقرب من ملتقي نهر ديالي مع نهر دجلة..

وعند «النهروان» كانت معركة النهروان، التى كانت واحدة من نتائج معركة صفين بين الإمام علي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وانتهت بالاتفاق على التحكيم، وخروج المحكمة «الخوارج» على الإمام عليّ مما اضطره إلي قتالهم والانتصار عليهم في معركة «النهروان». وفي هذه المعركة خرج أحدهم على أصحاب الإمام وهو يرتجز:

أَضْرِبُكم ولو أَري عليًّا ... ألبستُه أبيض مشرفيّا

فخرج إليه الإمام وهو يقول:

يَا أَيُّها هذا المُبْتَغي عَليّا ... إني أراكَ جاهلاً شقيًّا
قد كنتُ عن كفاحه غنيًّا ... هلمَّ فابْرُزْ هَهُنَا إليَّا!

أنا مذ كنت صبيا (مجزوء الرمل)

يعود الإمام هنا ليذكر بشجاعته منذ أن كان صبيًّا، فهو أول من أسلم من الصبية، وكيف كان جريئًا شجاعًا في المعارك التي خاضها ، وكم لاقي الأعداء على يديه من هزائم.. يقول الإمام، رضي الله عنه:

أَنَا مُذْ كُنْتُ صَبيًّا ... ثابتَ العَقْلِ جَرِيّا (١)
أَقتُلُ الأَبْطالَ قَهْرًا ... ثُمَّ لا أفْزَعُ شَيًّا
يا سِباعَ البَرِّ زِيغِي ... وَكُلِي ذَا اللَّحْمِ نِيًّا (٢)

(١) جريًا : جريئًا.
(٢) زاغ : مالَ

كيف تحيا سعيدا (الهزج)

كل منا ينشد أن يحيا حياة حلوة سعيدة.. ولكن أنَّي يكون ذلك؟

إن الإمام هنا يوضح أن أسباب الشقاء في هذه الدنيا ثلاثة، وهي:

- الحسد.. ومما ينسب إلي الإمام قوله: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له!! وقيل الحسود غضبان على القدر!!
- البخل .. وفي الحديث: «إياكم والشحَّ، فإن الشحَّ أهلك من كان قبلكم[1]».
- الحرص على الدنيا: قيل لحكيم: ما سرورُ الدنيا؟ قال: الرضا بما رُزقت منها..

قيل: فما غمُّها؟ قال: الحرص عليها. يقول الإمام، رضي الله عنه:

إذا ما شئتَ أنْ تحيَا ... حياةً حُلْوةَ المَحْيَا

فلا تحسُدْ ولاَ تبخَلْ ... ولاَ تحرصْ على الدُّنيا

كيف تصون نفسك؟ (الطويل)

سؤال يجيب عنه الإمام، رضي الله عنه، إنها إجابة شافية كافية، صدرت عن نفس مؤمنة تقية، تحمل في طياتها الأسرار الكامنة للحياة الآمنة المطمئنة، أراد بها ولده الحسين رضي الله عنه.. يقول الإمام:

وَمُحْتَرِسٍ مِنْ نَفْسِه خَوْفَ زَلَّةٍ ... تَكُونُ عَلَيْهِ حُجَّةً هِيَ مَاهِيَا

فَقَلَّصَ بُرْدَيْهِ وَأَفْضَى بِقَلْبِهِ ... إلي البرِّ والتَّقْوَى فَنَالَ الأَمَانِيَا

وَجَانَبَ أَسْبَابَ السَّفَاهَةِ وَالخَنَا ... عَفَافًا وَتَنْزِيهًا فَأَصْبَحَ عَالِيَا

وَصَانَ عَنْ الفَحْشَاءِ نَفْسًا كَرِيمَةً ... أَبَتْ هِمَّةً إِلَّا العُلَى والمَعَالِيَا

تَرَاهُ إِذَا ما طَاشَ ذُو الجَهْلِ وَالصِّبا ... حَلِيمًا وَقُورًا صَائِنَ النَّفْسِ هَادِيَا

لَهُ حِلْمُ كَهْلٍ في صَرَامَةِ حَازِمٍ ... وفي العَيْنِ إِنْ أَبْصَرتَ أَبْصَرْتَ سَاهِيَا

يَرُوقُ صَفَاءُ المَاءِ مِنْهُ بِوَجْهِهِ ... فَأَصْبَحَ مِنْهُ المَاءُ في الوَجْهِ صَافِيا

وَمِنْ فَضْلِهِ يَرعَى ذِمَامًا لِجَارِهِ ... وَيَحْفَظُ مِنْهُ العَهْدَ إِذْ ظَلَّ رَاعِيَا

صبورًا عَلى صَرْفِ الليالي ودرئها ... كَتُومًا لأَسْرَارِ الضَّمِيرِ مَدَارِيَا

لَهُ هِمَّةٌ تَعْلُو على كُلِّ هِمَّةٍ ... كَما قَدْ عَلَا البَدْرُ النُّجُومَ الدَّرَارِيا[2]

(١) قال في الترغيب والترهيب: رواه أبو داود مختصرًا والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

(٢) النجوم الدراري: المتلألئة الضوء.

ما بعد الموت (الوافر)

هل الموت نهاية كل شيء؟

المؤمن يعتقد اعتقادًا راسخًا أن الموت هو نهاية الحياة الدنيا وبداية الحياة البرزخية، بعده يكون البعث والنشور، ثم الحساب على ما قدَّم في حياته الدنيا..

أما الكافر فلا يري إلا الحياة الدنيا، وينكر ما سواها ، يقول القرآن الكريم حكاية عن الكافرين : ﴿وَقَالُوٓاْ إِنۡ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا وَمَا نَحۡنُ بِمَبۡعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]

يقول الإمام ، رضي الله عنه[١]:

وَلَـــوْ أَنَّـــا إِذَا مِـتْـنَـا تُـرِكْـنَـا ... لَـكَـانَ الـمَـوْتُ رَاحَـــةَ كُـلِّ حَـيِّ

وَلَـكِـنَّـا إِذَا مِـتْـنَـا بُـعِـثْـنَـا ... ونُـسْـأَلُ بَـعْـدَ ذا عَـنْ كُـلِّ شَـيِّ

أصل الفتي

قالوا: كُلُّ إناء بما فيه ينضح وهذا ما يؤكده الإمام، رضي الله عنه، في قوله[٢]:

مَـنْ لَـم يَـكُـنْ عُـنْـصـرُه طيِّبا ... لـم يـخـرج الـطـيـبُ مـن فِـيـه [٣]

أَصْـلُ الـفـتـى يُـخْـفـي ولـكـنَّـه ... مـن فِـعْـلِـه يُـعَـرف مـا فيه

وصدق الله العظيم ﴿وَٱلۡبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخۡرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَٱلَّذِي خَبُثَ لَا يَخۡرُجُ إِلَّا نَكِدٗا﴾ [الأعراف : ٥٨]

(١) ذكر هذين البيتين الماوردي في كتابه «أدب الدنيا والدين» وقد قدم لهما بقوله : وأنشد بعض أهل الأدب ما ذكر أنه لعليٍّ ، رضي الله عنه.

(٢) لم يرد هذان البيتان في كثير مما نسب للإمام من أشعار، وأوردهما الكيدري في «أنوار العقول».

(٣) من فيه : من فمه.

قائمة المصادر

١ـ تفسير القرآن العظيم، الحافظ ابن كثير.

٢- سيرة النبي ﷺ، لابن هشام بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة.

٣ـ البداية والنهاية ، للحافظ ابن كثير ، دار الفكر العربي.

٤ـ المستطرف في كل فن مستظرف بتحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

٥ـ أدب الدنيا والدين للماوردي بتحقيق هاني الحاج، دار التوفيقية للتراث.

٦ـ تذكر ة الخواص، لسبط ابن الجوزي، دار الكتب العلمية.

٧ـ أنوار العقول لقطب الدين محمد بن الحسين البيهقي الكيدري ، بتحقيق كامل سلمان الجبوري.

٨ـ المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ـ القاهرة.

٩ـ على بن أبي طالب، رضي الله عنه، حاكمًا وفقيهًا د. حامد جامع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

١٠ـ كتاب الحيوان للجاحظ بتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا ، القاهرة.

١١ـ كتاب الأمالي للقالي، إصدار الهيئة العامة لقصور الثقافة- مصر.

١٢ـ العمدة في محاسن الشعر ، لابن رشيق القيرواني، دار الطلائع، القاهرة.

١٣- البيان والتبيين للجاحظ، بتحقيق عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة.

١٤- علي بن أبي طالب، شعره وحكمه، أحمد تيمور، لجنة نشر المؤلفات التيمورية

محتويات الكتاب

قافية الألف والهمزة

فضل العلم (البسيط) ٧
ما كان لله دام واتصل (الوافر) ٨
من أمْر النساء (الكامل) ٩
السعي لجمع المال (الوافر) ٩
لا تركن إلى الدنيا (الطويل) ١٠
حال الإنسان بين الرخاء والبلاء (الخفيف) ١٠
لا ترض بالذل.. فأرض الله واسعة (الوافر) ١١
في رثاء النبي ﷺ (الطويل) ١١
نصرة رسول الله ﷺ (الطويل) ١٢
الحياة أنفاس معدودة (الطويل) ١٣
السعي في طلب العيش والأخذ بالأسباب (الوافر) ١٣
تفضَّل سيدي بالعفو عنِّي (الوافر) ١٣

قافية الباء

في وصف قومه (الطويل) ١٤
أنا عليٌّ، ومنا النبيُّ ﷺ (الرجز) ١٤
عراقة النسب (الرجز) ١٥
الإسلام أشرف نسب (الطويل) ١٥
لا تقنط.. ففرج الله قريب (الوافر) ١٥
عند القبر الشريف (السريع) ١٦
في يوم الأحزاب (الكامل) ١٦
الأوجب.. والأعجب.. والأصعب.. والأقرب ١٧
تبت يداك أبا لهب!! (الطويل) ١٨
ذهب الوفاء!! (الكامل) ١٨
من وصايا الإمام لابنه الحسن رضي الله عنهما ١٩
لا تضطرب!! (البسيط) ١٩
احفظ ماء وجهك!! (الكامل) ٢٠
صبور على ريب الزمان (الطويل) ٢٠
صور معكوسة!! (الطويل) ٢١
غلبني الفقر!! (الكامل) ٢١
كيف تنال الدنيا؟ (الطويل) ٢٢
فضل العقل (الطويل) ٢٢
قيمة العلم والأدب (البسيط) ٢٣
الأدب أعلى نسب (المنسرح) ٢٣
بم يتفاخر الناس ويتمايزون؟ (الرمل) ٢٤
صبرًا يا نفسُ!! (البسيط) ٢٤
أدَّبْتُ نفسي (المنسرح) ٢٥
مداراة الرجال (الوافر) ٢٥
الصبر على جهالة الجاهل (الوافر) ٢٦
اصبر على ظلم السفيه (الكامل) ٢٦
ما أكثر الأعداء وأقل الأصدقاء!! (البسيط) ٢٧
زُرْ غِبًّا تزدَدْ حُبًّا (الطويل) ٢٧
فقد الشباب وفرقة الأحباب (الكامل) ٢٨
حال الدهر (الطويل) ٢٨
عند قبر الحبيب (الطويل) ٢٨
ألا لعنة الله للكاذب (المتقارب) ٢٩
تبا لك يا ابن عتبة!! (الرجز) ٣٠
اللهم ثبت قلبي (الرجز) ٣٠
شهادة راية رسول الله ﷺ للإمام (الطويل) ٣٠
ما كان بين الإمام ومرحب اليهودي يوم خيبر ٣١
الغلام الغالبي (الرجز) ٣٢
أنا عليٌّ (الرجز) ٣٢
صفِّين (الطويل) ٣٣
الليل هوْلٌ (الرجز) ٣٣
الأزد سيفي (البسيط) ٣٤
أصحابي (الرجز) ٣٥
وصية الإمام لابنه الحسين رضي الله عنهما ٣٥
الدنيا بين إقبال وإدبار (الطويل) ٣٧
لماذا الجزع؟ (الوافر) ٣٧
من وصايا الإمام لابنه الحسين رضي الله عنهما ٣٨
وجع الذنوب (الوافر) ٣٨
حبيبي عنِّي لا يغيب (الوافر) ٣٩
فضل العلم والأدب (البسيط) ٣٩
في الهيجاء (الوافر) ٤٠
القصيدة الزينبية (الكامل) ٤٠
وجاء المشيب (الوافر) ٤٤
الرزق مقسوم (الوافر) ٤٥
علِّم بنيك صغارًا (البسيط) ٤٥
تعلَّم قوام الخطِّ (الطويل) ٤٦
تخير صاحبك (البسيط) ٤٦
إياك والطلب من بخيل!! (الوافر) ٤٧

قافية التاء

الثأر أو الموت (الرجز) ٤٧
التواضع والقناعة (الوافر) ٤٧
بيت الفناء وبيت البقاء (مخلع البسيط) ٤٨
الصبر عن اللذات (الطويل) ٤٨
لا تكثر الشكوى (الطويل) ٤٩
فضيلة الصمت (الكامل) ٥٠
هي الدنيا (الرمل) ٥٠
ما الدهر إلا يوم وليلة (الطويل) ٥١

أبكي مخافة أن تطول حياتي بعدك (الكامل) ٥١
احذر النظرة!! (الطويل) ٥١

قافية الجيم

عند التناهي يكون الفرج (المتقارب) ٥٢
الحلم والجهل (الطويل) ٥٢

قافية الحاء

ما أشبه الليلة بالبارحة!! (السريع) ٥٣
الرفق والأناة (الكامل) ٥٤
من نجا برأسه فقد فلح (الرجز) ٥٤
الحث على كتمان السر (المتدارك) ٥٤
في يوم حنين (الرجز) ٥٥
اصحب خيار الناس (الطويل) ٥٥

قافية الخاء

أفلح من كان له زوجة (الرجز) ٥٦

قافية الدال

أنا أخو المصطفي (البسيط) ٥٦
يا شاهد الله عليَّ (الرجز) ٥٧
خلُّوا سبيل المؤمن المجاهد (الرجز) ٥٧
يا مؤثر الدنيا على دينه (السريع) ٥٧
بين السعد والنحس (السريع) ٥٨
أعاذلتي (الوافر) ٥٨
في قتلي يوم أحد (البسيط) ٥٨
فوائد السفر (الطويل) ٥٩
عون الله (الكامل) ٦٠
في بناء مسجد رسول الله ﷺ (الرجز) ٦٠
في مقتل عمرو بن عبدِ ود (الطويل) ٦١
الأرزاق تجرى كما قدرها الله (السريع) ٦١
همِّي من الدنيا (الطويل) ٦٢
وأتبع السيئة الحسنة تمحها (الطويل) ٦٢
أطباق الثري (الكامل) ٦٣
لابد للزرع من حصاد (مخلع البسيط) ٦٣
الموت نهاية كل حي (الطويل) ٦٤
قلة الكرام وكثرة اللئام (البسيط) ٦٤
سهام الموت (البسيط) ٦٥
الإمام يرثي أباه (البسيط) ٦٥
ما قاله الإمام بعد مقتل طلحة يوم أحد (الرجز) ٦٦
رد الإمام على هند بعد ما بلغه
من شماتتها بقتل حمزة يوم أحد (الرجز) ٦٧
إلى من انشغلوا بالبناء والاستمتاع بالأهل والأولاد ٦٨
من أخلاق الإمام (البسيط) ٦٨
صديق عدوِّي (الطويل) ٦٨
صداقة لا قيمة لها! (الهزج) ٦٩
ليت الشباب يعود يومًا!! (الوافر) ٦٩
وصية جامعة (الطويل) ٧٠

قافية الذال

إنما الدهرُ ساعة (مجزوء الخفيف) ٧٠

قافية الراء

بين الإمام ومرحب اليهودي في يوم خيبر (الرجز) ٧١
أمر منكر (الرجز) ٧٢
مخالفة النفس (الطويل) ٧٢
لا ينجي الحذر من القدر (الرمل) ٧٣
تلكم قريش (البسيط) ٧٣
لا تحسبني غرا (الرجز) ٧٤
إنَّ للحرب عُراما (الرجز) ٧٤
عاقبة الصبر (البسيط) ٧٤
إليك أشكو (الرجز) ٧٥
في ليلة الهجرة (الطويل) ٧٥
دواؤك فيك... وداؤك منك (المتقارب) ٧٦
أنا عليٌّ (الرجز) ٧٦
أنا والدَّهر (الطويل) ٧٧
أول ليلة في القبر (الكامل) ٧٧
كلامك أحبُّ إليَّ من عطائك (المنسرح) ٧٨
هذه الدنيا (السريع) ٧٩
الناس في زمن الإقبال والإدبار (البسيط) ٧٩
الأرزاق بيد الله (البسيط) ٨٠
الساعون في الشر (الرمل) ٨١
إذا المشكلات تصدين لي!! (المتقارب) ٨١
لا خير في لذة من بعدها النار (البسيط) ٨٢
الجهل موت والعلم حياة (الطويل) ٨٢
الناس اثنان (البسيط) ٨٣
لا تعجز (البسيط) ٨٣
اصبر قليلا (البسيط) ٨٤
غني النفس (الطويل) ٨٥
هوِّن عليك (المتقارب) ٨٥
قل للشامتين بنا (الوافر) ٨٥
عند صفو الليالي (البسيط) ٨٦
بين الغني والفقر (الطويل) ٨٦
هل الفقر خير من الغني؟ (الطويل) ٨٧
من عجائب الدهر (الطويل) ٨٨
ذهب الرجال (الكامل) ٨٨
كي تصبح حرًّا (الرمل) ٨٩
يا مَنْ تأمن الدنيا!! (الطويل) ٨٩
في العطف على الأطفال واليتامى (البسيط) ٩٠
الشَّيبُ عُنْوَانُ المَنيَّة (مجزوء الكامل) ٩٠

في رثاء النبي ﷺ (مجزوء الكامل) ٩١
رهط النبي ﷺ (البسيط) ٩١
في استشهاد عمار بن ياسر رضي الله عنه (الطويل) ٩٢
لقد عجزتُ (الرجز) ٩٢
صبرت على مُرِّ الأمور (الطويل) ٩٣
عليك بإخوان الصفا (الطويل) ٩٣
كلٌ إلى زوال (الوافر) ٩٤
وصيَّة (الطويل) ٩٤
إن من الرجال بهيمة!! (الكامل) ٩٥
شجاعة (الطويل) ٩٥
إنَّا أهل صبر (الرجز) ٩٦
عَسَى (الطويل) ٩٦
يا طالب الصفو (البسيط) ٩٦
قل للذي يعيب الزمان (المتقارب) ٩٧
تضرع واعتراف بالذنب (الوافر) ٩٨
مساكين أهل الفقر (الطويل) ٩٨
سبحان رب العباد (المنسرح) ٩٩
بين البلاء والسرور (الطويل) ٩٩
العار (الكامل) ٩٩
عزاء (الطويل) ١٠٠
ينصرني ربي (الرجز) ١٠٠
وأغمض عيني (الطويل) ١٠١
في ورع الإمام (الرجز) ١٠١
العلم بالله والجهل به (الرجز) ١٠٢
الناس أربعة (السريع) ١٠٢
لا يَبْلُغَ المَرْءُ بالإحْجَام هِمَّتَهُ (البسيط) ١٠٣
دُنيَا (مجزوء الكامل) ١٠٣
كثير المال (الوافر) ١٠٣
كل امرئ يأتي بما هو أهله (الطويل) ١٠٤
الشجاع البطل (السريع) ١٠٤
أنا عليٌّ هازم العساكر (الرجز) ١٠٥
الندم على التفريط (الطويل) ١٠٦
أمرُّ على المقابر (الوافر) ١٠٦

قافية الزاي

مساجلة بين الإمام وعمرو بن عبد ود (الكامل) ١٠٧

قافية السين

سلام على أهل القبور (الطويل) ١٠٨
لكلِّ هَمٍّ فرج (السريع) ١٠٨
ألا تراني كيسا (الرجز) ١٠٩
العلم والأدب (البسيط) ١٠٩
لا تركن إلي من تخاف دنسه (المنسرح) ١١٠
إن السفينة لا تجري على اليبس (البسيط) ١١٠
أولاد الجهالة (الطويل) ١١١
في الشجاعة (الرجز) ١١٢
أرض الله واسعة (الخفيف) ١١٢

قافية الصاد

أتمّ الناس (الوافر) ١١٣
في يوم صفين (الرجز) ١١٤

قافية الضاد

سأمنح مالي (الطويل) ١١٤
الأمر كله لله (المتقارب) ١١٥
الله بيننا وبينكم (الوافر) ١١٥

قافية الطاء

الوسطية (الرجز) ١١٦
اصبر ولا تغضب (البسيط) ١١٦

قافية الظاء

متي يكون النوم خيرًا من اليقظة؟ (الرجز) ١١٦

قافية العين

العقل عقلان (الهزج) ١١٧
الأخوة الصادقة (الرجز) ١١٧
القناعة والتقوي (الوافر) ١١٨
العبد.. والحر (الكامل) ١١٩
صاحب الدنيا (الطويل) ١١٩
التوسط في الحب والبغض (الطويل) ١٢٠
طبائع البشر (مجزوء الكامل) ١٢٠
لا تضع المعروف في ساقط (السريع) ١٢١
اصبر ثقة بالله (البسيط) ١٢٢
اصبر ولا تجزع (البسيط) ١٢٢
دَعِ الحرصَ على الدنيا (الهزج) ١٢٣
لك الحمد (المتقارب) ١٢٤
سَعْيي لوجه الله (الطويل) ١٢٤
مداراة العدى (الطويل) ١٢٤
ذنوبي كثيرة!! (الطويل) ١٢٥
يَكْفِيكَ مِنْ شَرِّ سَمَاعُه (مجزوء الكامل) ١٢٥
إلـهـي (الطويل) ١٢٦
وصايا غالية (الكامل) ١٢٧
تجنب صغار الذنوب!! (الكامل) ١٢٨
تواضع (الطويل) ١٢٨

قافية الغين

الدنيا سراب (الطويل) ١٢٩

قافية الفاء

إجلاء بني النضير (المتقارب) ١٢٩
الكوفة (الرجز) ١٣١
لا تقنطن (المتقارب) ١٣١

جزي الله الموت عنَّا خيرًا (الطويل) ١٣١
أنا راضٍ (المنسرح) ١٣٢
الدنيا بيِّن الإقبال والإدبار (البسيط) ١٣٢
كم من عليم (البسيط) ١٣٣
يامن أذنب.. أبْشر!! (الكامل) ١٣٤
مجالسة الأشراف (الكامل) ١٣٤

قافية القاف

ليس غير الله من رازق (السريع) ١٣٥
رضيت بما قسم الله لي (المتقارب) ١٣٦
حال الدنيا (الوافر) ١٣٦
أفٌّ على الدنيا وأسبابها (السريع) ١٣٧
ما تركت بدر لنا صديقا (الرجز) ١٣٧
بناء المسجد من مال حرام (الطويل) ١٣٧
هل للحظ نصيب في حياتنا؟ (الكامل) ١٣٨
هل من صديق صدوق؟! (المتقارب) ١٣٩
علمي معي (البسيط) ١٣٩
أنفق ولا تخش إقلالاً!! (البسيط) ١٤٠

قافية الكاف

لا شيء إلَّا الله (الرجز) ١٤٠
لا تجزعنَّ من الموت (الهزج) ١٤٠
كاتب ومكتوب (مجزوء الرمل) ١٤١
شجاعة قومي (مجزوء الكامل) ١٤١
إليك ربِّي (الرجز) ١٤٢
العجز عن درك الإدراك إدراك (البسيط) ١٤٢
في القناعة (مجزوء الهزج) ١٤٢
في الزهد (الهزج) ١٤٣
كُنْ مُحسنًا (الطويل) ١٤٣
دَنيًّا عَدمْتُك (مجزوء الكامل) ١٤٤

قافية اللام

ما بعد صفين (الطويل) ١٤٤
رضينا قسمت الجبار (الهزج) ١٤٤
ما كان من شأن ابن أخطب اليهودي (الطويل) ١٤٥
اصطبر! (الطويل) ١٤٥
في رثاء الزهراء رضي الله عنها (الطويل) ١٤٦
ألا فاصبر!! (الوافر) ١٤٧
المؤاخاة (الطويل) ١٤٨
في مدح رسول الله ﷺ يوم بدر (الطويل) ١٤٨
حال الدنيا (الرمل) ١٤٩
ذو العقل .. وذو الجهل (المتقارب) ١٥٠
احفظ ماء وجهك (الكامل) ١٥٠
بين بدْر وأحُد (الوافر) ١٥١
احذر زوال النعمة!! (السريع) ١٥١
صُن نفسك عما يشينها (الطويل) ١٥٢
سأقنع (الوافر) ١٥٣
الآفات .. وشرها (الطويل) ١٥٣
يا مُن بدنياه اشتغل!! (مجزوء الرجز) ١٥٤
ذل السؤال (الوافر) ١٥٤
ثواب الله أعلى وأنبل (الطويل) ١٥٥
إياك وعثرات اللسان!! (الطويل) ١٥٥
بين الشباب والمشيب (المتقارب) ١٥٦
الحمد لله على نعمة النصر (مجزوء الرجز) ١٥٦
داري مناخ.. وزادي مباح (المتقارب) ١٥٧
صبر الفتى (الرجز) ١٥٧
إذا زلزلت الأرض زلزالها (المتقارب) ١٥٨
اجتهد ولا تكسل (الكامل) ١٥٨
في الشجاعة (المتقارب) ١٥٨
احذر المنجمين!! (الرجز) ١٥٩
في رثاء خديجة ، رضي الله عنها، وأبي طالب ١٥٩
عتاب (الخفيف) ١٦٠
في رثاء عمار بن ياسر، رضي الله عنه (الطويل) ١٦٠
أنت مني بمنزلة هارون من موسى (المتقارب) ١٦٠
فضل الطاعة والاقتداء بالنبي ﷺ (الخفيف) ١٦١
أنا الصقر (الهزج) ١٦١
الاغترار بالأمل (المجزوء) ١٦٢
غُرِّي غيري!! (الطويل) ١٦٢
وصايا غالية (الكامل) ١٦٣
الغني ... والكريم... والفقيه (الكامل) ١٦٣
عمر الإنسان .. كيف يمضي؟ (الهزج) ١٦٣
بين الخوف والرجاء (الطويل) ١٦٤
سرورك من الدنيا غرور (الطويل) ١٦٤
صيدي .. وصيد الملوك (الكامل) ١٦٥

قافية الميم

لنا الراية الحمراء (الطويل) ١٦٥
الدهر قاض (الرجز) ١٦٦
ذكر بني همدان يوم صفين (الطويل) ١٦٦
أفاطم!! (الطويل) ١٦٧
إن المعاصي تزيل النعم (المتقارب) ١٦٨
في قتلى صفين (الطويل) ١٦٨
لوْ أطاعوني!! (الوافر) ١٦٩
إلا بقية (الطويل) ١٦٩
مَنْ يقوم مقامي؟! (الكامل) ١٧٠
الدنيا بين إقبال وإدبار (الطويل) ١٧٠
أنا بالدهر عليم (مجزوء الرمل) ١٧٠
في فضل الحارث بن الصمة (الرجز) ١٧١

الله أكرمنا (الكامل) ١٧١
لا تحزن على ما فاتك (الوافر) ١٧٢
الإخوة الصادقة (الطويل) ١٧٢
احذر الظلم!! (البسيط) ١٧٣
مَنْ يحفظ السرَّ؟ (البسيط) ١٧٤
من وصايا الإمام (الوافر) ١٧٤
حدود العقل (البسيط) ١٧٥
بين الصبر والجزع (الطويل) ١٧٥
الطلب من الكريم (الكامل) ١٧٦
محمد النبي أخي وصهري (الوافر) ١٧٦
الحياء من المنعم ١٧٧
يا طالب الرزق (البسيط) ١٧٧
أخوك (الطويل) ١٧٨
كم من أديب .. وكم من جهول (السريع) ١٧٨
قضي الله أمرًا (المتقارب) ١٧٩
الإحسان بين الحر والعبد (الوافر) ١٧٩
جرح اللسان (المنسرح) ١٧٩
امرأة تشكو زوجها (الرجز) ١٨٠

قافية النون

لا تخضعن لمخلوق (البسيط) ١٨١
لا تكره المكروه عند نزوله (الكامل) ١٨١
في الشجاعة (الرجز) ١٨٢
لا جدوي للحيل (الكامل) ١٨٢
أهل النفاق (السريع) ١٨٢
دنيـــا!! (مجزوء الكامل) ١٨٣
الصبر مفتاح ما يرجَّى (مخلع البسيط) ١٨٤
خير البرِّ عاجله (الوافر) ١٨٤
تنكر لي دهْري!! (الطويل) ١٨٥
هوِّنْ الأمر (الرمل) ١٨٥
توق الدنيا ولا تأمنها (الخفيف) ١٨٥
في مكر النساء وغدرهن (الطويل) ١٨٦
عـــــزاء (البسيط) ١٨٧
نحن الكرام (مجزوء الكامل) ١٨٧
اليوم أبلو (الرجز) ١٨٧
إلهي لا تعذِّبني (الوافر) ١٨٧
وصايا غالية (الوافر) ١٨٨
الدَّهْر أدَّبني (البسيط) ١٨٨
حتى لا تندم!! (المتقارب) ١٨٩
سيف رسول الله ﷺ في يميني (الرجز) ١٨٩
إلهي أنت ذو فضل ومنٍّ (الوافر) ١٩٠

قافية الهاء

إياك وإياه!! (الهزج) ١٩٠
مكارم الأخلاق ١٩١
القناعة بالكفاف (الخفيف) ١٩١
الحلمُ والأناة (المتقارب) ١٩١
التحلي بالمكارم (الكامل) ١٩٢
بعض مآثر الإمام (مجزوء الرمل) ١٩٣
النفس تبكي على الدنيا (البسيط) ١٩٤
سيهزم الجمع (السريع) ١٩٤
في يوم صفين (الرجز) ١٩٥
عجبًا للزمان (الخفيف) ١٩٥
ثق بمولاك الكريم (الكامل) ١٩٦
مناجاة (البسيط) ١٩٦
طلِّق الدنيا ثلاثا (البسيط) ١٩٧

قافية الواو

من عجائب الدهر (الطويل) ١٩٧

قافية الياء

في رثاء النبي ﷺ (الطويل) ١٩٨
في القناعة (المتقارب) ١٩٩
كم لله من لُطف خفي!! (الوافر) ١٩٩
في واقعة النهروان (الرجز) ٢٠٠
أنا مُذ كنت صبيا (مجزوء الرمل) ٢٠٠
كيف تحيا سعيدًا (الهزج) ٢٠١
كيف تصون نفسك؟ (الطويل) ٢٠١
ما بعد الموت (الوافر) ٢٠٢
أصل الفتى ٢٠٢
قائمة المصادر ٢٠٣